ولد نعيمة

-نطفة سوداء-

الطبعة الأولى: 1445 هـ/ 2023 م
رقم الإيداع القانوني ISBN: 978-9931-857-49-5
الإيداع القانوني: السداسي الثاني/2023

اسم العمل: ولد نعيمة -نطفة سوداء-
اسم المؤلف: عبد الباسط باني
إخراج فني وتدقيق: بثينة معافة
تصميم الغلاف: سمير محرز

الناشر: أدليس بلّزمة للنشر والتوزيع
الفيسبوك: أدليس للنشر والترجمة والتصميم
البريد الإلكتروني: adlisedition@outlook.fr
الهاتف: 0777892744/0672983254

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص والنسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

عبد الباسط باني

ولد نعيمة

-نطفة سوداء-

الطبعـة الأولـى
2023

لن أقول لكم أن شخوص وأحداث هذه الرواية خيالية.
لن أقول لكم أن شخوص وأحداث هذه الرواية حقيقية.
ولن أقول لكم شيئا.

"قررت أن أموت لمرة واحدة بدلا من الموت سبع مرات في الأسبوع".

-رياض الصالح-

الجمعة 22 فبراير 2020 | 12:02 AM | مدينة عين الدفلى.

يقف على حافة جسر "القنطرة السوداء"، يتقدم خطوة نحو شفى الهاوية السحيقة، بين الهواء والموت، بين الفراغ والاكتظاظ يغمض عينيه ويشرع ذراعيه ينتظر عناق العدم، يتنهد بعمق، يحك رأسه الكبير، يشعر بالريح وهي تداعب منخاريه العريضين، يحس برعشة خفيفة تنقر عظمتي أسفل ظهره ونسمات خفيفة تمسح على شعيرات ساقيه العاريتين، تعبر إلى أنفه رائحة دخان الحافلات التي تسير وراءه، يميل مليمترات إلى الأمام هبة ريح والدائم ربي.

ينظر نحو السماء بعينين ذابلتين كأنه يراها لأول مرة إذ بدت له منخفضة جدا وصافية بلون أزرق بارد تصوفها غيمات صغيرات تلتحم مع بعضها كقطيع من الماشية. يرمش. يعض على شفته السفلى، يملأ رئتيه بالهواء والغبطة، يستحضر الشهادة بخشوع جاف ويتقدم خطوة في الفراغ ثم.../

المركز التجاري (uno) الساعة عند الباب تشير إلى 12:07 AM

- مريم
- يا مريم. أين أنت؟
- بنتي وينك... يا مريومة... بنتي!
- هاي ربي سيدي هاي ربي سيدي.

تنادي سيدة قصيرة منقبة، تحمل سلة مشتريات في يدها باحثة بين رفوف السلع، هنا وهناك. تصيح ونظرات الهلع في عينيها، يبدو أنها أضاعت ابنتها، بخطوات مذعورة ونبرة خائفة تبحث وتسأل الزبائن داخل المركز التجاري مشيرة بيدها إلى فتاة صغيرة، لا أحد يعطيها خيط أمل. يزيد ذعر السيدة المنقبة وتضرب برجليها الأرض، تلبس نعلين من البلاستيك حائلي اللون وشبه ممسوحي القاعدة، تغطي يديها بقفازين سوداوين، حيث لا يكاد يرى من تلك السيدة شيء سوى أصابع رجلها.

وإذ هي في حالتها المذعورة تلك. تتقدم نحوها إحدى العاملات، شابة شقراء نحيلة. تهدئ من روعها قليلا. ثم تسحبها لمكان غير بعيد حيث مكتب الاتصال والمراقبة. تقدم الشابة كأس ماء للسيدة حتى تبلل ريقها بعد عشر دقائق من البحث المضني. ثم تسأل الشابة السيدة بهدوء عن مواصفات ابنتها واسمها وتسحب ميكروفون الإعلانات نحو فمها وتكرر بنبرة حازمة:

- تنبيه للجميع! نبحث هنا عن فتاة ضائعة اسمها مريم، تبلغ عشرة أعوام، فتاة شقراء، تحزم شعرها على شكل ربطة ذيل الحصان، تلبس فستانا أصفر

وتحمل خيط قفز في يدها.

تنبيه للجميع، أعيد نبحث هنا عن.../

في المركز التجاري uno سيدة منقبة تحمل سلة مشتريات وفي يدها الأخرى تجر فتاة صغيرة تلبس فستانا أصفر، الظاهر أنها ابنتها. وفجأة تلاحظ السيدة لافتة مكتوبة بالخط العريض في الجهة المخصصة للألبسة النسائية:

[**تخفيضات بالجملة**]

تقفز السيدة داخل نفر النسوة اللائي قطعن أحذيتهن بسبب أنوثتهن المفرطة. في تلك الأثناء تلاحظ الفتاة الصغير مهرجا يعبر بجوارها يقوم بخدعة بورق اللعب لمجموعة من الصبية الذين يلتفون حوله ضاحكين مسرورين، المهرج يربط فوق ظهره مجموعة من البالونات يهديها للفائزين باللعبة. وإذ هو غارقٌ بين جمع الأطفال الصغار ينفلت بالون أحمر من حزمة البالونات المثبتة على ظهره. ولا ينتبه له أحد سواها، تبعته الفتاة الصغيرة بعيني قط وهو يطير في الهواء. تتحرك خطوات من جهته عله يسقط بين ذراعيها. تنسحب أكثر نحوه. بخطوات هر يتخاتل يريد الإطاحة بعصفور طائش. ينزل البالون قليلا تفتح الفتاة ذراعيها بلهفة، ثم يصعد البالون مجددا متحركا باتجاه مدخل المركز التجاري، يقودها البالون كالسحر، تتبعه الفتاة بعينين متلهفتين لإمساكه. ودون أن تشعر تضع رجلها خارج باب المركز التجاري. ينزل البالون حتى يكاد يلامس الرصيف. تكاد تمسكه الفتاة حتى تضربه برجلها ليسقط بعيدا عنها على حافة طريق الجسر المحاذي للمركز. دون أن تنظر للسيارات العابرة بسرعة. تقطع الطريق، تطارده لتمسكه. تعبر أمام السيارات غير آبهة بأعجوبة وحفظ قادر. أبواق السيارات تهتف على طول

الطريق السيار. والعجلات تأكل الإسفلت حتى لا تدهس الفتاة التي تطارد البالون الأحمر الطائش، غير مبالية بصراخ الناس ومزامير السيارات، وكل ما في عينيها هو البالون وكيف تعانقه بين ذراعيها.
عبرت الفتاة طريق الجسر وعلى حافته تمكنت من التقاط البالون بعد مطاردة حافلة.

في تلك اللحظة انطفأ اللهيب في عينيها وسرح خيالها طافيا نحو الجهة المقابلة من الجسر. تسمرت في مكانها بفستانها الأصفر المفتوح في المنتصف حد ركبتيها. تمسك البالون بيدها اليمنى وحبل القفز بيدها اليسرى. بملامح جامدة لم تتحرك من مكانها لما رأته. بدا لها رجلا غريبا يفتح ذراعيه على حافة الجسر وينظر إلى الأسفل. وكانت الفتاة لأول مرة ترى مشهدا مثل هذا.

وراحت تراقب ذاك المنظر بعينين حادتين وملامح متجمدة، تنتظر ما الذي سيفعله هذا الرجل الغريب شبه العاري. وقد بدا لها رجلا أنيقا رغم غرابة هندامه وشعره. لمحته وهو يتقدم للأمام نحو حافة الجسر وينظر نحو الأسفل فأحست بشعور غريب جعلها تتجمد مكانها. التفت إليها الرجل ولمحها من بعيد. فأدركت أنه قد لاحظ وجودها وهو يبادلها النظرات والبالون في يدها. ثم شعرت بالخوف منه وأرادت الهروب. تسارعت ضربات قلبها. لكن رغم ذا لم تتحرك ورفعت يدها تلوح للرجل من بعيد ببطء شديد. لوحت حتى لاحظ الرجل الحناء الحمراء في راحة كفها من بعيد.

في الجهة المقابلة كان الرجل يبحث عن شيء في جيبه. يخرج سيجارة ويقحمها بين شفتيه. يدخنها بشراهة ويستمر بالنظر بعينين ضيقتين لتلك الفتاة

الغريبة التي لم تشأ الابتعاد وشردت مكانها إذ بدت كأنها تريد ألا تقول شيئا بوجهها الزومبي ذاك.
ولربما اكتفت بالتساؤل في سرها: (هل سيرمي هذا الرجل نفسه حقا؟)

أنا الراوي أقف على كابل كهرباء وأصف لكم ما أرى ورأسي أقرع مدمى ومنقاري طويل، أحمل على حافته ريشة بيضاء نتفتها لتوي من عصفور هجمت عليه داخل قفص على شرفة إحدى العمارات القريبة من هنا إذ ألفيته نائما فحسبته ميتا ولما مددت منقاري لأنتشله من ذيله وأخطفه من القفص انقض عليّ قط أصفر سخيف مقطوع الذيل وباغتني بضربة مخلبية على رأسي فعلقت رجلي في القفص لأنجو بأعجوبة ورغم ذا لم أنسحب من دون أن ألحق به ضررا كيما ألحق بي وأظن بأني قد أصبت ذاك القط في عينه اليسرى مقابل أنه نتف ريش مقدمة رأسي بمخلبه الحاد وضربة بضربة فخبشة بنقرة ثم صلعة بتعويرة ومن يفوز في المعارك ليس من يجيد تسديد الضربات بل من يجيد تلقيها ثم بعد هذا الشجار الذي خضته قبل قليل عرفت أني بدأت أهرم حقيقة فبعدما كنت أصارع الأسود يأتي في آخر عمري كرة الصوف ذاك ويترك عليّ وصمة عار فآه منه زمنا حقيرا زمن القطط والكلاب والشواذ والكروش والأفخاذ و أنا لا أدري حقيقة ما الذي يفعله ذاك الرجل نصف العاري هناك على طرف الجسر هل يريد أن يرمي نفسه إذن ها هي ذي فرصتي من أجل أن أحظى أخيرا بجيفة ساخنة سأحط على عمود كهرباء قريب منه في انتظار نضوج وجبتي وأروي لكم ما أرى.

الوطن مثل الأم إلا الجزائر

تحسب مرت باباك...

رغم الظروف أعشق خمس حروف AMINA

امينة +~~فارس~~ = حب
عمار

لكم الواقع ولنا ~~الزطلة~~
أختك

ممنوع الترندیف و+18

هنا يتبول الحمير

ـصورة حائط من إحدى شوارع الجزائر العميقةـ

أدركت الآن أنّني تأقلمت؛
لا أتذمر من سرقة وديعتي في البنك
لا أشكو من العتمة
ولا غلاء الأسعار
ولا تذبذب الإنترنت
ولا بائعات الهوى في الشوارع
ولا تلال القمامة في الحدائق
ولا زعيق الأغنيات في منتصف الليل
أقود سيارتي عكس السير
أتنمّر على الشرطي
ألقي علب العصير وأعقاب السجائر في الهواء
لا أشكر من يفسح لي الطريق
أسرق أغطية المصارف الصحية
ألواح الطاقة الشمسية
حديد الملعب البلدي
ورادارات الأوتوستراد
وآخذ حقّي بيدي
أستعين بالسماسرة دائما
أمر بقلب صدئ بالمتسولين
أدخن النرجيلة أربع مرات يوميا
أتحرش بالجميلات والقبيحات

أحشر أسماء الأعضاء التناسلية في حديثي
صرت عصبياً جدا
أكفر كثيرا
ألعن كثيرا
أرفض كل فرص العمل
أنتظر صناديق التموين
وحوالة صديقي وابن عمي من الخليج
أسهر في مطعم كل أسبوع
أفتتح دكاناً بعد شهر
أمتدح الزعماء جميعا
والشعراء السطحيين
أبيع صوتي لمن يدفع أكثر في الانتخابات
وأزور كل يوم سفارة
لأهاجر.

من جدار الشاعر أنور الخطيب على الفيس بوك

تأثير الفراشة

يقف على حافة جسر "القنطرة السوداء "، يتقدم خطوة نحو شفى الهاوية السحيقة، بين الهواء والموت، بين الفراغ والاكتظاظ، يغمض عينيه ويشرع ذراعيه ينتظر عناق العدم، يتنهد بعمق، يحك رأسه الكبير، يشعر بالريح وهي تداعب منخاريه العريضين، يحس برعشة خفيفة تنقر عظمتي أسفل ظهره ونسمات خفيفة تمسح على شعيرات ساقيه، يشم رائحة دخان الحافلات التي تعبر وراءه، يميل مليمترات إلى الأمام، هبة ريح والدائم ربي. ينظر نحو السماء بعينين خاويتين كأنه يراها لأول مرة، وقد بدت له منخفضة جدا، وصافية بلون أزرق بارد، تصوفها غيمات صغيرات تلتحم مع بعضها كقطيع من المشاية. يرمش، يملأ رئتيه بالهواء والغبطة، يستحضر الشهادة بخشوع جاف، يتقدم خطوة في الفراغ، ثم ينظر نحو الأسفل فيرى ـفي ما يراه المنتحر ـ مجرى مياه الصرف الصحي في الواد تحت الجسر إذ تبدو له معكرة اللون خفيضة المستوى تطل من سطحها بعض أعواد القصب النحيفة وتحط بعض من طيور البجع الهرمة على حافتي الواد، يتخيل رائحة مياه الصرف الصحي وهي تمتزج بدماء دماغه المزدحم بمرقة دسمة من الأفكار الغريبة، وإذ هو واقف على ذلك العلو تلمع في عينيه تلك الصخور الصماء برؤوسها الصلعاء وتبدو لها أنها تبادله نظرات جافة وتبتسم في وجهه بأنيابها الحادة، يلاحظ في مجرى الصرف إطار عجلة سيارة تجرفه المياه حتى يعلق بين أعواد القصب ثم يدفعه جريان السيل إلى الإفلات من القصبات، يتخيل أن جسده مكان ذلك الإطار. يضغط على أصابع قدمه ويفركها ببعضها داخل الحذاء

ثم يرفع رأسه نحو السماء كأنه يبحث عن شيء ما أو يفكر فيه، يلتقط خيط ذاكرة سميكا عالي التوتر، أظن أن هذا المخلوق يفكر في كتابة رسالة أخيرة قبل انتحاره_ كليشيه مكرر عند المنتحرين_، يبحث في جيب معطفه الجلدي يضرب على فخذيه بعدما لا يجد رأس حبر ولا حتى دراهم دسها في جيب سرواله الجينز القصير ونسيها ليشتري بها رأس حبر، بهذا انتهى عن الفكرة السخيفة وأدرك أنه مجرد كليشيه سخيف مستهلك في الأفلام والروايات. يتمتم ساخطا وساخرا بكلام غير مفهوم لا يمكن أن أسمعه من مكاني هنا، ثم ها هو يرجع شعره الأسود المدهون بالجل للخلف ويقول:

_ من يقرأ رسالة انتحار مملة؟ وهل تبقى من يقرأ في هذه المدينة المتخلفة أصلا، دعنا منها! تموت ومن يدري بخبرك؟ تموت كأنك لم تكن، كموت حشرة كئيبة أو كموت جرذ متهور تحت عجلة مطاطية لسيارة سيدة مطلقة فاحشة الثراء...

سأنتحر و"يتهنى الفرطاس من حكان الراس"[1].

قالها وهو يلوي عنقه، عاضا على شفته السفلى ومبتسما نصف ابتسامة مغبرة في وجه الفراغ والجبال الضئيلة على مد بصره.

~~غراب سخيف لا تجيد السرد، دعنا نتناوب الأصوات أنا أصور من الداخل وأنت من الخارج.~~

في تلك اللحظة المضطربة حضره خيال أخيه "الحسين"، الذي يتكفل به ويغير حفاظاته كل صباح، زعزعته من الداخل ورجته صورته وهو يبتسم

---

[1]- مثل جزائري، معناه يرتاح الأصلع من حك رأسه.

أمامه فوق كرسيه المتحرك الصدئ ذاك. يناديه بصوت خافت ليغير حفاظاته ويضعه أمام النافذة المطلة على الشارع أين يمضي معظم يومه يراقب الحياة من نافذة ضيقة مطلة على طريق البلدية ومركز التسلية وشارع مليء بكل شيء مهم وغير مهم، يقبله من جبينه كل صبيحة وهو ذاهب للعمل ثم حين عودته يلعب معه الشطرنج مساءً ويخسر متعمدا من أجل أن يضفي على الحسين بهجة خفيفة تمسح عنه عبء حياته البطيئة ويزيده ثقة بذكائه.

في تلك اللحظة بدأت ضحكات الحسين تترامى داخل رأسه وتؤز طبلة أذنه بتيار حاد، تمزقه، تعصره، تخره قبل انتحاره وتقطع أوتار ذاكرته بسكين مطبخ باردة حافية، راح يتلاشى ببطء مرير حين تخيل مصير الحسين إذا ما مات وتركه للفقر ينهش عظامه الرثة. ثم شعر بيد الحسين وهي تمسكه، تحول بينه وبين قفزة الموت.

ـ يا خويا لا لا، توقف إن مت أنت، أنا لمن تتركني، من لي في الحياة بعد أبينا غيرك؟

كان لا يزال شاخصا في الفراغ مثل تمثال حجري يوناني تحط فوق رأسه الحمائم ويغلف بشرته الصقيع، يغرق داخل أفكاره وأفكاره تغمه وتمرر شريط حياته أمامه منتقمة منه كعشيقة عشرينية خدعت عنوة تمارس انتقامها في وجه حبيبها وهي تتلذذ بذلك.

تنهد، زفر بخار هواء من فمه. تلتصق بعض الرطوبة فوق شاربه المحلوق والمصفوف بعناية ودقة حلاق خبير وعلى شفته العليا خانة سوداء ظاهرة. وفي طرف شاربه شعرة يكسوها الشيب.

مال نحو الأمام ليلاقي ربه وحتفه. حتى سمع عصافير بطنه تزقزق ثم يشعر

بفشل عجيب في ساقيه فيحاول تجاهل الأمر ويستجمع قواه ويعزم على القفز هذه المرة وما قفز إذ قفز حتى لمح شبح فتاة على حافة الجسر. هناك على بعد عشرين قدما يسرى من الخيال والذهول والفوضى المغبرة، فتاة سمراء تحمل بالونا أحمر في يد ومن يدها الأخرى يتدلى خيط قفز. بدت له الفتاة مثل تمثال حجري مطلي بلون الإسمنت المجرد ملامحها متحجرة بذلك القدر. تبتسم للرجل ابتسامة بريئة فيبادلها النظرات بعينين حادتين متسائلا داخله عما تفعله هذه الفتاة هناك ولماذا حضرت بالضبط في اللحظة التي قرر فيها الرجل أن يرمي نفسه من الجسر. وما لها وماله إذ تراقبه بتلك النظرات المربكة، مرت حوالي الدقيقة والفتاة على حالها في مكانها لا تتحرك. ما عدا أنها تلوح له بحركة منتظمة بعينين بتولتين كأنها تريد أن تقول له كل شيء دفعة واحدة. راح يهشها من بعيد مثل قطة نحيفة تترصد شطيرة شحاذ جائع، لوح لها بيده من أجل أن تبتعد حتى لا تراه وهو يرمي بنفسه من أعلى الجسر. فبادلته التلويح بيدها الأخرى مشيرة ومعبرة من أجل أن تقدمه البالون. تجمد في مكانه وضرب بكفيه على فخذيه متحسرا ومتزمتا.

"ما ينقص الفرطاس غير حكان الراس"[2].

مترددا إن كان سيرمي نفسه أمام هذه الصغيرة أم لا. فكر في أنه قد يكون هذا أسوأ مشهد ستراه في حياتها وقد يسبب هذا لها مشاكل نفسية تدعوها للاكتئاب والتفكير في الانتحار في المستقبل، وعندما تنتحر قد تكون

---

[2]- مثل شعبي جزائري معناه ما ينقص الأقرع سوى حك رأسه.

هي الأخرى وحيدة أمها التي حتما ستكره الحياة بعد انتحار ابنتها وتقعد لتوبخ نفسها حتى يدفعها ذاك وذلك للانتحار أو الجنون. هذا ما يسمى" تأثير الفراشة" أو البوفرططو[3]" وحيث هذه النظرية تنص على أن حادثة صغيرة بإمكانها أن تكون السبب لحادثة كبيرة أو كونية. حيث أن ضربة من جناح فراشة صغيرة في إفريقيا، بإمكانها أن تحدث إعصارا في بلدة من بلديات أمريكيا. وهكذا دواليك وغير دواليك إلخ...

حقا قد تمنعك المعرفة والعلم من الانتحار بسبب التفكير المفرط مثلما قد تفعل عكس ذاك.

ـ آه يا ربي ما الذي أحضر هذه الفراشة هناك وبالضبط الآن بالتحديد في موعد انتحاري. تفووه على تأثير البوفرططو هذا. وتفووه على هذه الصدف اللعينة وعلى هذا العالم البغيض.

رفع رأسه إلى السماء فرأى غرابا يحوم بحركة بطيئة مشرعا جناحيه، وحط على سلك لعمود كهربائي يتوسط بينه وبين الفتاة، كان يبدو الغراب في عين الرجل هزيلا أو صغيرا أو هرما ربّ قابيل أدرى به لاحظ أنه يحمل في منقاره ريشة بيضاء أو ما يشبه ذلك.

تساءل الرجل في قرارة نفسه:

ما الذي أحضر هذا الغراب هنا؟ بصق أمامه ولم يهتم به أكثر من بصقته،

---

[3]- اسم يطلق على تلك الفراشة التي تحوم حول لمبة الضوء وتقول الأسطورة الشعبية أن هذا البوفرططو أراد أن يتزوج الشمس فأمرته بأن يحظر خيط نور حتى تقبل به لذلك كلما رأى مصدر ضوء حام به.

وكيف هي تنزل بحركة دورانية وسرعة خاطفة وتتبعثر في الهواء. ثم أغمض عينيه وتخيل السرعة التي سيهبط بها جسده ليتهشم بالأرض وتساءل إن كان سينفصل رأسه عن جسده أم يبقى جسدا واحدا، ثم أخرج من جيبه سيجارة "ريم" مُرة، يبدو أنه أشعلها سابقا حد سرتها وأطفأها متقصدا. ثم راح ينسفها مع الريح ليدعم الاقتصاد المحلي، يدخنها أو ينتقم منها، داخل في بعضه، محير المخلوق أسود الرأس هذا، يراقب الفتاة كأنه يتحداها بأنه لا يبالي وسيقفز ويظهر لها بأنّ لا شيء يهمه، أو سيمنعه من القفز، لا الأطفال الصغار ولا الأعاصير ولا الزوابع ولا الفراشة ولا ابنتها ولا الغراب الأقرع ولا حتى موت كل سكان إفريقيا اللعينة وفناء هذا العالم الحقير.

بنفس واحد. ينسف عشر نفخات على وجه الحزن تباعا، ثم يتأمل السيجارة بين أصابعه ينظر في وجهها بمرارة. دون مبالاة، يطلق نظراته الباردة نحو الفتاة من بعيد. دون أن يرمش، ثم ببطء شديد يقرب السيجارة من عنقه ويطفئها تحت أذنه غير مبال بأثر الكية كأنه معتاد على ذلك، ومع تلك الحركة تباطأ تلويح الفتاة، لتتوقف تماما وتحوّل لتمثال حجري يواصل المشاهدة بعينين طحلبيتين غارقتين في حيرة مائعة.

كان الرجل يبدو في عين الغراب أقرع الرأس فوق عمود الكهرباء على بعد عشرين مترا منه كفزاعة في حقل قمح قاحل، شارد الذهن كأنه ميت على قيد الحياة، تحط ذبابة زرقاء فوق أنفه، تزحف نحو أرنبة أنفه، ثم تتبعها أخرى تحط على طرف جبهته الواسعة، مثل تمساح ملطخ بالطين. لا يصك ولا يحك ولا يحرك ساكنا، لا يفعل شيئا سوى إرسال نظرات تحدي باردة نحو تلك الفتاة الشبحية الغامضة. لم يعد يهش الذباب على وجهه، لا يبالي

حتى بأثر كية السيجارة في عنقه، يبدو هائما وجافا من المشاعر فاقدا لطعم الحياة مثل بطارية صغيرة انتهت صلاحيتها ونفدت منها الطاقة، يبدو أن الروح نفدت منه أو فقد الإحساس، وفي الحقيقة ـولنكون في الصورة ـ أنه قد تمنى من قبل كثيرا في قرارة نفسه لو أنه فاقد للإحساس، ورأى أن الجميل في الأمر وفكر فيه مبتسما حتى بدت تجعدات حول عينيه وبريق مضبب، رغم كل هذا كان لأول مرة سيحقق وعدا قطعه على نفسه مرارا، بأنه سيقلع عن التدخين. وها هو سيفعل ذلك للأبد.

بعدما أطفأ السيجارة في عنقه، ضرب عقبها بإبهامه، لتسقط تحت أنظاره، ببطء شديد

تسقط السيجارة

تسقط السيج

تسقط

تسق

ت

.

تحلق في الهواء، تأملها حتى توقف الزمن.

يركز في سقوط السيجارة، هبوط بطيء بمسار غير منتظم... تصفعها أيادي الريح هنا وهناك. ثم يتذكر الحاج "قدور البطحي" وهو يقول له:

"ايه يا بني الدنيا ذي، فانية! تموت وترجع تراب، عش رجلا ومت على أنفك، واعرف أين تضع أنفك! الدنيا فانية وما يبقى غير مولاها".

كان يبدو متأنقا، حليق اللحية. بربطة عنق حمراء، يضع عطرا خفيفا، يذكر بالشتاء والقهوة والعذوبة، مثل رجلٍ في أول موعد غرامي له / أول موعد

انتحاري له.

ثم قبل أن تفارق رجلاه الحافة، يحشر يده في جيبه الآخر ويخرج هاتفه الميل صون[4]، ليعرف ساعة موته بالضبط، ابتسم وشعر بنشوة غريبة حيث أعجبته فكرة أنه محظوظ لأنه على الأقل سيعرف بالضبط موعد موته عكس كثير من الناس الذين يتخطفهم الموت عن حين غرة ومحض غفلة. يتفقد سجل المكالمات الفائتة وينتظر أن يتذكره أحدهم باتصال أو حتى برسالة نصية، لكن وا خيبتاه! سجل المكالمات خاوٍ مثل ثلاجة بيته. ربما مكالمة واحدة وقد يعيد التفكير في مسألة انتحاره، لم يصله أي اتصال وأضحى كبيت أحزان، يستعمل الميل_صون في شيئين لا أكثر، ليعرف الساعة ويلعب لعبة الدودة، أما هذه الأخيرة التي لو أقيمت بطولة عالمية فيها لكان من دون شك الفائز الأول بها، فتح اللعبة، بأصابع يد واحدة راح يقود الدودة ويتبع الكرة الصغيرة يلتهمها ببراعة، راح يراقص الدودة مثل أفعى كوبرا يحوم حول الكرة الصغيرة، يتأملها، لم تعد له شهية في الأكل، فقد أكمل جميع مراحل اللعبة، حتى صار يكتب بها أسماء ويرسم بها أشكالا مختلفة، تمكن من تمديد طول الدودة حتى ملأ بها كل شاشة الميل_صون، كبير الرأس لا يملك حتى رقما قياسيا يهدف لتحطيمه حيث أنه بلغ حدود اللعبة القصوى، أحس أن دودته التي رباها وربى الميل_صون من أجلها تعبت وملت، ثم أرجع الدودة للحائط، رفع الهاتف أمامه وأرخى أصابعه عن أزرار التحكم، ترك لها حرية القرار فكم قضت من الزمن وهي مسيرة فهل خلقت الدودة لتكون مسيرة

---

[4]- هاتف من طراز قديم Nokia 1100

أم مخيرة؟ تساءل بتنهد وزفرة. هل يا ترى أنا مسير أم مخير؟ تساءل في سره وتنهد طويلا.

راح يراقب الدووووووووووو وهي تنطلق مسرعة لتصطدم بالحائط المقابل ووووووووودة|، دون شك أو تردد، شعر بالسخرية من نفسه أحس أن دودة رقمية حقيرة أشجع منه، حيث أنها لم تتردد في الموت حين واتتها الفرصة، اتخذت قرارها على عكسه، خطط لألف حساب ونهش ألف فكرة...

هل قتل الدودة؟

أم الدودة أرادت أن تنتحر؟

ربي عالم!

***

نفر من أفكاره متأججة تتأرجح على خيط رفيع داخل رأسه، بعدما طارت كل خيوطه، أي دافع صغير والدائم سيدي ربي...

في تلك اللحظات شعر بألم في بطنه، أحس أن مثانته ممتلئة بحاجة ماسة لإفراغها، أنساه همه حتى حاجته البيولوجية للتبول، هل من الخوف من الموت! أم النهاية! أم شيء غير ذا؟ أراد أن يقضي حاجته قبل أن ينتحر، فكر في قرارة نفسه أنه عيب أن يغسلوا جثته بعد موته وينتهكوا حرمته، هذا مخز، شعر بلسعات من الألم قادمة من أحشائه التي تمزق بمرارة مقيتة، غليظها يعصر رقيقها ورقيقها يسلخ غليظها، أحس بجفاف شديد في حلقه، شعر أن مثانته متحجرة ومتصلبة، لم يستطع أن يتجاهل الأمر فتراجع للخلف بخطوات مرتبكة، متباعدة، نطاطة، وإذ يفعل ذاك قد يوهم تلك الفتاة المرعبة بأنه قد

تنازل عن فكرة انتحاره لتغادر مكانها وتفسح له المجال والفضاء من أجل أن يرمي روحه.
قطع الطريق بخفة جرذ ثم أدلف لأقرب زقاق قابله، حشر نفسه كالفأر قرب حاوية قمامة، لاحظ كتابة على الحائط الأبيض أمامه، يبدو أنها كتبت بمخاخة طلاء سوداء بالخط العريض.

هنا يتبول الحمير

شعر بشقاوة لذيذة في مخالفة ما كتب، كانت عبارة مستفزة ومغرية لخرقها، تقدم يتبول على الحائط بلذة، باستهزاء، كانت بولة بنشوة قذفة.
ـ ها قد فعلتها، هأنا حمار!
ـ ثم ماذا أيها الجرذان!

#زووووم بعين الرجل:

على طاولة مستديرة تجتمع عائلة متواضعة من النمل الأسود الفقير، العائلة على قدها مكونة من خمس أفراد، يتعشون بسعادة وهناء.
ثم فجأة!
تتعالى صرخات النجدة بينهم، تغرق النملات في فيض من سائل أصفر الأب يدفع ابنته خارج البركة الحمضية، ابنته تصرخ وتتشبث به بقوة، زوجته تغرق تحته، ولده يجرف به السيل للبعيد بعد عرك ومرج وهرج، جفت

خشبة المسرح وسلط الضوء على نملة صغيرة صلعاء تشبه حبة مطر تبكي المغبونة بحرقة، وتنتف في شعرها، يتيمة، النملة السوداء...

يتيمة!

المهم.

لا يهم!

فمن يحزن لموت عائلة نمل حقيرة!

ومن يحزن لموت مواطن منتهي الصلاحية مثلي!

قبل أن يهم بغلق حزامة سرواله السميك، وإذا به يسمع أنينا قادما من الجانب الآخر من الحاوية، يقترب منها ببطء و.../

#لوحة تشكيلية بألوان ا ل ح زن

عجوز أصلع نحيف، يضم رجليه إلى صدره، تسطك أسنانه من البرد يقعد على كرتونة بالية، تغطي جسده عباءة بيضاء مثقبة رقيقة ورثة تُظهر من تحتها فخذي زاوش[5].

تذكر أنه ذاهب لينتحر، فخلع سرواله الجينز دون تردد ألبسه للشيخ الذي تعلق في كتفه وكاد أن يدخل كل جسده في السروال. لكن العجوز تلوى داخل السروال مثل القماطة، مثل فراشة داخل شرنقتها تنتظر قدوم الشمس من أجل أن تخرج وتطير. بقي الرجل ببكسور أبيض يستر ما بين فخذيه وجوارب غريبة، صفراء بشرائط حمراء وخضراء. طويلة حد ركبتيه. تبدو مثل جوارب عجائز خاطها طفل صغير. وفي رجليه حذاء كلاسيكي ذو

---

[5]- الاسم الشعبي الجزائري للعصفور (ويطلق بكثرة على عصافير القرميد)

لون أحمر كرزي لماع يبدو أنه قد حرس على انتقائه مثلما حرس على تصفيف شعره وشاربه.

أغلق معطفه البني من الجلد بزر واحد فقط عند سرته. ثم بعدما أفرغ ما أفرغ. عاد يمشي ببطء وثقة رجل ديبلوماسي وقور بمشية غريبة ومميزة. يباعد بين ساقيه ويفتح ذراعيه، يميل إلى الخلف قليلا مخرجا كتفيه كأنه يسير على أصابع رجله حتى لا يكاد كعب حذائه يلامس الأرض. يتثاقل قاطعا الطريق منسحبا كحلزون مبلل يتزحلق على كتف طريق معشوشب في ذات مطرة وسعلة، يمشي بثقة ويرفع ذقنه عاري الفخذين، بمعطفه الطويل وقميصه ذو ياقة العنق المطوية بإحكام رسمي وأناقة وزير.

يتثاءب، يطلق ريحا ويحكّ مؤخرته ثم يشم يده، يبلل شفتيه بلسانه ثم يبصق على الأرض.

"يفعل ما يفعله السجناء والعاطلون عن العمل "لا يربي الأمل"

براحة ودقة وكثرة أدب، يرتكز على أصابع قدمه اليمنى ليحك مؤخرته، يتوقف وسط الطريق، يفتح رجليه، يفرج ساقيه العاريتين المشعرتين، يضحك بهستيرية، أم يبكي بقهقهة حرقة وغصة؟ ربي عالم!

يشير ضاحكا للسيارات، بعبور النفق بين ساقيه الطويلتين المشعرتين.

ارتفعت أبواق السيارات وتعالت الهتافات، تصرخ في وجهه لينزاح عن الطريق، تسبب في ازدحام خانق على طول جسر "القنطرة السوداء" بمدينة عين الدفلى. الناس يقذفونه، بالجرائد وعلب الدخان، والحصى، يسبونه يصرخون في وجهه.

ـ امشي... امشي... وإلا سأنزل وأسود لك حياتك.

ضحك من آخر ما سمعه وتمدد أكثر منتشيا بطريقة غريبة تظهر من ضحكته المرتخية المتقطعة. جاعلا يده على الأرض خلف ظهره.

والآخر من بعيد مصفقا:

ـ جاءنا مهبول جديد صفقوا له يشطح...

ورجل ضخم منتفخ البطن ينزل من سيارته بيده "كريك[6]" بحجم ذراعه... يتقدم والشرر يتطاير من عينه.

مع ذلك لم يتحرك الرجل ووقف وسط الطريق، كجنرال من دون سروال. جذب الرجل الغاضب إليه، أمسكه من يده ووضع "الكريك" في جبهته مباشرة. أغمض عينيه وطالبه بأن يضرب بشدة.

ـ اضرب... نكّ نكّ ههه نكّ هه. اضرب راس البطيخ هذا. هيا اضرب بشدة يا بطريق، يا كرة الشحم.

اندهش الرجل النازل من شاحنته من ما يفعله هذا المجنون وهو يتحداه بصورة استفزازية. ضغط بشده على أسنانه حتى كاد يكسرها ودفع الرجل للخلف متأففا ومستغفرا.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله. الله يعطيك العقل.

رد عليه الرجل بثقة واستهزاء أكبر.

ـ الله يعطيك الشجاعة يا بطريقة. ههه... ههه.

رفع الرجل القصير المكور" الكريك" في الهواء وقبل أن يهشم رأس الرجل

6- آلَةٌ حَدِيدِيَّةٌ تُرْفَعُ بِهَا عَجَلَةُ **السَّيَّارَةِ** عِنْدَمَا يُرَادُ تَبْدِيلُهَا أو إصلاحها.

أمامه. أمسكته زوجته من الخلف وراحت تهدئه والشرر يتطاير من عينه. حتى قبلت يديه تترجاه بجاه ابنهما الصغير في الشاحنة أن يهدأ ويكف عما يفعله. نظر الرجل إلى الشاحنة وعندما لمح ابنه الصغير هدأ وعاد إلى الشاحنة منتظرا.

أخرج لسانه وراح يضحك عليه ويسخر منه:

ـ يا بطريقة يا بطريقة يا خوافة... ههه نكّ نكّ ههه.

يتمدد الرجل على الأرض أكثر ويسخر من حشد السيارات أمامه على الجسر مسببا ازدحاما خانقا.

ـ لن أتحرك، ذي الطريق خلقها ربي، كما خلقني وخلقكم.

ـ لماذا أنا الذي أنهض... لماذا لستم أنتم من يغير الطريق!

بست...

بست بست بست

بست... بست بست.

ثم طاااااااااااااااااااار

الغراب من فوق عمود الكهربا ء

و

س

ق

ط

ت ريـــــــــــــــــــــــــشة

من منقاره بجوار الفتاة التي لا تزال متجمدة في مكانها كتمثال حجري.

حاشية 1:

يقع جسر القنطرة السوداء في مدينة عين الدفلى حيث تم تشييده فوق واد شلف، هو واد من مياه المجاري قادم من ولاية شلف التي تقع على حدود ولاية عين الدفلى التي كانت تابعة إداريا لولاية شلف (الأصنام سابقا) وانفصلت عنها عام 1984 منذ ذلك الوقت بدأت هذه الولاية بالتطور والازدهار فأصبحت محورا تجاريا لمختلف الولايات الجزائرية الأخرى، فهي تزخر بعدة معالم طبيعية مثل سلسلة جبال الظهرة، وجبل زكار كما لها دور في الاقتصاد الجزائري نظرا لأنها تملك العديد من الموارد كالفحم المتواجد بكثرة في بلدية الروينة.

وكغيرها من مناطق الوطن المختلفة مرت ولاية عين الدفلى بمراحل تاريخية بارزة، بداية بالمرحلة الفينيقية الرومانية، إذ أن منطقة الظهرة، وسهل المينة كانتا محتلتين من طرف القبائل الماسوشية، وكان ذلك قبل مجيء الرومان في بداية القرن الأول الميلادي. وبدخول الرومان المنطقة قاموا بإنشاء مراكز مراقبة مثل: أو بيديم نوفيم (oppidum – novum) الذي أنجز على هضبة تطل على الطريق الممتد على الضفة الشرقية لواد الشلف، وبالضبط بالجهة الشمالية الشرقية لمدينة عين الدفلى، وكانت مهمتها الأساسية مراقبة السهول والتصدي لهجمات القبائل الرحل.

كانت تسمى عين الدفلى منبع الزهرة الوردية (La source de la Fleur rose) في العهد الروماني... وبعدها اختصرت التسمية إلى عين الدفلى. وسميت ديبيري على الأميرال ديبيرى حيث صنع له تمثال سابقا في ساحة

الشهداء مقابل مسجد الخضراء الآن في خمسينيات القرن الماضي.

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ}
(المؤمنون / 115).

قصيدة من عالم القطط

ريحٌ سوداءُ
تُزمجِرُ بالوَيل
قِطةُ عِشقٍ
في الشارعِ
تَنتَظِرِ الليل
تَكشُفُ عن نَفَذٍ
وتُغَطّي
سَتَرَ اللهُ عَلينا
وعلى القِطةِ بالذَّيل
تُستَدعى للمخفَرِ
يَنكَحُها القِسمُ المُختَصُّ
بتَدعيمِ بُنانا التَّحتيةِ
شاهَدَت القِطةُ
مِن شَقِّ الحائط
قِطّاً وطَنِياً يُنفَخُ
بالغازِ الوطنِيّ الفاخِرِ
ويُخصى
رفَعَت يَدَها
لِتُحَيي المنفوخَ

وغَنَّت:

"وطني حبيبي
وطني الأكبر".

رررررررررررررررنين هاتف ثابت.

ـ ألو.

ـ السيد حميد فرحات.

ـ نعم.

ـ نريد أن نعلمك أن زوجتك قد جاءها المخاض وهي في غرفة الولادة الآن في مستشفى مكور حمو و...

أغلق الرجل الهاتف قبل أن يكمل المتصل به كلامه ونظر بعينين متوجستين إلى الساعة المعلقة على الحائط وراءه وكانت تشير إلى العاشرة إلا خمس دقائق. نزع مئزره الأبيض. أغلق باب الصيدلية التي يعمل فيها بسرعة، وتمكن من إدخال المفتاح في القفل بصعوبة بسبب يده المرتجفة، وكانت من عادته أن يغلق على الساعة العاشرة ليلا ولكن الليلة هي استثناء بسبب الخبر الذي تلقاه. بسرعة ركب سيارته " الرونو الزرقاء" متجها إلى المستشفى الواقع على بعد شارعين من مكانه، وصل إلى مفترق طرق قريب، لاحظ قطرات مطر بدأت تهطل على الزجاج الأمامي للسيارة، توقف لوهلة يحاول إمساك قلقه، الليل والمطر والضباب يبتلع المكان داخل عينيه، شغل ماسحات الزجاج الأمامي، تنهد، ونظر إلى المرآة العاكسة فوق رأسه والتي عكست ملامح وجهه التي سادها الخوف والترقب، رفع رأسه فوجد أن الإشارة لا تزال حمراء وإشارة السماح بالعبور تبقت على ظهورها 39 ثانية، في تلك اللحظة تخيّل زوجته وهي على سرير الولادة تعاني ألم المخاض لوحدها، فلم يقو على الانتظار أكثر فضغط على دواسة الوقود ليخالف إشارة التوقف حتى

كادت أن ترتطم به سيارة سوداء من نوع بيجو 505 ولولا فطانة سائقها الذي تجنبه بحفظ قادر لكان صاحب الصيدلية من الهالكين.

الصيدلية مغلقة

في ليلة من ليالي الشتاء الكسولة. كانت واقفة هناك تحت تلك العمارة الهرمة. عند مفترق الطرق في قرص الدوران الذي تتوسطه ساعة تشير بعقاربها إلى تمام الحادية عشر ليلا. تنتظر على كتف طريق فرعية شبه خالية. الليل رخو وهلامي يبتلع المكان في دفء حميمي، حبات المطر تتهاوى بدفء فوق أسطح العمارات الصفراء الباهتة المتجاورة. ترقص رقصة الموت على أوتار الرياح الدافئة المغرورة، تخلق نغما موسيقيا على لحن الجاز الليلي الذي يتخلله قرع طبول أسقف السيارات المركونة في جانبي الطريق العريضة. وحفيف أوراق أشجار الأوكليبتوس ونخلات باسقات صغيرات غير ناميات، على حواف شارع منتش وملتحف بغموض طيني بارد ضيق الحنجرة وعيونه إسفلت يلمع على ضوء قمر خلوي يعكس نوره على مرآته الملساء، والأرض شبقة من مني المطر الدافئ، تبعث رائحة تمتزج بالطين الأحمر، آثار التشققات الصغيرة إثر زلزال "الأصنام[7]" لم تندمل بعد، وأوراق الأشجار وريق الأرض يسيل يحاول مداواة صدوعها، والعمارات شهباء الجلد لا تزال تعاني من تجشأ الأرض قبل مدة وجيزة ومريبة، الشهباوات وأسِّرَتها الإسفلتية البهاقية[8]، تصوم صيفا وتحج إلى الشتاء بلَوعة فتاة صغيرة في ليلة دخلة، طريق

---

[7]- مدينة شلف سابقا وأطلق عليها هذا الاسم من قبل العرب الفاتحين لما رأوا البناءات الرومانية والأعمدة الكبيرة في المدينة فقيل إنها بلاد الأصنام.

[8]- من البهاق وهو مرض جلدي يسبب ظهور بقع يفقد فيها الجلد لونه.

واحدة تبقر أحشاء الشارع حيث تنفرج منه مصارين صغيرة وغير مكتملة، تقود إلى أزقة ضيقة ممتلئة بباعة الكيف والقطط وبنات الليل والصراصير الأنيقة والكلاب الضالة وأخرى تقود إلى أرض عذراء لم تقرر من سيخصبها وماذا ستلد، حاويات القمامة ممتلئة حد العياء ومحنية حد التعب، جرذان لزجة مكوّرة تقطع الطريق مسرعة وتدخل في البالوعات شبه المسدودة، حفرة ماء تتوسط الطريق مثل ثقب أنف، ومطبات السرعة ممسوحة وحافية بلهاء، أكلتها العجلات وأغفلتها الأشغال العمومية، صهريج حديدي صدئ يقطر بطنه في نهاية الشارع ولوحة خشبية هشة كتب عليها [حي 1 نوفمبر 250 مسكن].

أضواء سيارة تقترب ببطء، لتظهر سيارة سوداء من نوع بيجو 505 تبقر الشارع الضيق، تعبر بسرعة خفيفة وموسيقى الراي تصدح من داخلها ممتزجة بصوت المطر الذي يزيد من إيقاعه، تخفف من سرعتها عند حفرة الأنف. الماء يجري على غمازتي وجه الطريق الإسفلتية البهقاء. وفي الضفة المقابلة من العمارة المجاورة يظهر كلب بني الفرو وأذناه ساقطتان، يمشي ببطء ويعرج قاطعا الطريق بلا مبالاة. كل شيء في الشارع يسير بحركة ثقيلة وسلاسة كأنه يذوب في بعضه، وعلى عتبة العمارة المقابلة للجهة الأخرى من الطريق التي كانت تتوسط المستوى المعماري وتطل برأسها لتكسر الواجهة بطولها وشرفاتها الخارجة عن اللزوم، في حجر تلك العمارة، إطار عجلة سيارة مشتعل يلتف حوله قرابة ستة فتية. وبجوارهم على بعد أقدام تحت كرتونة تكاد تتحلل من البلل يختبئ قط أبيض، يتمرغ على الكرتونة وينفض وبره من المطر. ثم يخرج من تحت الكرتونة قبل أن يهلك من مني السماء، بخفة وحذر ها هو

ذا يقطع الطريق ليدخل مصرانا صغيرا يقود إلى حاوية ما باحثا عن قطة ليل شبقة أو جرذ أبله.

وفي الجهة المقابلة من الشارع تحت تلك العمارة الباهتة كانت لا تزال واقفة كتمثال قديسة أعيد ترميمه بيدين خبيرتين، تبدو في الثلاثينات من عمرها تحمل بيدها سيجارة تظهر شعلتها على بعد أمتار وطريق، تعبث بها بين أصابعها ذات الأظافر المطلية بلون أصفر شديد، حركة أصابعها كأنها تبعث بإشارة محددة أو تريد أن تثير الانتباه. واقفة تحت عمود إنارة حزين تغمز لمبته حيث ينطفئ ويشتعل بسبب المطر واصلا إلى رعشات غنجية[9] متتالية، لا يتعب وتخر قواه، كان تقريبا ذلك هو المكان الوحيد المنار في الشارع إضافة إلى إطار العجلة المشتعل والساعة التي تتوسط محور الدوران. ورغم البرد إلا أنها كانت تلبس في رجليها نعلا وبريا خفيفا سطحه فيه ريش أسود. وفي أظافر رجلها طلاء أحمر لماع. كانت تخرج رأسها. ناحية الرصيف وتراقب الطريق هنا وهناك. ثم ترجع لتختبئ تحت اللمبة الكروية لعمود الإنارة حتى تحتمي من المطر. تبحث داخل محفظة يدها الحمراء وتخرج أحمر شفاه لماع، ومرآة زرقاء صغيرة، بخفة وبراعة تعدل كحل عينيها الكبيرتين السوداوين ثم تثبت أحمر شفاهها المثير إذ تحك شفة بأخرى بحركة بارعة حتى توزع أحمر الشفاه بتناسق. مثل رسام يحك خد ريشته ليضع آخر اللمسات على لوحته الانطباعية، تعدل من ملايتها الضيقة على خصرها الصغير ومؤخرتها المنحوتة. وإذ هي تعدل مكياجها تلاحظ اقتراب أضواء سيارة منها.

---

[9]- من الغنج وهو صوت المرأة الذي يزيد من حسنها.

فتسارع في إتمام آخر اللمسات على اللوحة. تدس مساحيق التجميل في حقيبة يدها المكورة الصغيرة ثم بهدوء وتألق تسحب علبة سجائر حمراء على سطحها كتبت "إلهام"[10].

تقحمها بين شفتيها المنتفختين المزينتين بخانة صغيرة في طرفهما العلوي الأيسر، وتراقب السيارة وهي تنقص من سرعتها. لتتوقف أمامها. فينزل زجاجة السيارة ببطء. يظهر رجل أسمر ببذلة أنيقة ولحية سوداء خفيفة مربع الوجه وعريض الجبهة، يخفي عينيه بنظارات سوداء مستطيلة الإطار. من مقعده ودون أن ينزل من سيارته يميل نحو الأمام قليلا ويحلق في السيدة الواقفة تحت عمود الإنارة وهي تبحث عن قداحة لتشعل سيجارتها.

تقترب السيدة من نافذة السيارة، يقدم لها الرجل قداحة رأسها على شكل كوبرا، تلاحظ السيدة في أصابع يده أربع خواتم كبيرة. تشعل سيجارتها وتأخذ نفسا سريعا وعميقا من أجل أن تمسك السيجارة لهيبها ثم تعود لتحتمي من المطر تحت عمود الإنارة.

يكح الرجل متكئا نحو الخلف في مقعد السيارة ثم بنبرة خشنة وهو يضع يديه على مقود السيارة والسيدة تظهر له نصفا من زجاج باب السيارة المقابل:

ـ بكم؟

ترد السيدة دون أن تنظر نحوه وهي تأخذ أنفاسا متتابعة من سيجارتها.

ـ مئة ألف دينار في السيارة وأربعمائة ألف في الفندق.

ـ أووو... لم أكن أعلم أني التقيت بمارلين مونرو ولم أدري!

---

[10]- ماركة دخان نسائي كانت منتشرة في الوسط الجزائري حقبة الثمانينيات.

ـ هذي هي السلعة أدي ولا خلي.

ـ أنا لا أحب السمراوات على كل حال.

ـ لا يهم!

الرجل مبتسما:

ـ هيا يا مارلين دعينا نذهب من هنا.

ـ لا، لا... لا، لا... مئة ألف دينار أو تصبح على خير عزيزي.

قالتها بثقة وهي ترجع شعرها الطويل للخلف.

ـ أووه يا لك من عنيدة هل تريدين أن أذهب وأتركك هنا تحت هذا المطر. في هذه الليلة الباردة!

ـ لا يهم هناك غيرك.

ـ من الأخير اسمعيني أربعين ألف وهيا بنا لن نطيل الأمر!

ـ ....

ـ اسمعيني الليلة باردة وسيزيد هطول المطر وستتحول مارلين مونرو إلى ريميتي بورنو هههه، هذا إن بقيت هنا طبعا.

ابتسمت حتى بدت لها ضرس فضية تخفيها وحاولت أن تخفي ابتسامتها العريضة بيديها.

ـ هيا عمري. هيا... شوفي سأزيدك خمسين ألف ومحاجب[11] ما رأيك!

---

[11]- أكلة تقليدية مشهورة في الجزائر وهي عبارة عن رغيف رقيق يحضر من الدقيق والماء ومع حشوات عدة منها البصل والطماطم. ويحضر الكل في شكل طبقات من العجين المربع الذي يطوى عدة مرات ثم يقلى في الزيت.

انحنت السيدة من السيارة مجددا وتفرست في الرجل مليا وكانت تبدو تحت ضوء السيارة الداخلي. بعينين عسليتين وشفاه ممتلئة وشعر ذي أطراف مصبوغة بالأصفر والأحمر. جميلة وفاتنة.

ثم تراجعت للخلف وجمعت يديها ورفعت رأسها.

ـ ستون ألف لأنك سكران وسأجازف بالركوب معك.

ـ أنا سكران أنا... قال سكران... قال...

ـ تصبحين على خير إذا يا صغيرتي...

ثم تحرك ببطء. وفي تلك الأثناء نظرت السيدة هنا وهناك لتجد نفسها وحيدة وتلك الجماعة من الشباب الملتفين حول ذاك الإطار المشتعل. يتهامسون حولها أو خيّل لها ذلك. وكان المطر يتزايد. وقبل أن تبتعد السيارة قفزت نحو الرصيف ولوحت بيديها للرجل ليرجع للخلف ويفتح الباب للسيدة من أجل أن تركب.

ـ هل حقا تجيد صناعة المحاجب!

ـ طبعا. طبعا تعلمتها من أمي.

ـ أكثر لي من الحار إذن.

ـ ههه. حسنا. حسنا لك ذلك. يا لك من غريبة ومجنونة.

ـ لكن أين نجد عطارا فاتحا في هذا الوقت المتأخر!

ـ لا أعلم. لكني أعلم أن ما يميز الرجل عن المرأة هو الكلمة.

ـ آه على الكلمة آه... تريدين أن تأكلي محاجب يا حلوتي. سنأكل محاجب لا تخافي. وسنأكلها مثلما لم تأكليها من قبل. لكن لم تخبريني ما اسمك؟

ـ لا تهم الأسماء والتعريفات!

ـ إذن ماذا يهم؟ قالها وهو يدخل شريط كاسات داخل مشغل الموسيقى.

ـ اللحظات والآهات...

ضحك الرجل ورفع مستوى صوت الموسيقى وبدأ يغني وراء أغنية للمطرب الوهراني أحمد وهبي وكان صوته مناسبا للأغنية أتقنها إذ يبدو أنه كررها كثيرا من المرات:

يا عشاق الزين ساعدوا واك القلب حزين[12]

جرحت الخدين بالمدامع ديما سيالة

شعلت نار البين في دليلي والهجر توالى

اا بويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا لالا [13]

ثم اقترب منها أكثر بعينين هائمتين ينظر إليها بشبق:

مذبلة الانعاس عيونها مثل عيون غزالة

وجميع اللي قاس زين ولفي للبدر جهالة

اا بويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا

ثم يكرر المقطع الأخير من الأغنية يغنيه بصوت خشن شجي وعميق:

---

[12]- قصيدة للشاعر الشعبي أحمد بن تركي أول من غناها هو المطرب الشعبي الوهراني أحمد وهبي.

[13]- يا أبي الحنون قد تعب قلبي من كلمة لالا.

مذبلة الانعاس عيونها مثل عيون غزالة
وجميع اللي قاس زين ولفي للبدر جهالة
اا بويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا
اا بويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا

كانت تبتسم منبسطة لهذا الرجل المرح. وقد أعجبتها خفة دمه. ثم فجأة وضعت يدها على زر مستوى الصوت وأنقصت من الموسيقى. وهي تراقب المحلات المغلقة في الخارج تبحث عن محل لا يزال مفتوحا وضعت يدها على كتفه وهزته:

ـ هل معك Preservative!

ـ Preservative!

قالها مبتسما كأنه لم يفهم معنى الكلمة.

ـ أقصد واقي...

ـ لا لا. هذا للصغار والمبتدئين يا عزيزتي.

ـ لا لا علينا أن نشتري واقيا.

ـ حار ثم واقي... ماذا أيضا هل تريدين أن نتزوج أيضا.

ـ بعيد الشر إذا أنا أتزوج بسوكارجي.[14]

ـ شكرا أيتها الطاهرة العفيفة سأقتلك بالحار الليلة انتظري فقط.

ـ هيه أمزح... أمزح... أنت رجل شريف وشهم ووجه الخروف

---

[14]- من كلمة سكران ويقصد بها كثير السكر مدمن للشرب.

معروف.

ـ أنا خروف! أنا...

(قالها بخبث وبنبرة ممازحة مدعيا بأنه لا يعرف معنى المثل)

ـ لا أقصد هذا. هيهه... الليل والشارع علماني الكثير من الأمور من بينها أني صرت أعرف نوايا أي رجل يقف أمامي وأميز مراده وعقليته من أول نظرة، هذه خبرة اكتسبتها بعدما تأذيت كثيرا...

ـ تأذيت!

ثم وصلت السيارة إلى مفترق طرق وكانت الإشارة خضراء تسمح بعبوره، وإذ به يلتفت على يساره فيلاحظ سيارة قادمة في اتجاهه، قد خالف سائقها إشارة التوقف، ولولا فطنة الرجل الذي تجنب السيارة الأخرى بحفظ قادر لكان من الهالكين.

تقول السيدة وهي تضع يدها على صدرها مرعوبة:

ـ كدت تقتلنا يا رجل. لا يهمك كيف تأذيت... فقط انتبه للطريق أمامك وابحث لنا عن صيدلية قريبة لنشتري واقيا. هذا لسلامتك وسلامتي يا حبيبي.

ابتسم الرجل وقال:

ـ لا تخافي فأنت معي.

ـ لا تقتلنا فقط ولنشتري ما أخبرتك عنه.

ـ حسنا... كم هي الساعة.

ـ إنها العاشرة إلا خمس دقائق...

ـ جيد... هناك صيدلية قريبة من هنا تغلق على الساعة العاشرة في

العادة... إذا أسرعنا قليلا يمكننا أن نصل قبل العاشرة.
ثم بعد لحظات وقبل أن تدق الساعة العاشرة وصلا إلى الصيدلية ليجدا أنها مغلقة.
قالت السيدة:
ـ ما هذا الحظ العاثر، ألم تقل أن الصيدلية تغلق على العاشرة وأنك معتاد أن تشتري منها؟
ـ نعم في العادة هذه الصيدلية تبقى مفتوحة حتى منتصف الليل، لكن لا تقلقي يا عزيزتي... أظنني أملك واقيا في المنزل!
ـ اتفقنا في السيارة يا عزيزي هل نسيت!
ـ ستضيعين عليك فرصة تذوق أشهى محاجب أكلتها في حياتك والحار والحار. هههه! (قال كلمة الحار الثانية بنبرة مختلفة ومضحكة)
ونظرت نحوه وهي تبتسم بعينيها البراقتين
ـ أيها الماكر أنت تعرف كيف تستدرج النساء.
ـ مثلما تعرفين كيف تنفضين جيوب الرجال.
ثم رفع الرجل صوت الأغنية وأمسك السيدة وعانقها تحت ذراعه وراح يغني لها بصوته الخشن الذي استمتعت السيدة به رغم غرابته:

قدك غصن رشيق صار فتنة للناس حقيق
خدك ورد اشقيق في رياض مدبل يتلالا
ما يجنيه حديق حاجبين يبريوه بنصالا
ابويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا
اذا انا مت شهيد في غرامك من غير ضلالة

ثم تتبعه وتغني آخر مقطع شاردة العينين غارقة في جو من الحميمية ودفء الأنفاس والعناق والمطر.

اااابويا حنيني طاب قلبي من قولة لالا... لا لا..

بعد مسير ربع ساعة وصلا نحو عمارة طويلة وكان الجو حالكا في الظلمة والشارع خال سوى من بعض القطط التي تختبئ تحت حاوية قمامة مقلوبة في مدخل العمارة، نزلا من السيارة. عانق الرجل فتاته وحشرها داخل معطفه ليحميها من الشتاء. ثم صعدا في سلم العمارة وضحكاتهما تتعالى. وصلا إلى آخر طابق أين غرفة الرجل. فتح الباب ودخلا. استلقيا مباشرة على سريره الكبير الذي يتوسط غرفة نومه وكانت الإضاءة خافتة. أمسكها من ذراعها وسحبها نحوه مباشرة وإذ هو يقترب منها ببطء. أمسك شعرها وسحبه خلف ظهرها **ليلاحظ تلك الوحمة السوداء الموجودة في الجانب الأيسر من رقبتها على شكل نصف قلب**، مرر أصابعه فوقها ببطء، ثم لاحظت السيدة أنه سيسألها عنها وقبل أن يفعل ذلك قفزت السيدة فوقه.

ـ ألم يعلموك ألا تدخل مباراة دون جوارب؟

ـ من صغري أحب أن ألعب حافيا!

ـ لم تخبرني ما اسمك أيها اللاعب؟

ـ هل تهمك البدايات والتعريفات والأسماء بقدر ما تهمك اللحظات والآهات؟

ـ هل تعتقد أن اللحظات والآهات أفضل من التعريفات والبدايات؟

ـ أنا لا أعتقد هذا، بل أنا متأكد... (ثم مد يده ليصافحها) على كل

حال أنا أحمد... وينادني أصدقائي بأحمد البغل.

ـ لا تبدو كذلك.

ـ لا عليك... في الملعب ستتأكدين من ذلك، ماذا عنك!

ـ أنا نعيمة الحراشي.

ـ حسنا لنبدأ المباراة يا نعيمة.

ثم زادت وتيرة المطر ممتزجة بالغنج، الضحكات والآهات واللهفة وصرير أقدام السرير وظل محني على الحائط المقابل، وتصاعدت الأنفاس.

الأنفاااس

الآهاااااات

الأنفاااااااااااااااااااااااااس

هدف.

0_1

اسمي مبارك وعمري هو العدد المحصور بين قياس قدميّ، لا أعرف من أين جئت وإلى أين سأمضي، لا أعرف حتى من أنا، يلقبني المحيطون بي "مبارك الزوبية" سمعتهم يقولون بأن الحاج قدور وجدني مرميا قرب المسجد وسط أكياس القمامة.

الحاج قدور هو الذي انتشلني ونظفني ورباني، لكن بعد كل هذه الأعوام التي لم تمر عليّ بل مرت فوقي، أظنه أخطأ حين لم يتركني أموت هناك تأكلني القطط وتركني لأتعذب هنا، وأخطأ أكثر حين أعطاني هذا الاسم السخيف الذي لا أملك منه أي نصيب، فلم أر أي بركة أو سعادة على طول حياتي التافهة السريالية العبثية البائسة، جئت إلى هذه الحياة من دون موافقتي، أنا مجرد غلطة في ليلة باردة اجتمع فيها مكبوتان من أجل لذة ساعة، ليخلفا بعدهما مخلوقا يعذّب لآلاف الساعات.

قصيدة من عالم القطط

وغَنَّت:
"وطني حبيبي
وطني الأكبر"
***
في تلكَ الليلةِ
مِن شَهر شباطَ القارِصَ
عَطَّرَ الجَلّادُ عَورَتَهُ
تأنَّقَ تَحتَ السِّروالِ
وزَجَّجَ حاجِبَهُ
نامَ بزَوجَتِهِ المسكينَةِ
لا يُمكن إطلاقاً
عبثاً
ظَلَّ الشيءُ
كما ذَنَبُ القِطةِ
يَنسَحِبُ
تَفَّ بأصبَعِه
حاولَ أن يَفتلَ شارِبَهُ
ظَلَّ الشارِبَ
مكسور الخاطِرِ

لا يَنتَصِبُ
حارَبَ مَيمنَةً
حارَبَ مَيسرةً
عَنتَرَ عَنتَرَةً
بَزَّقَ غَرَّبَ شَرَّقَ
هيهات
فَما بالشَّارِبِ
بل بالرّوحِ العَطَبُ.

ابن الشيطان
(نبوءة خيرة الكحلة)

بعد عام إلا أيام...

ـ ادفعي... ادفعي... هيا بقوة أكثر.

ـ ادفعي... زيدي... هيا.

ـ زيدي... مابقاش... كوراج... زيدي.

تمسح على جبينها وتنادي على إحدى الواقفات:

ـ اجري أنت اجلبي الماء الساخن.... هاكي الدلو...

ـ وأنت أحضري بعض البخور.

ـ يا سعيدة أحضري لي حقيبتي أسرعي...

ـ هيا بنتي ادفعي أكثر ما بقاش[15]

ـ هاتي الحقيبة هنا... أوف ها هي ذي.

ثم تخرج منها قطعة خشب صغيرة مدببة الرأس تشبه الدواة.

ـ هاكي عضي عليها وادفعي أكثر

تفتح السيدة ساقيها أكثر، تضغط على الوسائد الموضوعة تحتها وتنشب فيها أظافرها بقوة. جبينها يعرق ونظراتها موجهة نحو أعمدة السقف المتصالبة على شكل مربعات، تصرخ ملء حنجرتها، شعرها مشعث، تعض على شفتها السفلى حتى تكاد تقطعها من الألم. تتابع الصراخ بقوة أكثر... ثم تقحم العجوز الخشبة بين فكي السيدة، تعض عليها بقوة وتغرز أنيابها داخلها بضغط

15- ما تبقى شيء.

رهيب.

تضرب بيديها. تهز رأسها. وتضرب قفاها على الجدار خلفها، ينشق نابها من شدة العض على تلك الخشبة.

ـ آاااااه ربي آآآه.

ـ زيدي بنتي... هو يخرج.

ـ أووووف... آاااه ياربي آه.

ـ واااااااااااااغ... واااغ.

ـ يالله يا عمري...

ـ يووووويووووي.

ـ زغرتوا يا نسااا زيدوا...

ثم تخرج تلك العجوز مدية من جيب في صدرها. تقطع حبل السرة. وتغمد المولود في قطعة من القماش.

ـ هاكي... هأو يا بنتي شوفي عينيه تشبه عينيك.

تلتقط الأم ابنها وتنظر نحوه. نظرة سيدة تخرج من بطنها حياة لأول مرة.

ـ هيا امشوا خلاص يا نسا ربي يحفظكم. هيا كل واحدة وتروح لشغلها.

***

بعد أسبوع

ـ ....

ـ ماذا تقصدين بأن عليّ التخلص منه!

ـ شوفي يا نعيمة بنتي أنا التي أخرجت هذا المخلوق من رحمك وأنا أعرف ما لا تعرفين وأعلم من حكمة الأولياء الصالحين الموكلة إليّ أنّ هذا الفتى هو

الذي سيقضي على حياتك.

ـ ولكن يا خالتي خيرة. الطفل براءة صغيرة كيف عرفت أنه مصدر الشر؟

ـ أول شيء أنا وَلَّدْت قبلك الكثير من الهجالات[16] وأنت عارفة بأنه ولد حرام وهذي الكلمة ستتبعه طيلة حياته. والبارحة بعدما قرأت كفك ورأيت في الرصاص الذي أذبته داخل كأس القهوة. أن هذا هو ابن الشيطان

ـ ابن الشيطان!

ـ نعم ابن الشيطان. هاته أريك شيئا.

ثم فتحت "خيرة الكحلة" قميص الرضيع الصغير وأشارت لصدره.

ـ هل هذا عادي في رأيك. هذي وصمة شر وشيطنة. وسيتبعه الشر أينما كان.

ـ لكني عندما سألت الأطباء. أخبروني أن هذه حلمات زائدة وهذا أمر نادر ولكنه عادي ولا أضرار صحية لها!

ـ يا بنتي هل تأخذين بنصيحة "خالتك خيرة بنت حميد المروكي وخيرة المزهورة" أو حفنة من الأطباء المبتدئين. وإذا لم تؤمني بي بعد، سلي أهل القرية وكبار رجال الأعمال هنا. يحكولك عليّ. دون أن أحدث عن مصداقيتي.

وقبل أن تحضر عندها تلك السيدة كانت تسمع عن خيرة الكحلة مولدة

16- لهجة من الغرب الجزائري، جمع هجالة أي مطلقة.

العاقرات وعرافة العرافات من ترى في الرصاص وتذهب النحس والبأس. وكم هي كثيرة تلك القصص التي نسجت حول خيرة الكحلة.

ـ حاشا أن أفعل هذا يا لالا خيرة... حاشا ولكن!

ـ شوفي يا بنتي أزيدك هذه. حتى إن لم يكن ابن الشيطان مثلما أخبرتك. فهل تعرفين لماذا لديه أربع حلمات!

هزت السيدة رأسها والخوف يكتحل عينيها.

ـ هل ترين هذه الشامة التي في رقبتك هي طبع الشيطان عليك عندما كنت صغيرة وأنت تعلمين ما حدث لك بسببها.

أخفضت السيدة رأسها وانحنت لتنظر نحو ابنها الملفوف في قطعة القماش بين يديها وهو يبتسم في وجهها مثل ملاك صغير.

ـ تلك الشامة هي التي نقلت له كل الشر الموجود فيك. وهو مخطط الشيطان في بطنك إذ أنه عبث داخلك وصنع له حلمتين زائدتين. ليسهل عليه عملية تحويله لخنثى.

ـ خنثى!

ـ نعم خنثى. فستكبر تلك الحلمات وتشكل نهدين بارزين وبذلك سيصبح ابنك مرسول الشيطان يدافع عن حقوق الرأي والتعبير والشذوذ. محبا للشر وإلى رؤية الناس تتعذب. إن لم يمكن هو المسيح الدجال فابنك هذا سيكون أخطر منه وإني رأيت في المنام أن شيطانا برجل واحدة وأربعة أجنحة ينزل على رأسك ويخطف روحك ويترك بجنبك عصفورا ميتا وكلبا ينبح ثم يتحول إلى قط ويختفي وسط الشارع ويتركك ميتة مكفنة على الرصيف بثوب أسود تقطر الدماء من رأسك. اقتربت منك لأغطي جسدك وإذ بي أسمع العصفور

الساقط جنبك يتكلم بلسان بشري أذهلني قبل أن يلوي رقبته ويموت. كأن ذاك العصفور ملاك تجسد بهيئة طير وقال:

ـ سقط الشر على رأسها.

ـ سقط الشر على رأسها.

ـ سقط الشر على رأسها.

الله الله أن تتخلصي منه يا بنيتي، وتهجري من هنا حتى لا يجدك. فهو مرسول للقضاء عليك لا محالة.

خذيه من هنا الآن ولا ترجعي للعمارة إلى بعد تخلصك منه. وويحك إن لم تفعلي فتكونين من الهالكين وتعيشين في الدنيا سموما وحميما.

***

بعد أسبوع من رؤيا خيرة الكحلة.

ـ تاكسي.

ـ جامع الخضراء من فضلك.

نظر السائق للسيدة الجالسة وراءه في المقعد الخلفي وهي تخفي وجهها تحت عجار يظهر فقط عينيها، تلملم نفسها بحجاب أسود يخفي تفاصيل جسدها، ركبت وعلامات التوتر بادية من صوتها وحركة يديها. تحمل سلّة تقليدية منسوجة من الحلفاء تغطيها بقماش أبيض:

ـ شكرا.

نزلت أمام جامع "الخضراء" الذي يتوسط مدينة عين الدفلى، شعرت كأن أحدا يراقبها منذ خرجت، قعدت بمحاذاة باب الجامع ووضعت السلّة بجانبها وراحت تنظر هنا وهناك تراقب المصلين وهم يدخلون لأداء صلاة العشاء.

انتظرت تلك اللحظة التي يرفع فيه الإمام الإقامة للصلاة. في الركعة الثانية تأكدت أن ساحة المسجد خالية تقريبا. نهضت مسرعة وتركت السلة وراءها متعمدة كأنها تريد أن تتخلص منها.

قبل أن تبتعد عن المسجد سمعت صوتا ينادي عليها من بعيد.

ـ سيدتي... سيدتي... سيدتي.

التفتت وراءها لترى شرطيا يحمل السلة في يده. اقترب منها ولاحظ شحوب نظرة عينيها. عقد حاجبيه.

ـ مال....

قبل أن يكمل جملته. هزت رأسها. أمسكت السلة وانصرفت بخطوات متباعدة. خرجت من ساحة المسجد ووصلت نحو مفترق الطرق. اقتربت من حاوية قمامة قريبة قبالة المسجد. لمحت خيال رجل يختفي وراء ساق نخلة قريبة، تمهلت قليلا حتى تأكدت بأنّ لا أحد يراها، وضعت السلة بجانب حاوية القمامة. وانصرفت مسرعة. لتتبخر في ظلام الشارع الضيق.

حاشية 2:

مسجد الخضراء من أهم وأقدم معالم مدينة عين الدفلى سمي كذلك نسبة للاسم الذي كان يطلق على المدينة قديما. تم بناؤه عام 1972 في مكان كنيسة مسيحية، شيد من دون صوامع في الأول (رغم وجود أربع صوامع في مخططه لم يتم تشييدها لعدم توفر التمويل المناسب) ثم أعيد ترميمه سنة 1989 وأضيفت له صومعتان.

"تي وتي تيواواطي ووووتي يو... تي تيواواطي ووتيي ووتي و"
ترجمة عمي حسان:
أنا الزبير ولن أقول لكم شيئا حتى أخرج من القفص.

أُقْتُلُوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي
أنّ عندي محْوذاتي من أجّل المكرمات
وبقائي في صفاتي من قبيح السّيّئات
سَمَّتْ نفسي حياتي في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني بعظامي الفانيات
-الحلاج-

حديث مبارك

اسمي مبارك وعمري هو العدد المحصور بين قياس قدميّ، لا أعرف من أين جئت وإلى أين سأمضي، لا أعرف حتى من أنا، يلقبني المحيطون بي "مبارك الزوبية[17]" سمعتهم يقولون بأن الحاج قدور وجدني مرميا قرب المسجد وسط أكياس القمامة.

الحاج قدور هو الذي انتشلني ونظفني ورباني، لكن بعد كل هذه الأعوام التي لم تمر عليّ بل مرت فوقي، أظنه أخطأ حين لم يتركني أموت هناك أو تأكلني القطط وتركني لأتعذب هنا، وأخطأ أكثر حين أعطاني هذا الاسم السخيف الذي لا أملك منه أي نصيب، فلم أر أي بركة أو سعادة على طول حياتي التافهة السريالية العبثية البائسة، جئت إلى هذه الحياة من دون موافقتي، أنا مجرد غلطة في ليلة باردة اجتمع فيها مكبوتان من أجل لذة ساعة، ليخلفا بعدهما مخلوقا يعذب لآلاف الساعات، جئت عارا على امرأة أرادت أن تطمس فعلتها فطمست حياة إنسان وتركته عالقا هنا، خلته يلعنها كلما شاهد طفلا صغيرا يمسك أصابع أمه، وصباح كل عيد يبكي خفية حتى نشفت دموعه، من شدة الألم فقدت حتى الإحساس بالألم، حتى أصبح كل شيء في عيني من دون معنى، مثلما أقول لكم وسيروي لكم هذا المعتوه كل التفاصيل الأخرى غير المهمة. على كل حال أنا لا شيء يهمني حتى إذا ما مت اليوم أو غدا ما من أحد سيسمع بي، وحدتي أزلية، ما عدا جارتي

---

[17]- قمامة باللهجة الجزائرية.

سعاد في الطابق السفلي من العمارة حين تطرق على بابي من أجل اقتراض بعض الملح أو أشياء سخيفة أخرى كحجة للتطفل عليّ فقط ولا تجدني، وساعي بريد فواتير مؤسسة الكهرباء والغاز. وصاحب دكان التبغ. وقطي مخطار.

كم يحزنني أن تكون نهايتي هكذا، وأنا الذي كنت أراني طيارا عندما أكبر وأصير رجلا...

نعم... صرت رجلا كما قال لكم السي (عبد الباسط باني) ولكنه نسي أن يخبركم، كم هو صعب أن تصير كذلك والأصعب أن تعيش رجلا في شوكبيستان الحقيرة... أن تعيش صعب فما بالك أن تحيا!

ما أصعب أن تموت ولا يدري بخبرك أحد، وما أصعب أن تموت ولا أحد يبكي على غيابك. كم هو مؤلم أن يتبع جنازتك خمسة فقط هم: الإمام، حفار القبور، حارس المقبرة، وكرسي متحرك.

على الأقل سأحقق حلمي الثاني وأجرب الطيران، أستمتع في تلك الرحلة الشاقولية نحو الأرض ثم لا يهمني بعد ذلك، فأصل الوجود معاناة والحياة جحيم لا يطاق، نعيشه فقط من أجل الوصول إلى السعادة المطلقة، والتي لن نصل إليها على كل حال أو طريق. ولادتي كانت أكبر موتة لي، ووجودي مهزلة طويلة، دعابة لا نهاية لها. وشقاء ليس بعده شقاء.

أتمنى أن أتبعثر في الهواء قبل أن أصل للأرض، حتى لا يعثروا على هيكلي أو أي أثر لوجودي، كأني لم أكن هكذا حتى لا يمنّوا عليّ بعد موتي بعظامي ويقوموا بترتيب حفل جنازة لدفني...

حتما سأكلفهم أكثر مما كلفتهم وأنا حي. ومثلما كتب على قبر السي المعري **"هذا ما جناه عليّ أبي وما جنيته على أحد"**

فليكتبوا على قبري ذا:

لما كان حي مشتاق لتمرة وعندما مات علقوا له عرجون.

إن هؤلاء الأعراب الجهال بعد موتي، سيتسابقون في تشييع جنازتي، وابتداع طقوسهم الغريبة، الراتب والحظرة والنشرة[18]، الوعدة، الزيارة، ليس تقربا من ربهم. بل من أجل مآربهم وبطونهم، ليأكلوا ويملؤوا بطونهم بالنار ويحكوا كروشهم المنتفخة، يخرون عظم بعضهم في الغيبة والحضرة، ويقولوا عني:

كان ناس ملاح...!

(لم أكن يوما كذلك، ولا أحد فيكم عرفني حقا، أنا ممتلئ بالشر والمقت والدخان والفتات والخراء أنا غير صالح للحياة، رجل منتهِي الصلاحية، منطفئ، خدعوني وأحضروني إلى هنا، لم يسألوني ولم يطلبوا الإذن مني لحضوري، لذلك لن أطلب الإذن من أي أحد لرحيلي).

مرقة الزردة[19] بعظامي لذيذة! أليس كذلك؟ وبعدها يحتفلون ب "السابع" ثم "الأربعين" يحتفلون بموتي كلما سئموا من حياتهم الفارغة، لا أعلم لماذا تقدس العرب رقم سبعة ورقم أربعين، خرافات وخزعبلات.. إن

---

[18]- الراتب: ترتيل القرآن في حلقة، الحظرة: الوقوف في حلقة والدوران وضرب الأرض مع الدعاء والتضرع، النُشرة: بضم النون، ومعناه الذبح أمام قبر أحد الأولياء الصالحين، وفي العادة يكون ديكا / الذبح لغير الله **كلها عادات وتقاليد جزائرية تقام في الجنازة.**

[19]- الوليمة أوالمأدبة.

حملت سكينا في يدك لن تدور بك الملائكة مدة أربعين يوما. إذن الجزار لا تعرف الملائكة وجهه. من يتبول في البحر أو يقذف فيه منيه، تلعنه الملائكة مدة أربعين يوما وصديقي سمير الفار يقلع عن الشرب قبل شهر رمضان بأربعين يوما لأنه يعتقد أن جسده سيستغرق مدة أربعين يوما حتى يتخلص من الكحول، وسبعة أيام حتى تخرج الروح من الميت "السابع" معتقدات حلزونية، سبع تمرات كل صباح تبعد عنك الشيطان وسبعة أيام وسبعة سموات والبركة في رقم سبعة. علم الحلزونات وقالت الأبقار. علم الغبار. ارفع أذنيك يا حمار.

عجبا لشعب يأكل في العرس ويأكل في الجنازة، يأكل في عيد الفطر وفي عيد الحب والختان، ثم يأكل في رمضان أكثر مما يأكل في باقي الشهور... كأنه يخشى أن يموت جوعا!

دولة مطبخ! كل وخبِ، خبِ وكل.

#الحديث قياس غير منقوص.

آه يا حمقى لا أحد سيأكل على حساب عظامي الفانيات...

تبقى بلا عقل! وتركب كل خيوط الجنون في هذا الوطن! كل الناس تكرهني بلا سبب، تنبحون من دون عض.

و**"من تعرف** عضته **لا تخش نبحته"**

اصبروا! اصبروا! كلنا سنموت، وعلى اليقين الحتمي.

"ما يبق في الواد غير الحرف الأوسط"

ولو التقينا في جهنم، سأتبول عليكم واحدا واحدا، وعد مني.

طامعين في الجنة هاه... هيه.. ههه. نكخ. نخ.. خ

تفوووووه....!

وجوهكم ليست وجوه أهل جنة، انسوا! أعرفكم جيدا، أبناء جلدتي. مكبوتون تجرون وراء المال والنساء مثل كلاب الصارف[20] لوكنت هجالة[21] وتعريت لكم وسط الطريق هكذا، لسال لعابكم وبلعتم ألسنتكم ثم تمنيتم أن أستلقي وسط الطريق طول النهار، أخبروني وربكم كيف أعيش معكم؟ "ربهم أعلم بهم"، وعلى الخصوص أبو لحية "عاشور القهوجاي" هو السبب، أشبعني ذلا من أجل كأس قهوة زدت فيها سهوا ملعقة سكر لسيده "موح السماري" نائب برلماني بدخل أربعين مليون في الشهر والشح قاتله، عاشور العزري[22] دون شك لو التقيته في جهنم سأحمل جمراتي وأتعذب بعيدا عنه، ن. م. شيطان باللحية، يدعي أنه يعرف ربي، وهو الذي كان يظن أن أنشودة "طلع البدر علينا" سورة من سور القرآن... وصلى بها حتى يوم تزوج وقام ليصلي بزوجته ركعتين جهرا، اندهشت زوجته وأخبرته أنها ليست من القرآن، فقام يجادلها. حتى طلقها في تلك الليلة، مسطح الرأس لا يقبل أي فكرة جديدة، مغلوق بالإسمنت غير المسلح. هذا من محاسن الزواج وحظ الكلاب...

تفوووووه...!

هذه الدنيا بالوجوه والآخرة بالأفعال، قالها الحاج قدور ربي يرحمه في تلك الرقدة، كما قال إن المنتحر يدخل النار، وأي واحد يذكر الشهادتين ويؤمن

---

[20]- كلاب متشردة تمارس الجنس بطريقة همجية في جماعات.

[21]- المرأة المطلقة.

[22]- لهجة جزائرية تقال للرجل الذي يتزوج ويسكن عند أنسابه (أهل زوجته)

بربي يدخل الجنة.
آه يا ليتني سألته تلك المرة:
في حالة لو تقول الشهادة قبل أن ترمي نفسك من جسر، هل ستدخل النار أم الجنة؟
راحت مني. ليس مشكلا سأجرب وأعرف بنفسي وأصل علم اليقين.
ثم ماذا بعد موتي؟
من سيذكرني أو يتذكرني، ما يفيد لو ذكروا سيرتي. كان وكان... هذا لا يهمني حقا، ربما يهم أن يعرفوا أني خرجت من حياتهم. لكن لن ولم أخرج من أفكارهم، لست متأكدا إن كان هناك جحيم بعد انتحاري. وهذا ما يبعث على الفضول وبعض اللذة المغرية لأكتشف الأمر وأراه بعين اليقين، لكني متأكد أني سأترك هذا الجحيم الذي أراه أمامي الآن، جحيم من دون نار، لكنه جحيم عفن ومقزز.
أين حل الإنسان حل الشر معه.
سأحلق في الهواء وأرتطم بالأرض بسرعة خاطفة، أرجو أن تخرج روحي في الهواء قبل أن تصل للأرض.
لكن ماذا لو لم أمت!
وأصبت بشلل جزئي وبقيت للضحك والسخرية، معبد شفقة. يشفي في الأعداء غليلهم. حين زيارتهم لي وحين ذكرهم لي وسط مجمعهم. هذا الأسوأ والأحقر في الأمر. الحمد لله لن يحدث هذا بقدرة قادر، لهذا سأحرص على أن يكون رأسي أول من يرتطم بالأرض. نزولا شاقوليا برأسي نحو الصخور المحدبة أهبط كالنسر مباشرة، سأموت على الحتمية المطلقة. مثلما تنتحر

الصقور حين تمرض أو تهرم أو تفقد أزواجها. سأفتح ذراعي وأهبط مثل صقر شريف يعلم أن العيش بدون حب عيش ضنك. وبدون هدف ما هو إلا طفو مستمر وسط فراغ شاسع ومريب، وكم أتمنى أن يرسموا على شاهدي قبري جناحي نسر. وألا يكتبوا شيئا عني عدا ما ذكرت آنفا. لأنهم لا يعرفون تاريخ ميلادي ولا التاريخ المحدد بالضبط من تاريخ وفاتي. إن كتبوا ولد في: فهم كاذبون وإن هم كتبوا توفي في: فهم كذابون. أرجو أن يكتبوا في مكان ذلك "ربهم أعلم بهم" فهي أدق في الوصف والبلاغة.

الانتحار فى الجزائر "إحباط اجتماعى" وخبراء يدقون ناقوس الخطر

المركز الرابع عربيا

اللافت أن معدلات الانتحار في الجزائر التي احتلت المركز الرابع في ترتيب الدول العربية وفقا للتقرير الذي أعدته منظمة الصحة العالمية في 2019 "لا تزال في ارتفاع" وفق الباحث في علم الاجتماع، راتبي محمد أمين.

وفي اتصال مع موقع "الحرة" كشف محمد أمين أن الأرقام التي يتم تداولها عن الانتحار قد تصدم كثيرين إذا تمت إضافة "ضحايا الهجرة غير الشرعية عبر البحر" والتي يعتبرها "انتحارا مُقنّعا" وفق تعبيره.

وزارة الصحة الجزائرية، دقت ناقوس الخطر قبل نحو عامين بإعلانها أن الجزائر تحصي سنويا من 500 إلى 600 حالة انتحار، وهو ما يجعل من الظاهرة "أخطر من وباء كورونا" وفق طبيب الصحة النفسية بمستشفى سطيف الجامعي، عمار بن حليمة.

بن حليمة قال في حديث لموقع "الحرة" إنه بالرغم من أن وباء كورونا حصد الكثير من الأرواح بالجزائر، على غرار كثير من الدول، إلا أن مصيره الزوال، بزوال أسبابه، أو بتعميم التطعيم "بينما أسباب الانتحار لا تزال قائمة وبالتالي فالظاهرة أخطر".

24 مايو 2021 من موقع الحرة

رابط المقال كاملا https://www. Maghrebvoices.com/trends/2021/05/24:

فلنتجه جميعنا إلى الانقراض ولنكف عن ملء الأرض بسلالة الأقنان
ولننقذ البشرية من الألم والعذاب.

المادة 69

ينسحب بتثاقل من وسط الطريق، غير مبالٍ، بهتافات الناس، يبرز صدره يضم معطفه ليخفي ما بين فخذيه، يقف على حافة الجسر، يدك دكة شمة تحت شفته السفلى، ينفض يديه يشمر على ذراعيه، يرفع سبابة يده اليمنى وينظر نحو الأعلى متمتما:

ـ بسم الله، الله أكبر الله أكبر، {إنا أعطيناك الكوثر.....}

ينتبه إلى أن هذا دعاء ذبح وليس دعاء انتحار، يحاول تذكر دعاء الانتحار إن كان واردا في أحد الكتب أو الأبواب أو ربما قد كان سمعه في إحدى خطب الجمعة، أو قاله أحد الدواعش لحظة انتحاره بحزام متفجر... ثم يلعن الشيطان ويلعن نفسه، ويكتفي بالشهادة فقط...

فيها بركة.

ـ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

ينتبه إلى أن الشمة لا تزال تحت شاربه، يجرفها من تحت شفته، يبصق على الأرض، يعيد الشهادة مجددا، ظنا منه أنها لا تصح والشمة في فمه، أراد أن يصلي ركعتين ويفصل في الأمر نهائيا، فك رأسه حين تذكر أنه على جنابة، المسكين حلمه في حياته الديمقراطية البائسة أن يركب سيدة، منذ خرج منها لم يرها، بالنسبة له لا يهم شكل الفتاة المحلية ولا طول موستاشها حيث يمشي بحكمة صديقه "سمير الفار" يوم قال له، "عندما تنطفئ الأضواء تتشابه النساء" لكن فقره باعد بينه وبين المتع العابرة بين أحضان النساء العابثة.

ـ هيه هيه هيييه، مكبوت يا التشوكبستاني، مكبووووووت...

ـ لا لا أششششت.... عيب! لا تقل له هذا، يغضب!

ـ صحة!

ـ قل له، تزوج خير لك!

ـ حسنا!

***

ـ جئتكم بالحسب والنسب، طالبا يد بنتكم موستاشة [23]....

ـ روح، يا ولدي، رووووووح، امشي لحالك، عندما يكون عندك دار ولي وعلى ربي...

***

ـ سيدي الوالي، سيدي الوالي!

ـ أ نعم! تفضل يا مواطن!

ـ أعطني دار والرحمة على الوالدين، بقدرة ربي أنوي تكوين عائلة.

ـ أعطني عقد الزواج يا مواطن، أو قل لي من أرسلك!

ـ من أرسلني؟

ـ نعم نعم. من عند من أنت مبعوث؟

ـ مبعوث من عند ربي.

ـ استغفر الله.

ـ لا أظنه سيغفر لك.

---

[23]- من الكلمة الفرنسية "موستاش" أي شارب؛ يعني ذات شارب.

ثم ضرب الباب وانصرف وعلامات الاحتقان "بشر من خلق" والوسواس الخناس ملطخة على وجهه.

ـ مثلما ترون! أنسابي والبلدية، متفاهمين على رأسي... من بكري.

بلاد الرخص

بلاد المعريفة

الزوالي تمسحون به أرجلكم يا رخاص

أواااه.... قال له تزوج قال! هيه هيه...

في ذاك الزمان صح. وكل زمان وناسه ونحاسه.

إذن:

فلتحيا السيدة خمسة.

تحيا السيدة خمسة.

وليمت الوطن

ليمت الوطن

ثم آه وألف آح واي... كم هو مؤلم أن تموت بتولا وكم هو مؤلم أن تموت وأنت لا تعرف حنان أمك ولا رائحة شعر امرأة أحبتك بشغف.

يقولون إن حياتك كلها تعرض أمامك وأنت في بطن أمك ولك الاختيار في خوض غمار الحياة أو الرفض. هل هذه الحياة عادلة؟ وهل مبدؤها عادل؟

إني أرى أن إنجاب طفل ورميه بين مخالب الحياة، يقضي عمره من جرعة ألم لأخرى، هو جرم صريح، يجب أن يعاقب القانون عليه. لأن إنجاب كائن عاقل دون طلب الإذن منه، هو ظلم وجور، لأن الإنجاب عقد غير كامل

لأنه وحسب المنطق السليم لم يتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين، وبهذا فهو عقد باطل.

هذا حقا يروقني ومنطقي لحد اجتماعي وإيديولوجي في الصالح الإنساني العام، إذ يجب إضافة مادة في الدستور الديمقراطي الشعبي.

المادة 69:

يمنع على الأسر الفقيرة ذات الدخل المحدود إنجاب الأطفال لأن الإنجاب في تلك الحالة يعد قيمة سلبيّة للفرد والمجتمع وندعو إلى تجنّبه حتّى نمنع ضرر الوجود عن الأجيال -المفترضة- القادمة، بهذا نحن نحد من صناعة المجرمين والمروّجين، لأنّ جوهر الوجود معاناة، والحياة ما هي إلّا حالة سلبيّة تستمرّ لفترة محدّدة وتنتهي بالموت حتمًا، وليس من الأخلاقي أن نفرض هذا العبء على غير الموجودين، لأنّ غير الموجود هو عدمٌ مُعدمٌ وليس في حاجة إلى أن يُوجد، وليس ثمّة ما يبرّر المجيء بكائن قابل للمعاناة إلى هذه الحياة خاصّة وأنه من المستحيل الحصول على موافقة المولود، إنّ الإنجاب عقدٌ من طرف واحد، وهو بالتالي عقدٌ باطل، لأنّه يحصل عبر القسر والإكراه.

المقابر تكدست والعمارات تخوصصت والمعريفة والرشوة طغت والزمان ما ولى يرحم....

ـ ايه والمكتوب على الجبين ما تمحيه اليدين!

قالها الزعيم قالها...

حسنا!

لنفرض أني الآن قد رميت نفسي ولم أمت ثم أضحيت معاقا!

أعانق الحسين، ونشرب كؤوس العذاب سويا!

كيف!

أواه

لا لا!

دعنا منها...!

***

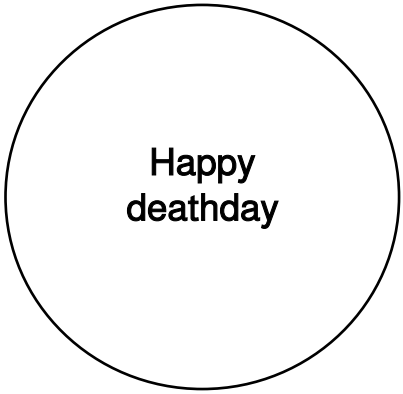

ـصورة كعكة عيد ميلادـ

"عبدوني كإله"

أنا مخطار شخصية رئيسية في الحكاية مثل جميع النبلاء أمثالي أسعد بصيد الأسماك واللعب بالكرات أكره أي نوع من التمارين والجهد العضلي أقدس الكسل إلى حد الخمول اللذيذ، أستأجر الشمس وأعشق الهدوء والأحضان الدافئة وأينما يكون هؤلاء أكون أنا وأينما أكون أنا فلا حاجة لأن يضعوا منحوتات فنية فأنا وحدي أفي بالغرض ثم باختصار مثل النار أنا من ينظر إليّ يسحر بي ويشرد معي وأحصل على الدلال عندما يحلو لي فأنام أربعة وعشرين ساعة في اليوم حين يروق لي وكثيرا ما يروق لي ثم إني أكره من أريد من دون مقدمات وعندما أسمن أكون أكثر جمالا وأعرف كيف أحصل على الطعام من دون عمل والمأوى بلا حبس والحب بلا جهد ويعتقد بعضهم أني متعجرف أخبروني كيف لا وأنا قديما قدسوني وعبدوني كإله وطبعا ذلك شعور لا ينسى ولأن نفس الشعور نقل إليّ في جيناتي فهذا ليس ذنبي عجرفتي وتخاتلي وذاك هو جزء من طبيعتي ومن رونقي وهكذا يكون الملك وأنا صريح ولي وجه واحد وشارب طويل بقدر كبريائي العظيم أمتهن الصبر وهو من أهم صفاتي حيث أني أتقنه جيدا ثم أخيرا وليس آخرا كنصيحة مجانية واقعية احذروا كل من يكرهني

طار الراوي ملهم قابيل وسقطت منه ريشة الزبير وبقيت مريم والبالون الأحمر وحبل القفز.

عاد لحافة الجسر مباشرة بعدما هدأ ضجيج السيارات ولم يكن له الحظ بأن يدهسه أحدهم عمدا أو غير عمد حتى ينهي حياته بتلك السهولة.

عاد إلى الجسر وتفاجأ بتلك الفتاة وهي لا تزال هناك. في نفس المكان وبنفس الوضعية وتساءل إن كانت حقيقة أم محض وهم خلقه عقله لكبحه عن فعل فعلته. ثم خطرت في رأسه فكرة تحليلية من عمق عقله الذي لا يهدأ ولا يخمد عن رشقه بأفكار منطقية تمنعه من الخروج عن سكة الحياة والمألوف والعلمي والعملي. فقال في قرارة نفسه:

(ماذا لو هبت ريح وقلبت جسدي لأسقط على رجلي لا على رأسي وبذلك لا أموت وإنما أكسر وأشل حركيا فقط وأقضي أياما في المستشفى الحكومي السخيف يزورني عباد لم أعرفهم في حياتي دون طعم ودون حياة. يكدسون علب الياغورت وحبات الموز وبعض المشروبات السخيفة بجانب سريري، وتأتيني ممرضة بدينة مبثورة كل صباح بقارورة بلاستيكية لأتبول داخلها. وحتى لو افترضنا أني سقطت على وجهي، فحتما سيتهشم رأسي ويتناثر مخي ويتحلل مع مياه الصرف الصحي ثم يعاد تدويره وتنقيته وضخه في حنفيات العمارات العمومية لتنتهي الحلقة بأن تطهو به سيدة مطلقة العشاء لأولادها الأربعة في سعادة وهناء وشهية طيبة ودماغ مطحون.

سيجدون جثتي حتما لكنهم لن يتمكنوا من التعرف عليّ ويذيعون خبر ضياعي أو وفاتي المزعومة وبذلك سيسخر مني الكلاب والشامتون ويقولون

إنه مات أو ضاع ويحتقرون من قيمتي، ليس مثلما أن أضع حدا لحياتي بيدي أنا، حينها سيفهمون كم كنت بطلا وكم كنت متحكما في حياتي وقراراتي حيث أني أنا الذي سيّرتها لآخر نفس، وهذه الحياة التي هؤلاء الأوغاد متعلقون بها مثل البق، قد عفتها وزهدت عنها ولم تغوني ولم أهبها روحي وزيغي، لذلك ولهذا، عليهم أن يعرفوا أني انتحرت بإرادة مني ولم أمت عبثا.

فكر في تلك اللحظة بأن عليه أن يترك شيئا يدل عليه ويعرف به، لذا توجه للبيت من أجل إحضار بطاقة تعريفه الوطنية حتى يتمكن الناس من معرفة هويته بعدما يتشوه وجهه حين يرتطم بالأرض. تحرك ببطء وأثناء ذلك لاحظ أن الفتاة لا تزال شاخصة في مكانها، فمشى باتجاهها يقوده فضوله. ظن في البدأ أنها مجرد وهم أو سراب.

وحين وصل عندها لم تتحرك. انتبه إلى شامة سوداء بارزة على رقبتها وانبهر بجمال عينيها الشهباوتين بلون المرج الأخضر وبشعرها بلون الفحم. بإشارة من يدها ابتسمت وقرّبت منه البالون لتهديه إياه. ابتسم الرجل ابتسامة صدئة، وأمسك خصلة من شعرها كانت تغطي وجهها وأرجعها فوق أذنها. وبعدما لاحظ حبل القفز في يدها لمعت في رأسه فكرة شيطلائكية. إذ هما في ذاك المشهد يغرقان في بعضهما وفي تناقضاتهما كوردة تريد أن تنبت فوق قبر، والرجل يقترب من الفتاة ببطء إذ به يسمع هتافا قريبا:

ـ ها هي ها هي مريم يا مريم مريم!

التفت ليرى سيدة منقبة رفقة رجلين من أعوان الأمن يتجهون نحوه.

فغادر المكان مسرعا ليختفي وسط السيارات التي تعبر الطريق واندس في

زاوية قريبة من الشارع ينتظر هدوء الوضع، أقفل كل أزرار معطفه الأنيق ودخل المركز التجاري ثم خرج دون أن يطيل عائدا بحبل في يده يغطيه بكيس بلاستيكي دسّه تحت معطفه وسار متوجّها نحو بيته الذي يبعد عشرين دقيقة مشيا على الأقدام، وإذ هو في طريق عودته وكل الأفكار الغريبة وغير الغريبة تتلاطم داخل جمجمته. مرّ على مركز الشرطة قرابة مستشفى الولاية. فقفزت في رأسه فكرة غريبة، ليرجع مباشرة ويدخل مقر الشرطة بطريقة واثقة كأنه مدير المركز، دخل على عجالة من أمره. توجه نحو الاستقبال. وجد عند الاستقبال سيدة تحمل علبة هاتف، وتصرخ في وجه شرطي سمين وجهه مثل صفيح خبز أبيض وتقول:

ـ ضربني الكلب وكسر هاتفي... كنت أتحدث مع أختي فقط.. آه يا وجعي أنظر لعيني هذه أنظر. أنظر.

حاول الشرطي أن يهدئ السيدة فقال:

ـ اهدئي سيدتي. على مهلك، أخبرينا بالتفاصيل، متى حدث هذا.

ـ البارحة في منتصف الليل، شدني من شعري وضربني بمقلاة وكسر هاتفي على رأسي.

ـ وأنت هل من المعقول أنك كنت تتحدثين مع أختك في منتصف الليل؟

ـ نعم... نعم أتحدث مع أختي متى أشاء، لأن الوغد الحقير لم يخبرني أنه متزوج من امرأة أخرى وقد قضى معها أيامه كفيفا لا يرى؟ ثم حين شفي خدعها معي، الكلب أريد أن أشتكي به. أريده أن يتعفن في السجن.

ـ حسنا سيدتي، اهدئي قليلا لم أفهم قصتك بعد، لكن لا تقلقي اجلسي

هناك وسأكتب لك المحضر...
انسحبت السيدة لتجلس على المقعد وقد كانت سيدة في الثلاثينيات من عمرها. حسناء تمشي مشية غريبة. لا تفتأ من ذكر جملة.
"سأريه من أنا... سأريه الكلب ابن الكلب، سأشرّبه المر والخلع. الخلع..."
قال الشرطي للمرأة:
ـ أعطنا اسمك سيدتي.
ـ ليندا...

***

ثم عندما انتهى الشرطي من المرأة نادى على الرجل الواقف عند الباب في شرود واضح، كان يشد معطفه البني على خصره، ينظر في الأرض ويتمتم بكلمات غريبة. تقدم السيد بخطوات سريعة.
قال الشرطي دون أن يرفع وجهه لينظر في السيد:
ـ نعم سيدي بماذا يمكننا مساعدتك؟
رد مبارك:
ـ أريد أن أقدم شكوى.
الشرطي:
ـ نعم تفضل بمن تريد أن تقدم الشكوى؟
مبارك:
ـ أريد أن أقدم شكوى ضد من أنجبوني لهذه الحياة.
ـ هل تقصد والديك، أمك أم أباك؟
ـ كلاهما.

ـ كيف هل اعتديا عليك!

ـ لا.

ـ ماذا إذن. هل تمت سرقتك من قبلهما؟

ـ لا.

ـ ماذا تقصد؟ وضح لي يا سيدي أكثر من فضلك!

ـ أريد أن أقدم شكوى بمن أنجبني لهذه الحياة أظن أن كلامي واضح.

ـ غريب...على كل حال هل يعيشان معك، أم تعيش معهما!

ـ لا أعرف.

ـ كيف؟

ـ أظن أنها ميتان.

ـ ميتان (قالها الشرطي وعقد حاجبية مستغربا. ثم أضاف بنصف ابتسامة جادة)

ـ وكيف تقدم شكوى بشخص ميت!

صمت مبارك ولم يرد وشرد في تفكيره.

ـ تكلم سيدي أعرف أن الأمر صعب لأنه مرتبط بوالديك. وقد ربياك وأصبحت رجلا، أنا أحس بك. ماذا حدث أخبرني بالضبط. كيف تريدني أن أسجل المحضر!

ـ نعم ميتان بالنسبة لي... ولا أعرفهما.

ـ هل تقصد أنك...

ـ نعم قلها مجهول النسب، "ابن القحبة" قلها فقد سمعتها كثيرا حتى أصبحت مثل "صباح الخير"، لا يهم هذا الأمر. المهم أريد سؤالك!

هز الشرطي رأسه:

ـ نعم.

قال مبارك مقتربا باتجاه الشرطي وبنبرة أقل حدة من الأولى:

ـ عندما يكون العقد من طرف واحد دون استشارة الطرف الآخر هل هو عقد عادل أم باطل؟

رد الشرطي مباشرة:

ـ حسب المشرع القانوني وحتى الديني هو عقد باطل، لأن من شروط العقد الصحيح. الرضا. الموافقة. إضافة إلى حضور الطرفين.

ـ جميل... إذن اكتب عندك. أريد أن أقدم شكوى بوالدي لأنهما أنجباني لهذه الحياة دون استشارتي ودون حضوري ودون طلب مشورتي والأخذ برأيي.

توسعت حدقتا الشرطي وصمت لبرهة وقال:

ـ سيدي ليس لديّ وقت للمزاح (وهيئة الرجل الواقف أمامه وطريقة قوله آخر جملة بصرامة كانت لا تنم عن المزاح لذلك تردد الشرطي في رده ورد على الرجل بأسلوب ذاهب إلى المهذب).

ـ وهل هيئتي تبدو هيئة شخص فارغ للمزاح وهل تراني أملك الوقت لأحضر لهذه العلبة الزرقاء وأقطع كل هذه المسافة من أجل المزاح. أنا أريد أن أقدم شكوى بوالدي لأنهما أنجباني وآخذ حقي وفقط.

ـ وكيف تأخذ حقك. وأنت لا تعرفهما أصلا؟

ـ أريد الحصول على منحة من الدولة، ومن حقي الصمت والحصول على محامي، ليتكفل بقضيتي.

ـ قضيتك.

ـ نعم قضيتي.

ـ ماذا تقصد بقضيتك؟

ـ إنجابي دون موافقتي من أجل شهوة لحظة عابرة ونرجسية مقرفة. ثم رمياني مثل كيس قمامة ولم أحظ حتى بشرف أن أكون كيس قمامة بل رميت داخل كيس قمامة، ألا يرقى هذا إلى مستوى الخطف والعبودية، إجبار طفل على المجيء إلى هذا العالم ثم إجباره أن يواجه كل هذا العبث لوحده، بصدره! ألا ترى أن قضيتي تستحق أن تدرج في حالات الظلم والاحتيال الاجتماعي، ألست ضحية نطفة طائشة في ليلة باردة، جئت لهذه الحياة دون موافقة مني، ألا يسمى هذا إكراها.

ـ لكن...!

قاطعه مبارك واقترب منه أكثر بملامح جدية ونبرة واثقة.

ـ اسمعني جيدا أنا لم أطلب أبدا المجيء إلى هذه الحياة، ولم أطلب الالتزام بدفع الفواتير ولم أطلب قضاء ساعات في زحمة السير ولم أطلب العناء. أنا هُنا لأن شخصين من هذا العالم التقيا فجأة بصدفة ملعونة ثم قرّرا قضاء ليلة مُمتعة سوياً فقط.

ـ هل تقصد أنك لم ترد أن تكون موجودا؟

صمت الرجل وقسح نظراته في الشرطي أكثر.

ـ الآن أصبحت تفهمني ويمكنني أن أخبرك لماذا.

ـ كيف هذا؟

ـ حقيقة أني لا أرى سبباً لإجبار طفل على تحمُّل المدرسة ثم دخول

الجامعة، ثم إجباره على البحث عن وظيفة والعمل حتى آخر يوم في عُمره، خاصة أنه لم يكن هو من اختار القدوم إلى الحياة، أليست هذه عبودية والأهالي الذين يمنحون أبناءهم حق الحياة "أنانيون" بطريقة لا واعية منهم، وكل هذا سجله في المحضر عندك لأني لا أملك وقتا لهذا، وبقائي معك هنا لا جدوى منه فلا داع لأن أثرثر معك أكثر وأشرح لك قضايا وجودية خاصة الأمر أشبه بأن أحكي لحائط عن اللفت.

الشرطي وهو يحك رأسه:

ـ اللفت!

ـ لا يهم... لا يهم. عندي أمور كثيرة أقوم بها اليوم لا أريد أن أتأخر في مكان ما هناك أحد ينتظر مجيئي، سجل عندك فقط ودعني أنصرف.

بقي الشرطي غارقا في ذهول. صمت لوهلة وفي تلك الأثناء، دخل رجل أسمر غريب الملامح متوسط القامة، يرتدي حمالة سروال، هندامه أشبه بهندام تشارلي تشابلين على المسرح، أنفه طويل ونظاراته مربعة، يشابك أصابعه خلف ظهره وبيده جريدة، يمشي ويعرج. قدم له الشرطي التحية. نظر نحو الرجل الذي يقابل الشرطي. هز رأسه ملتفتا للشرطي:

همس الشرطي للرجل الأسمر:

ـ حضرات لم أفهم بالضبط ما يقوله هذا السيد، لا أعرف كيف...

وقبل أن يكمل الشرطي جملته قاطعه، ملتفتا للرجل بجنبه وهو يتفحص هندامه الغريب:

ـ معك المحقق الماحي، ماذا تريد بالضبط، كيف نستطيع مساعدتك!

سكت مبارك لوهلة وأجاب الشرطي في مكانه!

ـ هو يقول إنه لا يريد العمل ولا يريد أن يكون موجودا أو لا أعرف كيف!

رد المحقق:

ـ عادي من أجبرك على العمل وعلى أن تحصل على وظيفة بإمكانك عدم فعل ذلك، أو تغيير وظيفتك، ربما هذه مشكلتك التي تقصدها أليس كذلك!

رد مبارك:

ـ ربما !

ـ أخبرني ماهو اسمك؟

ـ اسمي مبارك.

ـ اسمك الكامل!

ـ مبارك البطحي.

ـ وماذا تعمل في حياتك يا مبارك!

ـ أعمل كإنسان.

ـ كيف ذلك؟ أقصد ما هي مهنتك؟

ـ مهنتي: متكئ.

ـهل تعبث بي؟

ـ لست أعبث بك، الدنيا هي التي عبثت بي ووظفتني عندها كإنسان. وأن تكون إنسانا هي وظيفة ليست بالسهلة، مرهقة حقا. حتى حين أتكئ أنا أتكئ على ألمي فقط.

ـ مرهقة!

ـ نعم مرهقة. هل تعلم معنى أن هذه الدنيا دار شقاء، يعني أن كل شيء لا يأتي دون جهد حيث عليك بالتنفس والإحساس والتذكر والفراق، النهوض باكرا، الذهاب للحمام، تسوّس الأسنان، التبول، النزيف، الزحام، فواتير الكهرباء، الثرثرة، السعال، الحساسية من القطط، المضغ، وهذه الأخيرة مرهقة وغير منطقية. لماذا علينا أن نمضغ الأكل حتى نتمكن من ابتلاعه. لماذا علينا أن نستهلك جهدا في كل ما نقوم بفعله في هذه الحياة! وحتى هذا الكلام يتطلب مني جهدا لعينا حتى أخرجه من فمي وتستقبله أذنك من دون جهد يذكر. هي أشياء تبدو لك بديهية لكنها متعبة. الامتحانات. الغبار. القطط. الحروب، رائحة العرق. النهوض من الفراش... أووه يا ربي على النهوض من الفراش وترك دفئه من أجل الذهاب لوظيفة سخيفة في مكتب مربع، من الثامنة إلى الخامسة، هذا أغبى شيء قد تضيع فيه حياتك، العمل بدوام كامل أن تعمل "شهارا" مثل أن تعمل "بطالا" كلاهما عمل لكننا نحسب أن النهوض باكرا يدل على أننا نعمل فقط، هذا غباء مطلق فلا أحد أصبح ثريا بالعمل يوما كاملا، والرأس مالية الشرهة جعلتنا عبيدا ندور في حلقة مفرغة، هذه الجملة الوحيدة الصحيحة التي قرأتها في إحدى كتب التنمية الخرطية والبشرية. في أزمنة من حياتي المستطيلة حين كنت في العشرينيات. قرأتها من أجل أن أطور من شخصيتي حتى تعجب بي الفراشات وأعجبهن. إلا أني عدت بخفي حنين هل تعرف معنى هذه الأخيرة! هي فقط استعارات مستهلكة أدبيا حد القيء أو تشبيه مرسل لا أذكر وأدري ولا يهمني ما محلها من البلاغة ومن الصرف والنحو ولا يهمني موقعها في رأسك ولا يهمني النحو والصرف على كل حال. التنميط

والتنقيط والتمليق وتعليك اللغة والاتكاء عليها وبلا بلا... أنا لست مثل أولئك ولا هؤلئك... هاك ذي أضفها عندك "من خانها الزين تعري على الفخذين ومن خانته الأفكار يغطيها بتعليك اللغة" الأفكار هي التي تبقى وليست اللغة، هذا يتطور بالأفكار وليس باللغة (ثم ضرب مبارك بسبابته على رأسه). هل تفهمني؟ اللغة تنمو وتستطيل وتتربع وتنجب ثم تغتصب على حسب حالات توظيفها. (ثم التفت مبارك وبصق على الأرض وواصل كلامه في حيرة من المحقق والشرطي الواقف جنبه).

المهم ماذا كنت أقول لك؟ عن ماذا كنا نتحدث هنا؟ (تمتم مبارك يحاول استرجاع خيط أفكاره الذي أفلت منه حين بصق).

العمل، الرأس مالية، الشكوى، اللغة، الوظيفة، آه نعم كنا نتحدث عن الوظيفة أوف يا ظهري. يا سيدي مدير عملي! يا ربطة العنق، ويا للأوامر. هل تعلم هذا المخلوق الذي يثرثر أمامك وتعتبره مجنونا ومعتوها، قد طرد من كل منصب عمل زاوله في حياته من قبل، وفي معظمها كنت أنا أستقيل أنا أعلم أنك تتساءل لماذا الآن! ببساطة أنا أمقت تلك الأوامر السخيفة. "خذ. رتب. لماذا! عليك بهذا وهذا وعليك أن تكون على الثامنة هنا" الرسميات والتنميق والمدراء الجهلة، بالمناسبة هل كنت تعرف أن جمع مدير هو مدراء؟ ويجوز لنا أن نقول مديرون ويجوز لنا أن نقول متكرشون أيضا. أريد أن أسألك بالمناسبة هل رأيت مدير شركة في هذا الوطن من دون كرش؟ لا أعلم لماذا حقا كأن الكرش المنتفخة جزء من سجل العمل المهني الذي تشترطه الدولة حتى تعطيك الصلاحية المهنية وسجلا تجاريا.

على كلٍ أنا أمقت كل أصحاب البدلات وربطات العنق السخيفة. سوى

إن كان عريسا سيدخل القفص الذهبي، وحتى في هذه الحالة سأحبس كرهي طواعية لليلة واحدة فقط في وجه أبيه وأنسابه ليس إلا. ثم أكرهه. ثم لا يهمني الحديث عنه، لأني أخبرتك وجهة نظري عن الزواج والإنجاب وأنا الآن أخبرك عن أسباب كرهي للدلاع... لا تعقد حاجبيك هكذا وحاول أن تركز في كلامي جيدا، فصدقني أن هذا المخلوق لا ينطق عن هوى. أقول الدلاع وليس البطيخ. البطيخ ليس هو الدلاع والدلاع أقل من البطيخ منصبا في هذا الشأن.

كما قلت لك أنا رجل يكره الأوامر وأكره التقييد بتوقيت وكثيرا ما أضحك وأشمئز من الأشخاص الذين يمشون بتوقيت معين ويخططون لجدول أعمالهم اليومي والشهري والسنوي والعمري. كأنهم آلات مقيدة. والذين يعيشون حياة مربعة ومسطحة مجرد بشر مثل ملايين البشر، أنا أتركها تسير وكما جاءت جئتها وإن أتت أتيتها وجئت بعد جيئتها وأوصلتها إلى نشوتها دون "فياجرا" وقمت بواجبي وتكيفت مع اللحظة كما ينبغي لذلك عشت حياتي وأنا لا أملك غدا فيها. أعيش أي لحظة وأتكيف معها حسب وقوعها في ظرفية حياتي العبثية. "عش اليوم كأنك تموت غدا".

لذلك أنا حر. ومذهب كل حر مذهبي. هنا أنا أقتبس... لا عليك. قلت لك يا صديقي السيد الموظف الرسمي المربع المحترم. أنا تمكنت من التحرر نسبيا من القواعد البشرية والضوابط المهنية لكني لم أتمكن من التحرر من نفسي ولطالما نظرت نحو السماء التي لا ترونها أنتم ولكنها تراكم عندما كنتم تكفرون بها في ثكناتكم وتنزلونها في الصباح وتذكرونها في الليل وقبل صياح الديك على الرابعة صباحا. وفي الأوراق حاشا أنتم وفي الأعياد الدينية.

العباءات البيضاء. الوجوه البيضاء والقلوب السوداء. في الصفوف الأولى وراء الإمام السياسي. حتى الثعابين تصبح حملا وديعا حين يرتبط الأمر بإرضاء العجائز والشعب والعاطفي المجروح من عشرة سوداء وبن طلحة وخمسة وتبعية وعهدة.

أقول لك السماء "يا السي الماحي" هكذا اسمك.. أنت تفهمني نعم. لا أعلم إن كنت ستهتم لكلامي هذا لكن الوحيد الذي حنيت له رأسي. دعوته أن يحررني مني. ولكن في الحقيقة كل شيء نسبي فرويدي وأينشتاني، لأني لم أستطع التحرر من مشاعري وذكرياتي المسعورة القحباء. كلما هربت منها رجعت إليها كأني في دائرة كبيرة مركزها مجهول لا أعرف أين ومتى ومن أين بدأت؟ لكني أحس أني أدور وأدور وأعبر داخلي في روحي أمر وأمر ومركز الدائرة يبتعد وأنا أبتعد عنه لا أدري لماذا أخبرك بهذا. المهم أنا حر بطريقتي الخاصة. حيث في آحايين كثيرة ما تنفح لي أن أجعل عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة لي هي يوم الثلاثاء في منتصف الأسبوع. وأحيانا كثيرة لا أنهض من فراشي مدة أسبوع كامل مستسلما للذة النوم. لا آبه لأحد في هذه الحياة. حتى الهواء لو عرفت أنه يتكاسل عليّ ويتكبر فلن أتنفسه وسأمنعه من شرف دخول رئتي الورديتين اللتين لم تدخنا سوى قنطار حشيش وغابة تبغ.

ورجوعا إلى مفهوم الوظيفة والعمل، قد قررت أن أقدم استقالتي لهذه الحياة الفانية. سأصبح عاطلا عن العمل أخيرا، وما أكثر العاملين في هذا الوطن العاطل عن الحياة.

سجل عندك أو لا تسجل فلا يهمني الأمر ولا يهمني أن تهتم بهذا أو لا تهتم

ثم حبة بطيخ.

قال المحقق:

ـ البطيخ! ماذا تقول يا رجل لقد دوختني بكلامك هذا، أنت تنط من موضوع لآخر... ما دخل البطيخ في كلامك؟

ـ وما دخلك أنت في البطيخ!

لم يرد المحقق وحك جبهته واتكأ على الحائط خلفه مستغربا من هذا الرجل الغريب.

ثم أضاف مبارك وهو يغلق أزرار معطفه:

ـ لقد نسيت سؤالا كان من اللائق أن أذكره لك منذ البداية.

ـ ما هو هذا السؤال!

ـ هل هناك قانون يمنع من الانتحار؟

ـ .....

حك الماحي رأسه. وضع الجريدة من يده:

ـ نعم. العقوبة جاءت في المادة 273 من القانون الجزائي المتعلقة بالمساعدة العمدية على الانتحار حيث حددت من عام إلى ستة سنوات حبسا بدون غرامة مالية.

ـ وهل هناك متابعة قانونية لذلك؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ هذا غير منطقي لا وجود للمتابعة في حالة حدوث الوفاة والغريب أن هذه المتابعات نجدها في جرائم المال كالمساعدة في السرقة والتزوير والانتحال والنصب. أليس كذلك؟

صمت المحقق الماحي قليلا ثم رد:

ـ هل تحاول الانتحار؟

لم يرد مبارك.

ـ خدعة قديمة. تريد أن تعفى من الخدمة الوطنية!

ـ الخدمة الوطنية!

ـ نعم، التجنيد الإجباري...

ـ هل تقصد العام[24]!

ـ نعم العام، بأن تحدث ضررا جسديا بنفسك، حتى تأخذ الإعفاء.

ـ أريد أخذ إعفاء من الحياة.

ـ ماذا تقصد بأخذ إعفاء من الحياة، لا ترهق نفسك، فستجند إجباريا ولو كنت بذراع واحدة، فالدولة تحب المحتالين والذين يحاولون التملص من القوانين التي هي فوق الجميع مثلك، ولا داع أيضا لأن تفكر في توشيم جسدك، فهذا لم يعد يجدي أيضا، ستخدم وطنك على كل حال.

ـ العالم أساسا عبارة عن معسكر للعمل الإجباري حيث العمال البريؤون يتم اختيار عدة أشخاص منهم كل يوم ليتم إعدامهم.

ـ آاا فهمت خطتك الآن... تريد أن تدعي الجنون.

ـ من فينا البهلول ومن فينا المهبول؟

اقترب الماحي من مبارك وضغط على أسنانه وحملق فيه بنظرات حادة

---

[24]- مصطلح متداول في المجتمع الجزائري يرمز به لواجب الخدمة الوطنية ومدته عام.

وجادة:

ـ بهلول! من تقصد آه! هل أنا بهلول!

ـ طززز... طززز.

قالها مبارك وهو يضغط بإصبعه على خده ويخرج لسانه. ساخرا معورا عينه ومنسحبا مبتعدا عن الماحي هاربا مرددا:

ـ طززززز أنا البهلول وأنا المهبول طززز، أنا البهلول وأنا المهبول طززز أنا البهلول وأنا المهبول طز طز مياووو.

أنا مخطار مجددا نسيت أن أخبركم قبل هذا أن أكثر ما يميزني عن الذين تعرفتم عليهم قبلي وستتعرفون عليهم من بعدي هو أني أصدقهم معكم ومع نفسي

وأنا أملك شاربا طويلا وعينا واحدة أربي حيوانين أليفين لا بأس بهما أحدهما خاضع لي والآخر متعصب إذ أقوم بتربيتهما من أجل خدمتي فقط ولأسباب أخرى خاصة جدا قد يذكرها إن شاء الراوي الذي تقاتلت معه منذ صفحات انطوت ويخون قوانين الطبيعة والحرب والكلاب

الملك من ينتظر كثيرا فالجائزة الكبرى كلها من نصيب الصابر أما أنت يا مبارك كشخصية ثانوية لا أريد منك إلا الموت الشريف ممددا بين يدي صديقك الوفي واهبا جثتك المقدسة لي كالعبادة أنتظرها حتى يحين وقتها لا أؤخرها ولا أؤجلها وآه كم هو صعب أن تكون مخطارا مخطارا مخطارا مخطارا مخطارا مخطارا مخطارا كخ نخ نخ عفوا لصقت كرة صوف في حلقي

دعنا من ذاك اللقيط الوغد ولأحدثكم عن مخلوق جميل وهو الحسين الحضن الذي لطالما آواني حبي لك لا يوصف بالكلمات لهذا أردت أن أكرمك وأشاركك جسدي لنصبح روحين لا يفترقان أستمد الشجاعة من حضورك وفي غيابك أحس بالوهن وأشد على قبضتي مسرعا لكي أهرب من كلاب أرادوا تفرقتنا بشتى الطرق بعد أن ارتطم وجهي في حضنك قبل أن يقطع ذاك الوغد كل أطرافي ويبدل خلق الله إلى صورة الفقمة أو حجر تيمم أملس حتى فرعون لم يفعل ما فعله اللقيط ذاك ولطالما تذكرت وصمة عار طبعت في آخر ظهري ذات يوم حشر لم تبقِ ولم تذر سوى شكلا ميتا معقوفا ينزف كبريائي

آه يا حسين يا أكثر شخص أردت العيش في أحشائه والتكلم بنبرته والمشي بقدميك المباركتين كم أحس بطني ينتشي كلما اقترب موعد عقد قراني بك يا من انتظرته وما أسفي إلا أن فارقنا اختلاف الأديان والأطراف

تيواواطي تي تي ووتيواواطي تي تي تي
تيواواطي تي وتي وو
تيواواطي تي وتي وو
تيواواطي تي وتي وو

ترجمة عمي حسان:

أنا الزبير وأنا أكثر المعذبين في الحكاية
سقط الشر على رأسها
سقط الشر على رأسها
سقط الشر على رأسها

"لي ما هو حنين ما يربي مقنين"

مثل جزائري

ترجمة المعنى:

"الذي ليس حنونا لا يربي مقنينا"

مقنين: طائر الحسون

حاشية علمية:

الحَسُّونُ الأُوراَسِيُّ أوالحَسُّونُ الأورُوبِيُّ أو مُجرّد الحَسُّونُ في الخِطاب العاميّ، أو **المُقْنِينُ**، هو طائرٌ صغير من رُتبة الجواثم وفصيلة الشُرشُوريّات. هذه الطيور منتشرة بكثرة في الجزائر حيث يمتدُ موطن هذه الطُيور من أوروبّا الغربيّة وُصولًا إلى سيبيريا الوُسطى، ومن شمال أفريقيا حتّى آسيا الغربيّة والوُسطى. كذلك، فقد أُدخلت إلى الكثير من بُلدان العالم عن قصد أو بطريق الخطأ، عندما أُحضرت لِغرض تجارة طُيور الأقفاص، غذاؤها الرئيسي يتكوّن من بُزور النباتات المُعمِّرة، والأشواك البريّة، وبعضُ ثمار الأشجار.

حاشية تاريخية:

كان يُنظرُ إلى الحساسين الأوراسيّة على أنها رمزٌ من رُموز الصبر والتحمُّل، والخُصوبة، والمُثابرة. كما أنّ شغفها ببزور الأشواك البريّة جعل منها رمزًا من رُموز المسيحيّة في بعض البُلدان الأوروبيّة، نظرًا لِأنّ تلك الأشواك صُنع منها الإكليل الذي وُضع على رأس يسوع المسيح عندما كان أسيرًا يُعذّب عند الرومان، وفق المُعتقد المسيحي، كما كان صبر الحساسين على الوقوف على سوق الأشواك يعكسُ صبر المسيح على الآلام جرّاء الإكليل.

حاشية زيبرية:

كانت الحساسين الأوراسيّة تُستخدم كطلاسم خِلال العُصور الوُسطى في أوروبّا للحماية من الطاعون، وقد ذكر الفيلسوف وعالم الحيوان السويسري كونراد گسنر هذا الأمر في مؤلّفه عن الطُيور من سنة 1554م، ووضع

الحساسين من جُملة الأنواع التي يُمكن للإنسان استخدامها للشفاء من الأمراض. وقال إنّهُ في سبيل شفاء المرء من المغص والآلام المعويّة والنقرس، يجب على المريض أن يأكل لحم الحسّون مقليًّا. وبسبب المُعتقد الشائع حينها بأنّ هذه الطُيور قادرة على أن تحمي من الأمراض المُميتة، **فإنّ أحدها كان يُشنق ويُعلّق في غُرفة المريض المسلول على أمل أن يشفى من مرضه المُميت.**[25] وفي الميثولوجيا الإغريقيّة، سُمي أبناء پيروس ملك إماثيا (مقدونيا) «أخالنثيس»، وهي كلمة تعني «الحساسين»، وكان هؤلاء وفقًا للأُسطورة قد دخلوا في خِلافٍ مع إلهات الإلهام، فلعنتهم هذه الأخيرة وحوّلتهم إلى عقاعق وفق بعض المصادر، وإلى طُيورٍ أُخرى وفق مصادر ثانية.

حاشية فنية:

قام الموسيقار الإيطالي أنطونيو ڤيڤالدي بتأليف معزوفة موسيقيّة تؤدّى بواسطة المزمار تحملُ عنوان «Il Gardellino»، وفيها يُحاول العازف تقليد تغريد الحسُّون بواسطة مزماره.

رابط الفيديو:

/Q3d7cKCyssA .https://youtube

[25]- رأس خيط لتفسير رؤيا خيرة الكحلة.

مقتطف من رواية "مطلوعة (خبز وحب) للكاتب عبد الباسط باني.

مطلوعة:

ـ لكن هل كل هذا من أجل الانتقام؟

نعيمة الحراشي:

ـ من أجل أشياء كثيرة. تضحية وتكفير عن ذنب قديم.

ـ ماذا تقصدين بذنب قديم؟

ـ هناك بعض الأخطاء. عندما تقع لا نستطيع أن نصلحها لكن نستطيع أن نخطئ من أجلها حتى لا نزيدها سوءً.

ـ أخطاء من أي نوع!

ـ عندما كنت شابة أخطأت مع أحدهم وأنجبت منه توأم. البنت لم أرد لها أن تعيش حياة الفقر التي عشتها أنا. لذلك تركتها أمام بيت عائلة ثرية بعدما تركت لهم رسالة ليربياها ويجعلاها ابنة لهما. تركتها أمام منزل ذلك الرجل الذي فتح الله عليه بيبان الخير بعدما كان أشد فقرا وحاجة مني. وقد كان هو الذي ساعدني في ولادة أميمة.

ـ أميمة!

ـ نعم أميمة بنتي.

صمت مطلوعة وبلع لسانه واستمر في الإنصات لكلام نعيمة وهي تسرد قصتها بكل ألم.

ـ ثم بعدها هجرت مدينة وهران لأسكن هنا في مدينة عين الدفلى.

ـ لقد قلت إنك أنجبت توأما! إذن أين...!

ـ نعم حين دخلت إلى مدينة "عين الدفلى" وجدت إحدى العرافات التي تملك بيتا تضم فيه المهمشين والمشردين والمومسات ومن لا مأوى لهم. آوتني "خيرة الكحلة" ولما رأت الولد وقد كان في أشهره الأولى وقد ولد بحلمتين زائدتين وقدم أكبر من قدم. أخبرتني أن ابني هو "وريث الشيطان" وأن عليّ التخلص منه لأنه ابن زنى بعدما جاءتها رؤيا في الحلم بأنه سيتسبب في موتي، فتركته في سلة أمام "مسجد الخضراء" وسط مدينة عين الدفلى. وبعدها عملت كخادمة في البيوت لأعوام. ثم وجدت أخيرا عملا في مدرستكم. وطويت صفحة كبيرة من حياتي. ومع بداية هذا العام تفاجأت بفتاة جديدة حسناء. كانت لطيفة معي بشكل كبير، ذات يوم ساعدتني في غسل الأرضية ولما كانت تنحني لاحظت وشمة على رقبتها مثل الوشمة التي في رقبتي انظر (وأرت مطلوعة جزءا من رقبتها كانت نفس الوشمة المميزة على شكل نصف قلب).

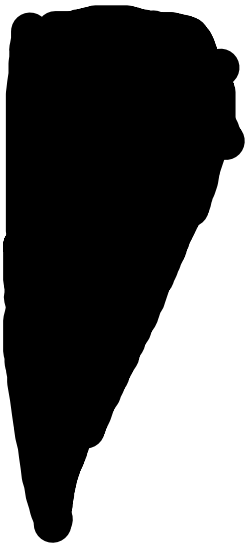

شكل الوحمة الموجودة على رقبة نعيمة الحراشي.

الشيخ قدور

أغلق محل عمله، وضع القفل على باب الحطب لمحله الصغير الذي هو عبارة عن حجرة صغيرة حديدية بمساحة متر مربع وعلو مترين. خبأ الأحذية في علبة حديدية ووضع ما في حصالة نقوده في جيبه، نفض عباءته الصفراء الباهتة من بقايا خيوط وأفرشة أحذية. العباءة بها ثقب تحت إبطه وثقب آخر في ظهره بان حين التفت ليغلق محله، جمع كرات الخيط السوداء لفها فوق عود حطب صغير. وخبأها بجنب ساق حديدية هي رأس ماله يثبت الأحذية فوقها، حتى يدقها ويضربها بمطرقته الصغيرة الحديدية، وكانت تلك الساق الحديدية أغلى ما يملك في تلك العلبة الصغيرة المغبرة.

قمر يتدلى في السماء كلؤلؤة في عنق حسناء، نباح كلاب متقطع. نظر نحو ساعته الكلاسيكية بنية الحزام ورفع حاجبيه. لاحظ أنه تأخر قليلا اليوم عن الوقت المعتاد لإغلاق المحل أو شبه المحل. وفكر أيضا في أن وقت صلاة العشاء سيبلغه وهو في الطريق، لذلك التفت مسرعا وشق طريقه نحو المسجد مباشرة يقدم رجلا ويؤخر الأخرى يمشي بخطوات عرجاء. وفي تلك الأثناء كان صوت الأذان يسمع بعيدا على مدى الحي، الكلاب تنبح وصوت الريح يعوي، توقف، يحاول أن يعرف إن كان يسمع حقا صوت الأذان أم شبّه له ذلك. سمعه قوي رغم سنه الذي يبلغ العقد الخامس، لا يزال بصحة جيدة مقارنة بنظره الضعيف الذي نقص بسبب رائحة الأحذية الكريهة لأرجل أهل القرية فمع الوقت سببت له ضعف النظر.

عبر شارعين ومشى لمدة عشر دقائق، يسبح ويحملق ويراجع ما يحفظه من قرآن، بلغ مفترق طرق في طريق المسجد غير بعيد. لاحظ المصلين خارجين من المسجد بعدما أنهوا الصلاة.

طأطأ رأسه وعاد راضيا بقضاء الله مؤمنا بأن النية تسبق العمل وعازما راجعا للمنزل حتى يصليها ويأخذ أجر من صلاها في المسجد، كان إيمانه قويا وصلبا رغم فقره المدقع إلا أنه كان غنيا بإيمانه لذلك كان يبتسم دائما راضيا بما أعطاه الله وغناه في قناعته.

ثم هناك غير بعيد من طريق المسجد سمع صوتا قادما من حاوية خضراء لمكب نفايات في جانب الشارع. كان صوتا يبدو مثل صوت قطط صغيرة تموء بصوت خافت. اقترب أكثر ليرى هذه القطط المولودة حديثا. ربما يبحث لها مكان آخر غير مكب النفايات، كانت الحاوية مغلقة بجنبها سلة يد بنية تغطي جوانبها لحافة زرقاء. اقترب الشيخ أكثر ليرى من تخلى عن هذه القطط، ليفاجئ بأن الصوت تغير وحال إلى نبرة بشرية. استغفر وسبح وذكر الله خوفا من أنه جني أو شيء روحاني يؤذيه.

فتح السلة على مهل عن بعد متخذا مسافة أمان بعصاه دون أن يقترب منها، سقط فكه وجحظت عيناه وطالت وجهه دهشة عامرة.

رضيع أبيض طري مثل عجينة خبز. يرفس بأرجله. يضم يديه لصدره ويرغي بهدوء، وجهه أحمر يدل على أنه كاد يختنق داخل السلة.

قبل أن يحمله قفز نحو الشارع بخطوات حذرة متفقدا إن كان هناك أحد في الشارع يراقبه أو أي أحد مشبوه فيه. لم يجد أي أحد، كان الشارع يصفر. العجوز والطفل الصغير داخل السلة. حاوية القمامة وبعض القطط تمزق

كيس النفايات تحت الجدار المقابل وعمود الإنارة يستمر بالاشتعال ثم الانطفاء.

يحمل الشيخ الطفل الصغير بعينين رماديتين وخائفتين يضمه لصدره، يربت على ظهره بهدوء وحرص ثم يرجعه داخل السلة وينظر في عيني الطفل الصغير وقد عاد وجهه للبياض من جديد بعدما كاد يختنق من نقص الهواء. يفكر الشيخ مليا وتتدلع الأفكار داخل رأسه.

هل يحمله أم يتركه؟ هل يتصل بالشرطة أم يأخذه لهم!

ثم فجأة يخفت بكاء الطفل الرضيع ويبتسم في وجه الشيخ ابتسامة ملائكية انبجست منها عيون الحنان والأبوة والطيبة داخل فؤاد الشيخ. بادله الشيخ الابتسامة بعينين واجستين رهيفتين تغرق داخلهما المدامع.

يلفه الشيخ في ملاءته الزرقاء، يفتح له السلة ثم يحمله راجعا به إلى بيته.

بعد دقائق وصل به العجوز إلى كوخ مهترئ. دفع الباب برجله. أدلف ببطء، كان ذلك الكوخ شبه خال من الأثاث. سريران في المنتصف وفتى صغير يبدو في عمر السادسة يقابل التلفاز في الزاوية. يشاهد مباراة في كرة القدم بالأبيض والأسود وكله تركيز فلم ينتبه حتى لدخول العجوز وفي يده السلة وداخلها الرضيع الصغير.

فجأة انتبه الفتى الصغير لما يحمله الشيخ في يده عندما سمع بكاء الرضيع. هب مندفعا لتدفئة بعض الحليب لتقديمه للرضيع.

ـ أبي أبي ما هذا؟

ـ إنه أخوك يا ولدي إنه أخوك.

ـ أخي!

ـ نعم إنه أخوك؟

ـ وما اسم أخي؟

صمت العجوز لبرهة تنهد وابتسم. وضع يده فوق كتف ابنه وتكلم بنبرة هادئة وواثقة كأنه رضا بأن هذا الفتى هو فأل خير عليه وأن الله أرسله له من أجل أن يختبر إيمانه.

ـ سنسميه مبارك.

ـ مبارك!

ـ نعم مبارك، لأن اليوم هو الجمعة وهو أيضا عيد الفطر. وكلاهما يومان مباركان. جمعة مباركة وعيد فطر مبارك ومع هذا الفتى ستحل علينا البركة إن شاء الله لذلك سنسميه مبارك.

كنت أضغط أسناني وأعصر عيني من شدة الألم. مخاطي يمتزج مع الدموع النازلة من عيني، حتى لمحت الحسين يسترق النظر عند طرف الباب. والدموع في عينيه.

توجه الراقي بالكلام لأبي بنبرة جادة والعرق يسيل من جبهته:

ـ آه يا لحاج قدور علينا بآخر حل إن أردت ألا يجن ابنك ونخرج هذا المارد منه علينا أن نكويه.

اتسعت حدقتا الحاج قدور ولم يجب.

قصيدة للشاعر الأذربيجاني عماد الدين النسيمي والتي كانت السبب في إعدامه بسلخ جلده وتقطيع أعضائه:

أنا أسع كلّ العالمين، لكن كلّ هذا العالم لا يسعني
أنا جوهر اللّامكان، لأنّه لا الكون ولا المكان يسعني
أنا السهمُ، والقوس أنا
أنا الشيخ، والشابّ أنا
أنا الذرّة، والشمس أنا
أنا العناصر الأربعة، وأنا الحواس الخمسة، والأبعاد الستّة أنا
اعرفني عبرَ صورتك هذه، ولكنّها لن تسعني
وإنّي أسع كلّ العالمين، ولكن كلّ هذا العالم لا يسعني
أنا الأشجار التي تشعل النّار
أنا الأحجارُ التي تقدحُ النّار
كلّ شيءٍ موجودٌ في الكاف والنّون
كلّ الموجودات بجملتها فيها
أنت بهذه العلامة تعرّف عليّ
ولكن اعلم بأنّ كلّ العلامات لا تسعني
كل الموجودات أنا، وكل المرايا لا تحتويني
قد أكون اليوم نسيميًا، وقد أكون هاشميًّا، وقد أكون قُرشيًّا
أنا الذي تتجلّى آياتي فيَّ، وكل آياتي لا تسعني
الكون والمكان هي آيتي

وذاتُكَ هي بدايتي
وأنت بهذه العلامة اعرفني، ولكن اعلم أنّ كلّ العلامات لا تسعني
أنا سرّ الكنوز، أنا المحيط، وكلّ الموجود أنا
وإنّ كلّ الكون الأعظم هو ذاتي واسمي
وكلّ هذا الكون لا يسعني
أنا الصّدف وأنا اللّؤلؤ
وأنا المحشر والميزان
أنا الرّحيقُ وأنا السّكّرُ
أنا الشّمسُ وأنا القمرُ
أنا الذي أهبُ النّفسَ والرّوح
وكلّ الأرواح لا تتمكّن من احتوائي
وإنّي أسع كلّ العالمين، ولكن كلّ هذا العالم لا يسعني
أنا جوهر اللّامكان لأنّه لا الكون ولا المكان يسعني.

ملاحظة:

من أجل متعة مضاعفة أثناء قراءة الفصل القادم، ينصح بالاستماع لهذه القصيدة مغناة، هي موجودة على اليوتيوب بعنوان "أنا القوس، أنا السهم".

رابط الأغنية: https://youtube /GPKq0nT-4Js

روح مثقوبة

أشعر أن روحي تهرب من جسدي، تتسرب، تفيض من مسامات جلدي الضيقة وتسيح مع عرقي البارد، ثم تتطاير، تصعد مع بخار أنفاسي الحارة. هذا الجسد. هذا الجسد. هذا الجسد، وهل هذه العلبة الصدئة يمكنني أن أسميها جسد؟ هذه العلبة ضيقة على روحي التي أشعرها مضغوطة ومحشورة بالداخل رغما عنها، كيما ساقية تأبى أن تحول إلى بركة وكيما حذائي الضيق على أصابعي، هي ذي روحي متقيحة ومتورمة داخل ذي العلبة الصدئة التي لم تعد تسعها، أريد أن أشق جسدي وأخرج منه، منسلخا، منسحبا، منبثقا، ثم أصرخ ملء حنجرتي وأعوي، أجهش، أصيح، أولول، أقول ما لا أستطيع أن أقول ولم أقل. أ[redacted] أشتم، أسبّح، أغني، أستغفر، أزحف أعض، أتعرى، [redacted] أتلا... أتل... أت... أ... ثم أنضغط، أنضغط [redacted] سيحا مثل شيء ما، لا يشبه لأي شيء سوى صراخه، و[redacted] مثل بثرة في خد مراهق مكور، ذلك إن استطعت مني خروجا، هروبا، نفورا، نشوزا، مايونازا، انعتاقا، فهل سأصبح شيئا ذا معنى أم مجرد روح غريرة هائمة على وجهها المسطح اللامعنوي. ذي روحي ثكلى مجوفة ومثقوبة من الداخل كإطار عجلة دراجة هوائية لصبي طائش ما عاد يبالي بإصلاحها، لكني على الأقل حاولت، حاولت العيش والتعايش لكني فشلت في الحياة وها هي ذي الحياة تفشل مني أخيرا، أششششت أنصتوا جيدا، صوت أقدام من بعيد في الداخل، أرى ما أرى وما كذب الفؤاد ما رأى أن رجلا يركض حافيا في داخلي يجري

ويجري ويرميه غرباء بالحلوى والحجارة والخراء والصراخ وكرات الروث. يلهث، يتمزق، يعوي، يبكي، يسقط، يزحف، يقيء، يرغي، يزبد، ينهض، ثم يسقط بشدة، تكسر رجله، تهرب يده، يسقط أنفه فيحمله ويركبه، يتفكك مثل كلاشينكوف، ثم يجمع نفسه، يضغط روحه داخله، يدخلها من أذنه، يقحمها بالضرب والصفع... إلخ، حتى يدوخ، ثم ينهض مجددا مثل جندي خسر كل مشاعره في حرب أهلية، يبرز صدره، لا يبالي بالرمح المغروز في ظهره ويواصل مشيته الواثقة، ثم بعد خطوات يرجع إلى حيّه ليرتاح فتصيبه صخرة في قفاه، يدوخ، يتمايل، يتعثر، يزيغ، تهرب منه دمعة، يرفع يده ليرجعها فتسبقه إلى الرحيل ويعجز عن إمساكها، يتصدع، يتحلل، يتآكل من صدئ دموعه، يغرق واقفا بها، يلوي رقبته، يخر، مخاطه يسيل على شاربه، يتذوق ملوحة ممزوجة بالصدأ، يتماسك ويحاول التشجع لتسبقه بولة بين فخذيه، يأكل زمنه حبة "فياجرا" فيجّرب شيئه، ثم يعود للإمطار دون خجل، يمسك بعضه أن يتبخر، يتكثف، يتشرنق ويولد من جديد فيشعر أنه أقوى من الأول بسبب الحرب التي خرج منها، إذ هو كذلك يسهو في غمرته حتى تسقط حمالة صدر على وجهه وتحجب عنه كل العالم. تغطي عينيه، لا يرى شيئا سوى العتمة، وإلى أنفه تتسلل رائحة عطر أنثوي قوي، يسكره، يصرعه، فيترنح من نشوة الألم، يرى الظلام أو يرى داخله، تقلب عيناه نحو الداخل مثل دمية أعادت تركيبها فتاة كفيفة، يبكي ويضحك، يتضاحك ولا يتباكى، ينظر هنا وهناك الجدران تقترب منه، وفي كل جدار ذكرى وشخصية، يتداعى المكان حوله، ينهمر فوق رأسه وابل ممطر من ذكريات ومن أحاديث قصيرة. وصراخ ممتزج بموسيقى حادة وسوداوية.

أنا أدووووور وأدور وأرجع نحو اللابداية. لا أدور في حلقة مفرغة حتى، بل أدور في حلقة مكتظة ممتلئة بكل شيء. إلا مني. فهل أنا موجود هنا أم أنا موجود داخلي؟ وهل هذه الحياة حقيقة وهذه الأشياء موجودة؟ أم هي داخلي فقط وداخلي هو الحقيقة وما أراه أمامي هو مجرد خيال محض؟

إني أرى أن الحقيقة ليست عكس الخيال ولا تمد له بصلة والنور ليس عكس الظلام ولا يمد له برابطة وإنما عكس الحقيقة هو اللاحقيقة مثل عكس الوعي هو اللاوعي. وأما الظلام الذي داخلي هو بحجم الكون العظيم. بما أن الرب خلق الكون من أجلي أنا. فأنا متيقن بأنه خلق داخلي كونا أكبر منه، لذلك أنا أشعر أني كلما اقتربت من حدود روحي أسقط في الفراغ الحالك وأسبح في الفراغ.

أنا مجرد رجل معتوه بسيط فانٍ. أمشي مثلما يمشي عباد الرحمان، ولا مشكلة في ذلك وهذا أنا أتقبله وأحتمل بساطته العادية، وأتساءل كلما خلوت إلى نفسي وخلوت بها وكنت أنا ثالثنا، هل هناك من أحد في هذا الكون يشعر بأن روحه مضغوطة داخل جسده، مثلما أشعر أنا؟

روحي كثيفة فائضة ومركزة بشكل رهيب. تسيح وتسيل على الرصيف لا أحد يراها أو يدركها. أنا فقط من يشعر بها تستنزف. تنطفئ. تتبخر. أووه ربي أحس أني إطار عجلة مثقوب في سيارة سباق تسير بسرعة. لا أحد يشعر بأن الهواء يتسرب من الثقب الموجود فيَّ. لا أحد إطلاقا. لا المراقبون ولا التقنيون ولا أدوات الاستشعار المزروعة داخل السيارة، لذلك حتما لن يطول الأمر وتنقلب السيارة بسبب هذا النزيف الروحي. السخيف في هذا الشعور أن أغلب من ماتوا في حوادث السير نزفوا دما حتى غشتهم المنية،

إلا أنا، أشعر أن هناك حادث مرور مروعا داخلي وأنا أنزف من الداخل ليس دما بل أنا أنزف روحا. أقطر ولا أحد يمكنه تضميد نزيفي الفظيع، أنا أنزف بقوة وأنتظر أن تستنزف روحي فقط هي مسألة وقت ومقابل هذا الجميل في الأمر والسيئ المؤلم أني أدرك نزيفي.

فهل هناك من أحدٍ ينزف مثلي وروحه تطفو في العدم ويشعر بالضبط بما أشعر به؟ أم لم يصل أحد بعد لحدود كونه الداخلي مثلما فعلت أنا؟ هل هناك من يقاسمني هذا الضغط الساحق! والأهم من هذا، هل أجد هناك من أصب روحي داخل روحه لأرتاح قليلا من عذابي هذا؟ أتوقف وأبادله إطار عجلتي المثقوبة وأريه الثقب الذي فيها ويتقبله! هل هذا الإنسان موجود في هذا العالم وهل يمكنه أن يكون كيانا بشريا؟

باختصار هل هناك من يمكنه أن يحمل روحي عني قليلا؟

لكن أنّى لي أن أحس بشعور الراحة وأنا لم أجد معنى روحي أصلا؟ يبدو أنه لا مناص من هذا التفتت الكوني والتداعِي الذي يحدث داخلي. ثم عندما أموت ماذا بعد! ماذا سيكون بعدما أدخل تحت التراب؟ هل سأنسى عذابي هذا!

عندما كنت طفلا صغيرا حلمت أن يكون لي دراجة هوائية أركبها وأتبختر أمام أقراني وأصدقائي كنت أحلم بالهواء يداعب شعري وأنا أركبها وأسمع جرسها ينقر طبلة أذني كلما وضعت رأسي على الوسادة، الشيخ قدور كان يعرف حلمي وحين كان يراني أبتسم أثناء نومي كان يعرف أني أحلم بالدراجة الهوائية، وبسبب الفقر والحرمان لم أحصل عليها وحصل الحسين على كرة قدم في عيد ميلاده بدلي أنا. أخفيت حزني وغيرتي ولكني بكيت بشدة

وحرقة، بكيييت، ب ك ي ت، وحلمت حلم طفل صغير. ثم بعد أعوام وأعواااااام. اشترى لي الحاج قدور دراجة هوائية وفاجأني بها. ركبتها وظننت أني سأفرح بها كما كنت أظن، لكني صدمت حين لم أشعر بتلك الفرحة التي كنت أتوقعها، خبت وخبيت، لم أحس بشيء كأن ذلك الطفل الصغير قد مات داخلي عندما لم ينل مراده في تلك اللحظة. فهل مات هذا الإنسان داخلي في هذه الحياة وهل سيحيا مجددا ليشعر بسعادة دخوله ذاك النعيم الموعود؟ هل سينسى هذا كل الألم وكل هذا الشقاء؟

هل سيحيا ذاك الطفل الصغير داخله هناك في ذاك الوعد الموعود هل سيستطيع أن يتذوق طعم الفرحة والسعادة مثلما كان سيتذوقه، ومثلما تذوقه للمرات الشحيحة في حياته المرة.

الله الله هل خلقتني لتعذبني هنا وهناك؟

الله الله هل كلما أوشكت أن أقترب منك زدت ابتعادا؟

الله الله هل كلما أوشكت أنكرك زدت منك اقترابا؟

اللهم حررني مني ومنا ومنه وإن شئت فاقبضنا؟

اللهم اقبض روحي فأنت أعلم بها مني.

يا ربي وأنت الذي قلت **{لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}**

فهل أنا أتسع لأكثر من هذا، وإلى أي مدى يمكنني الاتساع أكثر. لا أتخيل كونا متسعا أكثر من هذا!

وأنت الذي قلت **{وجعلنا لكل شيء قدرا}**

فما قدر اتساعي؟ وهل بلغته وأنا قد بلغت من الداخل عتيا!

اللهم إني هارب منك إليك وقادم إليك فكل شيء قد تخلى عني. حتى ظلي

ما عدت أراه وانعكاسي يكاد يختفي. وأنت ملاقيَ يوم التلاق قلت:
{إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم}.

أنا أفر إليه يا ربي حتى ألاقيك. فلا تحرمني من رؤيتك. أريد عناقك بالمعنى البشري. أريد أن أضمك وأبكي وأذرف كل الدموع التي خلقتها لي. فأنا تائه ولم أقدر... أنا هش، هش من الداخل يا ربي. أنت تعلم كم أنا ضعيف أمامك. لقد نكرت كل شيء ولم أنكرك لأني أدرك أن هذا الكون داخلي أقوى من أن يأتي عبثا. حتى إن كان الكون خارجا عبثيا فالكون الذي داخلي لم يأت سوى من صنع عظيم مقتدر وجبار عزيز. يذل كل من تحداه ويظل. أنا أؤمن برب الكون الذي داخلي لذلك أنا أبحث عنك فيّ فأين أنت يا ربي؟ أنا لا أنظر للسماء وأدعوك أنا أغمض عيني وأنظر داخلي وأناديك ويناديك الطفل الصغير داخلي والعجوز فهل أنت تسمعه وتسمعنا أم هل نصرخ أكثر؟ وكيف نفعل وأنت السميع العليم، هل أنت داخل قلبي أم مع أنفاسي، هل يمكن للكون داخلي أن يسعك؟ وإن كان لا يستطيع أن يسع سعتك فكيف للكون في الخارج أن يسعك! إذن أين أنت؟ أين أجدك بالضبط قل لي؟

هل أغير نظري وحسي لأبصرك!

وأنت الذي قلت **{وفي أنفسهم أفلا يبصرون}**

أم ختمت على قلبي وعلى بصري غشاوة وهذا هو العذاب الأليم الذي وعدت عبادك به الدنيا؟

آه يا ربي ما أشده وما أوجعه. والأسوأ من هذا أنه لا أحد يدرك مقداره وشدته. هذا من حكمتك لأنك تعلم أني لو استطعت مشاركته مع غيري

نخف قليلا. لذلك أعجزتني عن وصفه مهما بلغت من العقل والبلاغة والرشاد. ولذلك أنا أظن أنه حتى في الجحيم سيعذب الهالكون وحدهم ولا يرون غيرهم كيف يتعذبون حتى لا يشاركوهم الألم ـإن عمت خفتـ أو سيختم على عيونهم وعلى أبصارهم وبصرهم.

آه يا ربي ما أعظمك! وما أضعف المتجبرين عليك!

أنا قادم إليك هارب مني وعائد إليك نخذني ولا تأخذني.

ثم بلغ مبارك جبل دوي وعند مدخل الغابة أعياه المسير. حتى أدلف مزرعة كانت تتوسطها شجرة خروب كبيرة واستلقى على جذع الشجرة يسترجع أنفاسه وفكرة الانتحار تغلي داخل رأسه. في مكان غير بعيد لاحظ محراثا كبيرا بجواره حبلان غليظان. فقام والتقط الحبل من على الأرض، شكل به حلقة حول رقبته، ثم راح يتسلق الخروبة عالية الساق حتى بلغ فروعها ليربط بها الحبل ويخنق نفسه من عليها، حاول تسلقها مرارا وتكرارا، وإذ يصل إلى منتصفها حتى تفلت أصابعه أو رجلاه الإحكام ويسقط مجددا. أرهقته المحاولات. فرجع يتكئ على الخروبة يلعن العالم والدنيا والأشجار الطويلة والحبال الضعيفة والعمال النهمين ويلعن نفسه. وهو في حلقة اللعن تلك راودته فكرة جعلته يبتسم بخبث رغم شحوب وجهه...

{وَيَقُولُ الإنسان أَإِذَا مَا متُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}

(مريم/66- 67)

جيفة بوجه إنسان

أشعر في هذه اللحظة برغبة في تقيؤ روحي. كأني أدفع الفراغ وأصارع العدم حتى أكنسه من عاصمة الحزن بين حدود أضلعي.

روحي ترتعش. أريد خنق نفسي من كرشي ونزع ذراعي ووضعها مكان ساقي، بي رغبة مقيتة بإحكام أصابعي بقوة داخل صدري حيث أدفعها لتغرق أكثر قليلا نحو الجانب الأيسر من القفص الصدري. أجل هناك بالضبط حتى أمسك كرة اللحم تلك، أعصرها بين أصابعي ثم أمضغها لأتذوقها. بعد ذا سأرميها على الأرض وأدوس فوق جد أبيها الكلب بحذائي الجلدي الأنيق. لكن صراحة أخشى عليه فقد أتعبته معي المسكين، أخاف عليه من أن يتلطخ بدماء خاثرة فاسدة، لأني أحترمه، وهذا ربما الشيء الوحيد الذي ورثته عن الحاج قدور، أن بعض الأحذية تستحق التقدير والاحترام أكثر من بعض البشر، لذلك سأكتفي برمي كتلة الحماقة تلك لإحدى كلاب الشارع الضالة عسى أحدهم يسقط في حب كلبة جرباء ولا يجد طريقه، ثم أغمض عيني وأقطف إحدى خصيتي وسأختار اليسرى لأسباب يتعذر ذكرها الآن، خصيتي لا تختلف عن قلبي حتى هي في أحايين كثيرة أشعر أنها تنبض. خصوصا عندما تتأثر بالمشاعر. سأعلقها في كهف صدري وأخيط الجرح بالسلك الصدئ تبركا وتسلكا، سأعيد ترتيب أطراف جسدي وأرى ماذا سيحدث لي، هل أبقى أنا هو أنا أم أحوّل شيئا آخر أم يأكلني الصدأ، ثم ما حاجتنا لأذنين على كل حال! لماذا لا نملك أذنا واحدة بسمع قوي؟ وعين واحدة بنظر قوي؟ أشياء زائدة عن حاجتنا البيولوجية أم سيأتي

عام فيه تصبح تجارة الأعضاء موضة رائجة وتحدث طفرة عضوية تجعلنا نتخلص من الأعضاء المضاعفة إلخ...

على كل عدم ولا حال ما نفع هذا الجسد الفاني على كل حال أصلا، أذكر ذات مرحاض أن سمير الفار أقنعني بتدخين أول سيجارة حشيش، حين قال لي أول مرة "الصحة ربي خلقهالك من أجل أن تستهلكها ولماذا نرجع أجاسدنا للموت جديدة"، على عكس عقولنا صدئة وهرئة؟ وما محل القلب في الحكاية هل هو يعاني بضخ الدم مثلما يعاني العقل من مشقة ضخ الأفكار؟ وإني واقف هكذا أشعر أن رجلي اليسرى مخدرة وحلقي جاف، لعابي مكدس على جانبي شفتي، صداع في صدغي الأيسر، أووه آه ماذا وضعوا على صدري. أريد أن أمسك جزيئات الهواء وأدفعها داخل رئتي، السماء تبدو أقرب والأصوات خافتة في الخارج والضجيج والازدحام رهيب في الداخل، آه ربي كم أنا خواف وضعيف، لم أعش حتى حياتي كلها مغمورا في الملذات ولم أعش جنتي الأرضية هنا، ويبدو أني لن أعيشها بعد أن أضع حدا لحياتي.

هل هناك حياة بعد الموت حقا؟

أم كل هذا مجرد أساطير وخيالات!

وإن كان ذلك موجودا حقا فلماذا كل هذا العبث وهذا الألم؟ هل الألم هو الواقع؟

آه لوكنت متأكدا أنه لا توجد حياة بعد الموت، آه ماذا كنت سأفعل بهذا العالم، لست شريرا وإنما إنسان بأحلام سوداء ثم لا أدري لكني سأخرج عن المعقول وأفقد عقلي واقعيا. سأفعل ما لا أدركه وما لا أبصره!

إيه الدنيا بنت الكلب ما عندك ما تفعل كم نحن ضعفاء أمام صانعنا؟
أوافق أنا نذل بوجه رجل، لكني شيطان مذنب. كل شيء ميت داخلي أنا مقبرة منسية حارسها ضميري هو الذي لم يلفظ أنفاسه بعد، لكنه يكرهني ولا يطيقني يتغوط في أكياس زرقاء يملؤها خراءً ويطاردني ليرميني بها.
مرة يصيب ظهري. مرة أنفي. ومرة داخل فمي. أبتلع الخراء وأتقزز من روحي. نتن ولا يصلح للحياة. لا جمال فيه. كريه وقبيح حد السخط. الغبار يأكل قلبي والدود يرعى فوق لحمه. أنا مثل الزوبية من الداخل، متعفن ونتن، قذر، صدئ حد الهشاشة السخيفة، مثل نخمة[26] تميل إلى الأخضر أنا من الداخل، دسم بشحم العرق المقزز.
أكياس القمامة والحفاظات والقطط الميتة والمخاط ودم المخاض والجيفة والنتانة وأكياس الغائط المكدسة وحمار يروث في كل مكان مظلم داخلي، أنا مقبرة تغوطت عليها الحياة
جيفة بوجه إنسان
كيس قمامة ممتلئ بالمشاعر الميتة النتنة. متعفن من الداخل أنا، عفن على عفن وسترة تحمل جسدا وجسدا لا يستطيع حمل نفسه.

---

[26]- كرة كثيفة من اللعاب تخرج من أسفل الحلق مزيج من المخاط والبصاق الكثيف: لهجة جزائرية.

أخرج ملعقة معقوفة من جيبه وقارورة قطران صغيرة. أفرغها داخل وعاء الماء وراح يخلطها ويحرك ويقرأ القرآن. ثم أزاح الفرن عن الباب ووضع الملعقة فوق النار لتسخن حتى تغير لونها للأحمر بعدها غمسها في وعاء القطران وأعاد تسخينها مرة أخرى حتى توهج معدنها ثم تفل فوقها. ولما رأيته ينهض متوجها نحوي كاد يغمى عليّ. وقف فوق رأسي رفع يديه للهواء وبدأ بالتمتمة وذكر أدعية لم يسبق لأذني أن سمعتها:

ـ ود... يغوث والعلق الممدود... سيل فاح رب الفلاح... قد سمع... لا يفلح.

أرعبني كلام الراقي والسرعة التي كان ينطق بها الحروف ويلعق في كفيه ويتفل في إناء الماء قربه، ترجيت الحاج قدور بنبرة منكسرة وواهنة عسى قلبه يحن مثلما حنّ عليّ في أول مرة وجدني فيها بين الزبالة وحملني إلى بيته:

ـ لطفا بي يا أبي... آه ربي... ارحمني يا أبي أرجوك.

بصوت قوي ونبرة خشنة فاجأني الراقي:

ـ هيا بسرعة أنزل سرواله وأدره نحوي. سنكويه على زنونته[27] هي مقر الشيطان ومسكنه.

ـ آاااه... آههه اااااه أرجوك سأموت... أرجوك.

---

[27]- عضو الطفل الصغير باللهجة الجزائرية.

كل طير يلغى[28] بلُغاه[29]
مثل جزائري

[28]- لغيتِ الطير بأصواتها: نغمت. الرائد-جبران مسعود-صدر: 1384هـ/1965م
[29]- لغاه أي صوته لُغا أي صوت.

كلمات من تفريغ فيديو على اليوتيوب لرجل مولع بتربية طائر المقنين في سوق العصافير معروف "بعمي حسان" بالجزائر العاصمة أين اشترى حسين زبير أول مرة:

كاين مقنين يخدم قودلويخدم لاقلاق، لافلاق شغل الما
كاين مقنين يخدم شغل لاموندولين لاقاسطانيات لاكلوشات
تيواواطي ثزراتيواواطي هزراتشاتشاوكل طير يلغي بلغاه
تع طاقارا يخدم لباتريوبتيواواطي تع بيرومان يخدم
تيواواطي تيواواطا تع بوفريزي يخدم بريوبريوسارفاتي
الاكولومبري لالاب تيواواطي. ميور شون في المقنين تيباتباتي
تع واد رمان تع بن عكنون كاين واحد تيواواطي يقولولها
تيواواطي قالوبي لافالوب ناس هاذي ميعرفوهاش قليل لي
يعرفها كاين ناس يقلك تيواواطي قالوبي طويلة وهي مكاش منها
هي تيواواطي قالوبي كيفاش يخدمها لمقنين يخدمها هكدا:
"أرلي أرلي تيبرليوتيبرلي أرلي أرليو" هكا يخدم ممبعد كي
يحكم دوون تيواواطي يخدم "تان تان تان تيبرلي تيبرلي
تيبرلي تان تان تان أرلي أرلي تيبرلي تيبرلي تيواواطي" هكدا
يخدمها هاذي هي الافالوب
تسما حب يقول لمقنين يطلع ويعاود يحبط ويعاود يطلع باش
يخدم دواون تيواواطي، هاذي هي تيواواطي
وكاين تيواواطي طويلة يقولوتيواواطي قالوبي مي ماشي
قالوبي لي هدرتلك عليها هي وهاذي قولولها

لاتشاوتشاو كيما نقولو لمقنين تع دالي براهيم
يخدم تريبا تشاوتشاوهكدا" تريبا تريبا هيز تشاوتشا وتشاو" الثالوبي

الترجمة:

Erreur ⚠□

رابط الفيديوعلى اليوتيوب:

.https://youtube/WczfYS1RByw

الجن العاشق

أصبحت عديم الطعم واللون والشعور، لكني حتما قنبلة مضغوطة من الذكريات التي تغمني وتغللني لترميني للعيش في قعرها المظلم. مثل طحلب لا نوري أجرب. مشاعري انتفخت ونمت حتى ذبلت ثم ماتت دون وقتها. أعلم أن هناك حدودا لهذا الجسم الذي يحتوينا وإلى أي مدى يمكنه أن يكبر وتظهر عليه علامات الشيخوخة والهرم، لكن لا أعرف حقا حدود القدر الذي يمكن أن يبلغه الإنسان من عمر في الداخل. والورطة في اللامحدودية للعمر داخليا أنه قد يقتلك وأنت ميت على قيد الحياة، تضحى تموت في اليوم مئة مرة ومرة. تصبح مجرد جثة هائمة على وجهها. يجرها العبث والحيوانية والصدفة وتمضها السببية وتبتلعها الحتمية بشراهة وما أكثر الجثث في هذا الوطن. أعرف أن لي زرين زرا أحمر وزرا أزرق، زر للانتحار وزر للجنون، أستطيع بلوغ الزر الأول بأن أقلب السيارة التي أسير بها والزر الثاني أبلغه حين أزيد سرعتي التي لا أعرف حدودها حتى يحترق المحرك، إذ أن الأشخاص الطبيعيين يعرفون تقريبا حدود سرعتهم ويقفون عند حد معين من التقدم والانغماس والتفكير وأي شيء آخر على عكس من هم أمثالي، لا يعرفون حدود عالمهم ولا حدود تفكيرهم، حيث يضغطون على دواسة الوقود حتى يصعد الدخان من المحرك وتطير لهم الخيوط داخل رأسهم فيأخذون مهب الجنون، قررت أن أضغط الزر الأحمر ولم أضغط الزر الأزرق لأني متعب ولم أعد أريد أي إثارة بعد، أنا رجل كسول منذ أن كنت طفلا، وعندما كنت صغيرا كنت أنتظر نشرة الثامنة في التلفزيون العمومي

لأشاهد نشرة الأخبار. كنت مدمنا لمشاهدة نشرة الثامنة فقط من أجل آخر قسم فيها وهو قسم الكوارث والوفيات والأزمات ومصائب الأسر وخسائر البلد. أبتسم وأحمل كأس اللبن في يدي. مثل السلطان أبتسم ابتسامة طفولية باحثا عن شيء داخل أنفي. والمذيعة تعدد عدد قتلى إنفلونزا الطيور ثم حوادث المرور ثم إنفلونزا الخنازير ومن ماتوا غرقا من الحراقة في البحر، كنت أتمدد على الأريكة الزرقاء تلك. كل مساء مثل وزير يشاهد مباراة كرة قدم في المقاعد الخاصة. أصل لنشوة غريبة حين أسمع أن الناس تموت. أغمض عيني وأتخايل تلك الأحداث بتفاصيلها المرعبة وكنت لم أصل سن البلوغ بعد. لكني كنت أصل إلى نشوة فكرية غريبة. لذيذة، حميمية، سادية. أستمد نشوتها من تلك الطاقة السلبية التي تنشرها المذيعة الشقراء ذات الوشاح الأحمر الذي لا يفارقها. وكنت أعشق تعذيب القطط وركلها كلما مرت بجانبي، كم أكره القطط ولا أظنها هي الأخرى تحبني، عندما كبرت في العمر قليلا عرفت أن القطط لا تأكل الفئران في كثير من الأحيان بل تمسكها فقط لتعذبها وتلهو بها، هكذا أنا كنت أفعل عندما كنت صغيرا، حتى أصبحت ضليعا بأمر القطط وأفهمها جيدا وعرفت أن القطط تهسهس عندما تكون خائفة وتخرخر عندما تشعر بالتلذذ وتصدر صوتا مرتجفا عندما تريدك أن تتبعها لتريك شيئا ما وتزمجر عندما تكون غاضبة وتصدر صوتا يشبه العواء عندما ترغب في الشكوى، هكذا وأكثر... حيث كنت أمسك كرات الشعر تلك من آذانها وأقطعها بحيث أنها أصبحت عادة لي أن أقطع أذنا واحدة ولم أكن أقطع الاثنتين لأني كنت أتبرك بالعدد الفردي، شربة واحدة من الماء أو ثلاث، وقس على ذلك في التمر وفي التثاؤب وفي قطع

آذان القطط، وأحيانا أقطع أذيالها وكم ذيلا قطعته، كنت أرى أن الذيول القصيرة أجمل في مؤخرة القط إذ هي متناسقة مع أذنيها، كنت أسرق المقصات من دكان الحاج قدور لأبحث عن قطط في الشارع ألهو بها وأقطع أذيالها وآذانها وأظافرها وأحيانا كثيرة أسلخها وعندما أصل إلى نشوتي تثير عاطفتي ويحزنني حالها، لذلك أذبحها وأنهي عذابها وأول مرة ذبحت قطا فقط فضولا لأعرف إن كانت تملك سبع أرواح حقا أم مجرد أسطورة، كنت عندما أقتلها أحملها إلى الغابة أين مزرعة العم عدة، أخ الحاج قدور، أزوره ويفرح بي ويعد لي قهوة ويتركني لألهو في ساحة بيته الواسعة مباشرة عند تلك الخروبة الطويلة، تحتها كنت أوهم الحاج عدة بأني ألعب في التراب وأقوم بدفن القطط، وأقرأ عليها سورة الفاتحة وكنت أراني أفيد الطبيعة لأن أجساد القطط ستتحول إلى سماد يفيد الأرض في تحصيل خصوبتها والخروبة في نموها، كنت أرى أن القطط لا فائدة منها وهي خائنة ومضطربة اجتماعيا ولا أعلم لماذا يربيها البشر، أنا أحترم الكلاب وأقدرها وهي تفهم في عالم الحيوان أكثر منا ولو رأت خيرا في القطط لما كرهتها، الكلاب حيوانات مفيدة ومحترمة ووفية لكني لا أحبها لأني لا أحب الحيوانات ولا أحب البشر ولا أحب شيئا ولا أحب أني لا أحب شيئا، أحب عض الأطفال الصغار، عضها بطريقة عنيفة، حين يزورنا الأقرباء في المناسبات ويحضرون معهم أبناءهم الصغار كنت أتظاهر بحبي لهم، حيث أسرع لعناقهم وأهم لتقبيلهم وأغتنم فرصتي لأعضهم على خدودهم وأيديهم ورقابهم، لا تستهويني لحوم البشر لكني كنت أحب أن أعض لحمهم الطري وشعور ضغطه بين أسناني الحادة آه...

كثيرا ما كان يباغتني الحاج قدور ويدخل عليّ وأنا في تلك الحالة غارقا في مشاهدة تلك المذيعة الشقراء مستلقيا على كرشي. وعيناي ذابلتان. ينظر نحوي بنظرة ارتياب ظنا منه أني مهووس بالمذيعة وأنني أنتظر مرورها من أجل أن أقوم بالاستمناء عليها فقط. لذلك قام بحذف القناة الأرضية ولكن ذلك لم يصدني. فغيرت إلى قناة ال BBC ونشرة الأخبار الدولية حيث كانت المتعة أكبر ومتعددة لأن معظم الأخبار كانت تحكي عن حروب الدول العربية. تفجيرات مسلحة. اغتيال وزير الصحة. موت عشرين شخصا في انفجار حافلة مفخخة، إعثار آه... عفوا تجشأت لتوي أقصد إعصار... إعصار يضرب جنوب اليابان يتسبب بموجات تسونامي تودي بحياة الآلاف شمال العاصمة بيكين، ظهور مرض غريب في جنوب إفريقيا شبيه بالملاريا، يقتل آخر قبائل "الهاتكا " إلخ... كنت أرى أن الطبيعة تنتقم من البشر الدخلاء عليها كأن الكرة الأرضية رافضة لنا. كنت أتمنى الموت للعالم كاملا إلا أنا والحسين والحاج قدور وخمسة من الناس. ظن الحاج قدور أنه بعدما قام بمنعي من مشاهدة الحصة سيمنع عني نشوتي التي لا يفهمها ولم أفهمها حتى أنا في ذلك السن، ليفاجأ مجددا وهو يراني في تلك الحالة الغريبة من اللذة ولكن هذه المرة أمام مذيع يقدم الأخبار وليس مذيعة، وضع يده على رأسه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم. ظنا منه أني شاذ. أو على الجهتين. لم يحتمل الحاج قدور وأمر الحسين بأن يساعده في نزع الصحن اللاقط ويترك فقط قناة واحدة هي قناة أرضية دينية وثقافية.

بعد أيام وبعدما نسي القصة واطمأن. تفاجأ مرة أخرى وحشر رجله داخل التلفاز وبدأ يلعن الشيطان. بعد أن رآني متلبسا وأنا أنهي مشهد شريط

وثائقي لتماسيح تصطاد الحمير الوحشية وتعصرها بين أنيابها على ضفة النهر، ثم تسحق غزالة نافقة بين أنيابها كانت قد التوت عليها قبل أن تُجهز على الوليمة الأكبر تاركة الغزالة الأم شاردة في السهل الأخضر باحثة عن ابنتها المغتالة وحيدة في السهل الأخضر.

ظن الحاج قدور أني "مسكون" فخرج يندب ساعديه مستغفرا مكبرا وأحضر لي الراقي. بعدما حضر الراقي سمعته يتمتم في أذن الحاج قدور بعدما أغرقني بالبخور بأن ابنك ممسوس بجن عاشق وعليك تزويجه في أقرب وقت. أردت أن أشرح لهم أني لست ممسوسا ولا مركوبا ولا منزولا. ولكن للأسف لا أحد صدقني. ولما حاولت شرح حالتي بأني أتلذذ بالألم، صاح الراقي وكان اسمه على ما أذكر "الحاج مهني الخفيف"

ـ الشيطان يسكنه وهو من ينطق على لسانه.

أحضر الراقي أنبوبا بلاستيكيا أبيض غليظا ثم أمر الحاج قدور بأن يربطني من ذراعي وينزل لي سروالي. ضربني الراقي على مؤخرتي بقوة. وأنا أصرخ وأتلوى وأتخبط مثل فرخ دجاجة عاري المؤخرة. والراقي يقرأ القرآن ويضرب بقوة.

ـ بسم الله. الله أكبر. أخرج يا عدو الله. أخرج يا عدو الله.

ثم يرميني بالماء المرقي.

ـ ولا يفلح الساحر حيث أتى.... أخرج يا عدو الله.

أشعر بالأنبوب البلاستيكي مثل السوط يضرب على مؤخرتي الصغيرة. وأنا أبكي وأصرخ وأرفس وأدفل في وجه الراقي حتى يتركني.

يمسح الراقي لعابي من وجهه ويضغط على أسنانه وعيناه مغمضتان:

ـ آه يا عدو الله أنت هنا. تريد أن تحرقني بمائك الشيطاني. (هاك طاااااخ ويضرب بقوة على مؤخرتي، ثم يقول). أنا معي الله ودعوة الأولياء الصالحين وبقدرة ربي والحكمة المهداة لي من عند سيدي لخضر الأطرش ستخرج... (ثم وهو يغمض عينه ويصوب بالأنبوب البلاستيكي السمي البارد الذي ضربته أشد من السوط، تجانب ضربته مؤخرتي لأسفل منها وتصيب خصيتي. حتى أحسست بهما يفقسان مثل حبتي بيض على طرف مقلاة وأنفجر صارخا لاعنا باكيا ملء حنجرتي الصغيرة ثم يواصل قائلا عندما رأى بأن لوني بدأ يزرق ويبرد). شهّد واذكر الله إن كنت مسلما... (وأنا لعابي يسيل. شعرت بالجمر يغلي داخل بطني ويصعد مع أنفاسي ليخرج معها)... شهد هكذا طاااخ طاااخ... لا يفلح الساحر حيث أتى. تكلم من أنت. تكلم باسم الرب الأكبر...

ـ اطلقني ن... ر. لي تامن بيه.

ـ آه هذا ملحد أشد عداءات من الكافر. هذا صعب إخراجه.

ـ آه يا بابا أرجوك ارحمني. أتركني... سأموت آه.

رد الراقي وهو يواصل ضربه بقوة وسرعة تمنيت فقط أن يترك لي الحاج قدور ذراعا واحدة فقط ليس لأتملص من الضرب على مؤخرتي بل فقط لأحمي خصيتي من الفقس مجددا ويزيد ألمي إلى درجة لا تطاق. وجه كلامه للحاج قدور بنبرة ناهرة:

ـ لا تدعه يثير عاطفتك أعداء الله هؤلاء يعرفون ألاعيبهم مثل الشياطين يثيرون عاطفتك حتى تشفق عليهم إياك أن تتركه. وإن تركته حتما سيصاب بالجنون وينخطف.

ـ يخطف!

ـ نعم ستخطف عقله الجن.

كنت أضغط أسناني وأعصر عينيّ من شدة الألم. المخاط يمتزج مع الدموع النازلة من عيني، حتى لمحت الحسين يسترق النظر عند طرف الباب. والدموع في عينيه.

ـ آه يا لحاج قدور علينا بآخر حل إن أردت ألا يجن ابنك ونخرج هذا المارد منه علينا أن نكويه.

اتسعت حدقتا الحاج قدور ولم يجب.

ـ أحضر لي وعاءً من الماء وبعض الملح ومغرف. وبعض القطران أو لا داع للقطران فأنا أملك في حقيبتي منه. أسرع إن كنت تريد إنقاذ ابنك.

عندما سمعت كلمة كيّ. صرخت، صرخت حتى كادت أن تنفلق حنجرتي ورحت أتخبط وأرفس مثل طائر يحاول الخروج من بركة ماء. عضضت الراقي من يده. عندما أمسكني من رأسي.

ـ آه آح كلب بن كلب إنه يعض مثل الحية. سأمتص سمه من يدي أمسكه جيدا.

ـ يا لحسين يا لحسين تعال. تعال!

حضر الحسين أخي مسرعا وهو خائف يرتعد لا يعرف ما حل بي وما يفعل بي.

ـ أحضر لنا وعاء ماء وبعض الملح وفرن الغاز الصغير تجده في الصندوق الأخضر تحت طاولة المطبخ. هيا أسرع أسرع.

بعد لحظات وقد بدأت أفقد طاقتي بين ذراعي الحاج قدور القويتين.

عاد الحسين بالفرن. أشعله الراقي بعود ثقاب وأخرج ملعقة معقوفة من جيبه وقارورة قطران صغيرة. أفرغها داخل وعاء الماء وراح يخلطها ويحرك. ويقرأ القرآن. ثم أزاح الفرن عن الباب ووضع الملعقة فوق النار لتسخن حتى تغير لونها للأحمر بعدها غمسها في وعاء القطران وأعاد تسخينها مرة أخرى حتى توهج معدنها ثم تفل فوقها. ولما رأيته ينهض متوجها نحوي كاد يغمى عليّ. وقف فوق رأسي رفع يده للهواء وبدأ بالتمتمة وذكر أدعية لم يسبق لأذني أن سمعتها:

ـ ود... يغوث والعلق الممدود... سيل فاح رب الفلاح... قد سمع... لا يفلح.

أرعبني كلام الراقي والسرعة التي كان ينطق بها الحروف ويلعق في كفيه ويتفل في إناء الماء قربه، ترجيت الحاج قدور بنبرة منكسرة وواهنة عسى قلبه يحن مثلما حن عليّ في أول مرة وجدني فيها بين الزبالة وحملني إلى بيته:

ـ لطفا بي يا أبي... آه ربي... ارحمني يا أبي أرجوك.

بصوت قوي ونبرة خشنة فاجأني الراقي.

ـ هيا بسرعة أنزل سرواله وأدره نحوي. سنكويه على زنونته[30] هي مقر الشيطان ومسكنه.

ـ آاااه... آههه اااااه أرجوك سأموت... أرجوك.

لم ينبس الحاج قدور ببنت شفة وراح ينفذ كل ما يقوله الراقي دون رفض كأنه مندهش مما يحدث أو فاقد للوعي.

---

[30]- كلمة جزائرية تطلق على العضو الذكري للطفل الصغير قبل بلوغه.

ـ تخرج يا عدو الله أم أكويك على رأسه وأحرقك بحكمة سيدي لخضر التي حرقت جدك وجد باباك يا خناس.

في تلك الأثناء من الخوف والألم. نطقت دون إرادتي بحة في صوتي من الصراخ والألم.

ـ اييه. أخرج. أخرج. إييه.

اندهش الحاج قدور من تغيّر نبرة صوتي، أبعد الراقي الملعقة عن ذكري وما إن رأيته يفعل ذلك حتى قررت أن أمثل أصواتا غريبة لأوهمه أنّه تمكن من استحضار الجني الذي يبحث عنه.

ـ آهه هييي واااع زمهروش معك. ماذا تريد...

أحسست بقبضة الراقي وهي ترتخي من فوق ذراعي. وفهمت أنه بدأ بالإذعان والخوف. ثم خاطبني الراقي بوجه شديد وجاد ونبرة هادئة:

ـ من أين أنت يا زمهروش هل أنت مسلم؟

ـ أنا من أرض بعيدة. وكلنا مسلمين كلنا.

ـ حسنا وما هي شروطك لتخرج وتترك الفتى!

ـ أنا عطشان فقط. أريد أن أشرب.

ـ في ماذا تريد أن تخرج!

نظرت أمامي فلم أجد سوى وعاء الماء والقطران عند الباب.

ثم أشرت بإصبعي إلى الوعاء عند الباب.

ـ وهل تعدني بأنك لن ترجع لتضر هذا الفتى أو تضر أحدا من هذه العائلة! وإلا أحرقتك بالقرآن والقطران!

ـ إييه... خليني نروووح خليني نروووح آه ثم صرخت وفتحت

ذراعي. لأرى إناء الماء وقد سقط من على الطاولة منكسرا على الأرض فأغمي عليّ من هول الموقف فكيف للوعاء أن يسقط دون أن ألمسه!
فتحت عيني، استيقظت على وجه الحسين أمامي.
ـ بااااااع أنا زمهرووووش هههه...
وراح يضحك ضاربا يديه بركبتيه.
ـ ما المضحك في الموضوع وأنا كدت أموت.
ـ هههههه لو ترى وجهك والراقي يقرب الملعقة الملتهبة من بين ساقيك... آه لن أنسى تلك الملامح. لقد كدت تفقد ذكورتك يا أخي ربي حفظك.
ثم صمت لبرهة وأنا أسترجع ما حدث:
ـ ما بك يا مبارك!
ـ لم أفهم شيئا في القصة!
ـ أنا أسقطته.
ـ كيف... أنت... هل تقصد لقد!
ـ نعم لقد كنت أسمع خلف الباب وسمعتك لما أخبرته أنك تريد الخروج في وعاء الماء. لذلك اغتنمت فرصة صراخك لأقحم يدي من الباب وأدفع الإناء بأطراف أصابعي ليسقط على الأرض ويصدق الجميع الحكاية بما فيهم أنت.
ـ هل تعلم أنا مدين لك بحياتي وحياة أولادي.
ـ هههه هههه هههههه هههه.

قصيدة من عالم القطط

شاهَدَ في الحُلُمِ ذُيولاً
شاهَدَ أفعى مَيِّتَةً
بَغلاً يُخصى
عَجَبٌ عَجَبُ
حَوبَةُ ذَيلُ القِطةِ
يا مأمورُ هي السَّبَبُ
هَبَّ نَسيمُ الصُّبحِ رَخِياً
لم يَكُ في الشارِعِ
إلّا حاوِيَةَ الزّبلِ
وهِرٍّ مُحترمٍ

ابن عمي من الزبالة

أنا مخطار شخصية رئيسية في الحكاية مثل جميع النبلاء أمثالي أسعد بصيد الأسماك واللعب بالكرات أكره أي نوع من التمارين والجهد العضلي أقدس الكسل إلى حد الخمول اللذيذ أستأجر الشمس وأعشق الهدوء والأحضان الدافئة وأينما يكون هؤلاء أكون أنا وأينما أكون أنا فلا حاجة لأن يضعوا منحوتات فنية فأنا وحدي أفي بالغرض ثم باختصار مثل النار أنا من ينظر إليّ يسحر بي ويشرد معي وأحصل على الدلال عندما يحلو لي فأنام أربعة وعشرين ساعة في اليوم حين يروق لي وكثيرا ما يروق لي ثم إني أكره من أريد من دون مقدمات وعندما أسمن أكون أكثر جمالا وأعرف كيف أحصل على الطعام من دون عمل والمأوى بلا حبس والحب بلا جهد ويعتقد بعضهم أني متعجرف خبروني كيف لا وأنا قديما قدسوني وعبدوني كإله وطبعا ذلك شعور لا ينسى ولأن نفس الشعور نقل إليّ في جيناتي فهذا ليس ذنبي عجرفتي وتخاتلي وذاك هو جزء من طبيعتي ومن رونقي وهكذا يكون الملك وأنا صريح ولي وجه واحد وشارب طويل بقدر كبريائي العظيم أمتهن الصبر وهو من أهم صفاتي حيث أني أتقنه جيدا ثم أخيرا وليس آخرا كنصيحة مجانية واقعية احذروا كل من يكرهني

~~من هيبتي كفيد للنمور أني لا أطيع أحفاد القرود~~

الملك من ينتظر كثيرا فالجائزة الكبرى كلها من نصيب الصابر وأما أنت يا مبارك كشخصية ثانوية لا أريد منك سوى الموت الشريف وأنت مستلقٍ بين يدي صديقك الوفي وتهب جثتك المقدسة لي كالعبادة أنتظرها حتى يحين

وقتها لا أؤخرها ولا أؤجلها وكم هو صعب أن تختار مخطار
حسين الحضن الذي لطالما آواني حبي لك لا يوصف بالكلمات لهذا أردت أن أكرمك وأشاركك جسدي لنصبح روحان لا يفترقان أستمد الشجاعة من حضورك وفي غيابك أنا أحس بالوهن وأشد على قبضتي مسرعا لكي أهرب من كلاب أرادت تفرقتنا بشتى الطرق بعد أن ارتطم وجهي في حضنك قبل أن تُبتر أجزائي كلها ولطالما تذكرت ماضي آه يا أكثر شخص أردت العيش في أحشائه والتكلم بنبرته والمشي بقدميك المباركتين وإني أحس بطني ينتشي كلما اقترب موعد عقد قراني بك يا من انتظرته وما أسفي إلا أن فرقنا اختلاف الأديان والأطراف
بيننا شيء من الذكرى والرائحة والألفة وإني أعشقك حد اللذة أنتشي بك وكل سكرتي حين أرتشف الروح من ريق قصبتك وحتى ذاك أشعر بالملل والزجر ينفخ صدري وألمح ألوانا وأسمع أصواتا دائرية تهمس لي من هالتك وأستحم بالعدم وأتمرغ فوق شبقي وأقدس الانتظار وأتقنه ولا بأس ما دمت أنتظر شيئا أعلم أنه سينسيني كل لحظة كبت سالت مع لعابي كأني لم أرَ بؤسا قط
آه يا مبارك الكلب كم أنت وضيع وسادي إلى درجة سلوقية فأنت تنتظر موت حسين لتقتلني وأنا أنتظر موته لأمارس طقوس أجدادي في التأبين والتعبد بدماء أخيك وطاوعني هكذا نعم فنحن نعرف بعضنا جيدا لأن كلانا آتٍ من الزبالة ونحن بنوا الزبالة والقمامة نعقل بعضنا نشم شذانا ونرى قلقنا فنحن الذين يعشعش الألم في أنفاسنا ونتقنه مثلما نتقن النوم والانتظار والتمدد

يا ابن جلدتي وابن عمي من الزبالة ليت نومك ثقيل مثل نوم الشحاذين والشيوخ حتى تسهل عليّ المهمة بعدما رأيت فيما يرى النائم أنك ترميني من فوق غيمة وأنا أحلق في الهواء ساقطا نحو الأرض بسرعة وأثناء سقوطي تقاذفتني كوابيس وكوابيس داخل كوابيس وكلاب بأجنحة تطاردني وأنا أحاول الطيران بأرجلي القصيرة هروبا إلى جبل بعيد وحين ورأيتني حين وصلت الجبل دخلت غابة وفي الغابة هاجمتني مقصات على شكل أشجار والدماء تقطر من أغصانها ثم بلعتني الأرض لأسقط داخل قدر يغلي بالماء الساخن والكلاب تنبح في وجهي تريد سلخ جلدي مني ثم رأيتك تخرج من بين الكلاب لابسا رداء طباخ وحاملا مقصا صدئا في يدك فصرخت حتى فقدت صوتي من الفزع وبدل المياو قلت هاووو هاااو ثم لما أفقت حمدت ربي على نعمة المياو وخرجت إلى الشرفة لأضاجع الشمس كالعادة وأطرب بزقزفة الزوبير وغفوت على صوت التيوتيوتي يووتي يوو حتى سمعت الزوبير يصرخ طالبا النجدة ثم بعدها ظننت أنه كابوس آخر حين رأيت غرابا أسود يهاجم الزوبير داخل قفصه يريد النيل منه فلم أفكر وتشابكت مع الغراب أمسكته من رأسه ولم أكن لأفلته لو لم يخدعني بضربة من منقاره إلى عيني اليسرى التي فقئت على إثر الضربة الحادة التي وجهها لي ذاك الغراب الأحمق رغم ذلك قد واصلت الضرب والنزيف حتى طار ذاك الغراب الأجرب ورجعت لمكاني والدماء تقطر من عيني منتظرا أن أستيقظ من هذا الكابوس المربع إلا أنه طال هذه المرة وغفوت على أنغام الزوبير الحزينة وهو يرثي حالي

ورغم هذا في الكابوس أو خارجه أريد عض مبارك من الأذن انتقاما

وأشتهي أن أبدأ بالحسين من الحنجرة تعبدا وعشقا أما أنت فبعد أن ألتهم أذنك سأبدأ فيك من القفا تنكيلا بك يا ابن الكلبة الجرباء مثلما يذبح الإرهاب تماما من خلف رقبتك دون شفقة فصحن الانتقام يأكل باردا وهأنا صابر أكثر من صابر هكذا وهكذا أبحث بين الأدراج فأنا هنا في حصني المنيع لن تسطيع لي تكليبا وتقول ظغني نسيت تلك الحادثة لا وربنا لن أنسى ما قطعت لي وجعلتني مسخرة بين بني جنسي يومها رأيتك أول مرة وقد كنت صغيرا ملتفا في جريدة هجرني أهلي وإخوتي لأن لوني مختلف عنهم وأنت مبتسم لاقيتني وحملتني برفق وحب وأصدقك القول المر إنها كانت تلك أول مرة أحس ذاك الشعور بالحميمية والعطف وحتى قلت فرحا ذي البشرى فإذ بك تخرج مقصا أسود من جيبك وتشد ذيلي القصير ثم تقرأ عليّ بعضا من آيات القرآن وكل هذا أذكره جيدا وما زال صوته يتهاوى على مسامعي إلى يومنا ذا هو ضربة المقص والدم يسيح على الأرض أمامي وأنا أتخبط بين أصابعك أريد التملص والفرار قد رأيتك قابض الأرواح في شكل بشر وقلبي ينكز من الألم وفروي انتصب من رعشة الألم التي أحدثتها فيّ وفكي تمددا لأقصاهما حتى أن جهة من أوصال أطراف فمي تمزقت وبعدها مددتني على الأرض وقلت ذي نهايتي وليتها كانت حتى قربت المقص من أذني لتقطعها هي الأخرى ولا أعرف لماذا لا يغمى علينا نحن من شدة الألم حتى نقاوم قليلا تلك الجرعة الرهيبة التي قد يحدثها لك مختلف مريض مثل هذا اللقيط القذر وكم تمنيت أن تدهسني سيارة أو أموت في صراع قططي طائش هكذا موت شريف ومريح على الأقل بعدي يقال مات قطا ملكا زعيما وليس مات مسخا مجردا من ما يميزني عن الحلزون أو الفقمة لا ذيل ولا أذن كنص

من دون علامات ترقيم ففقط تمنيت منك أن تقتلني هكذا أن تنهي حياتي ولا تتركني إهانة وسخرية بين أهل الشارع وإذ أنت تضعني تحت رجلك وأنا تحتك أرتعد من تلكما العينين وتلك الحيوانية والسادية المفرطة لم تختفي عن ملامحك كلما بادلتني النظرات فأنت تراني كرة متعة وأنا أراك كرة تعذيب أنت كلب في هيئة بشر بعدها ضغطتني تحت رجلك ومددت أذني وإذ ظننت أنها نهايتي حتى سمعت صوتا قادما من بعيد

ـ مبارك مبارك. ماذا تفعل في وسط الزبالة، تعالى أبي يحتاجك. ماذا هناك ماذا تمسك بين يديك؟

سمعت مخلصي وملاك الحياة أول مرة وأنت خبأتني وراء ظهرك وتظاهرت بأنك تريد أن تضمد جرح ذيلي لكن رغم هذا فبعض الجروح تبقى آثارها يا عزيزي العدو ويبقى الدم يسيح من الداخل إثرها رغم اندمالها من الخارج آه لو تعرف عندما أنزل إلى الشارع بذيل مبتور كيف تراني القطط الأخرى مثل عربي قحّ من دون شارب أو لحية، الحسين ظنك فاعل خير بي وأنت فاعل بي وفيَ ثم همّ بي إلى المنزل وخاط جرحي والحاج قدور أكرمني وجعلني من المقربين وأحبني الحسين بطريقته وأحببته بطريقتي فهو يمسح على ظهري وفروي في الصباح وأنا ألعق رقبته خفية منك في الليل أتذوقها وأتخيل طعم حنجرته بين أسناني حيث أسمع صوت أنيابي وهي تغرس في حنجرته الطرية الشهية وآه يا مياووو ممم حبي للحسين كبير وكعربون محبة أنا لا أزال على العهد باقيا على قيد انتظار تلك اللحظة التي تغيب فيها عنا أنا وحبيبي لأختلي به فأجعله ينام وأقضم حنجرته ثم إني أحببته لدرجة لن تدركها ولن تفهمها لدرجة أني أريده بأحشائي هكذا أريد

أن أمتص روح محبوبي حتى يبقى معي وبقربي وداخلي ويصبح بي أكثر مني وأن أسكنه داخلي وحنجرته هي الطريقة الوحيدة حتى أسحب منه روحه فنحن نولد بروح ونستطيع أن نمتص تسعة أرواح فقط وروح الحسين تكفيني هي بمثابة ثمانية أرواح لي وأريده بقدر ما أريد روحي داخلي ما بعّد بيننا سوى عديم الروح ذاك وإلى ذلك الحين أنا صابر وإلى أن تتحد الأرواح روحي تتوق إلى روح الحسين وستبقى تنفر من روح لقيط الزبالة ذاك

أفكار عن القطط لعجنها داخل المتن:

~~أعطيت أمرًا لقط، وأعطاه القط إلى ذيله~~

~~مثل صيني.~~

~~الكل يعرف أن القطط في مستوى أعلى من الوجود. هؤلاء البشر السخفاء~~

~~متحمسون لدرجة لا تسمح لهم بالاعتراف بدونيتهم.~~

~~إذا قضيت على حياة واحدة من تسع أرواح قط، فسوف تطاردك إلى الأبد~~

~~القط يحب السمك لكنه لم يرمِ بنفسه أبدا في البحر من أجله.~~

من يكتب من؟
(كاتب فاشل)

ينتابني إحساس غريب وفكرة تنعق في سماء رأسي تهمس في أذني وتخبرني أن هناك كاتبا سخيفا نحيفا يكتبني، أقول نحيفا لأن كل هذا الكم الهائل من البؤس كفيل بأن يحرق الشحم ويذيب الدهون ويغلق الشهية، وأقول سخيفا لأنه يحاول أن يكتب عن شيء غير ملموس، أن يكتب عن مشاعري وسلوكياتي وأفكاري، ربما يستطيع أن يرسم بعضا من سلوكياتي ويفهم قليلا من ما أفكر، أما يا صغيري أن تحاول وصف مشاعري فهذا أكبر منك ومني حتى أنا، أراهن بخصيتي اليمنى بعدما فقدت خصيتي اليسرى في رهان سابق أنك الآن جالس في مقهى رخيص من مقاهي بلدتك البائسة التي وصفتها في الصفحات النائمة تحت ظهري، قربك قهوة وعلى الحتمية السببية هي قهوة مرة. وجنبها كأس ماء، وأنت تستمع إلى أغنية محلية قديمة، تحاول أن تثير مشاعرك لتحقنها داخل شخصيتي أنا، آه يا ربك كم أنت سخيف عمرك عشرون دينارا وتحاول خلق أسد في قفص عصفور وتكتب عن شخصية سوداوية مثلي تفوق عمرك بضعفين، قد تمتلك اللغة والخيال وأمر جيد وفيه مثابرة وشغف لحد ما، لكن هل تملك تلك تجربة الكافية في الحياة، وماذا تعرف عنها وعني وعنك، أظنك لا تعرف معنى ألا تعرف أي معنى، أنت تملك عائلة بسيطة وحياة كاتب بسيط يريد أن يخلق شيئا جديدا حتى يصبح معروفا ويوقع كتبه في جلسات البيع بالإهداء التي يحضرها أناس ساديون يستمتعون بالتلذذ بعذابات الآخرين بطريقة يغلفونها بغطاء الفن

والثقافة، تريد أن ترش على جلدك عطر الشهرة، الذي سلخته من جلدي وعصرته من عرقي في الجري بين الشوارع والطرقات والعمارات والمستشفيات والعبث والعدم ونفسي، طموح شاب عادي ولكن لابأس به ما دمت تجتهد في البحث عن المراجع وقراءة كتب الطب النفسي والتحليل الفلسفي والاجتماعي وتبحث عن كل ما كتب في الكوميديا السوداء والأدب الساخر من الضحكة إلى الدمعة والفلسفة العدمية الجافة وتحاول ركل كل هذا على الحائط وتريد أحيانا أن تتحدى أرسطو وعمي برخت، هراء كل هذا هراء هراء على هراء وهراء مطلي بالخراء، سأترك لك صفحة تقرأها في جلسات البيع بالتوقيع والجولات الترويجية التي تقوم بها من أجل إشهار خربشتاك اقرأ لهم الصفحة التي تبدأ بالهراء وتنتهي بالهراء سأتركها لك وستصنع بها الحدث لكن عليك أن تقرأها كلها لهم، ثم ولأصدقك القول قد أثار انتباهي اجتهادك هذا حقا، لذلك جلست معك طيلة هذا الشهر، وتركتك تراقب تصرفاتي وتحاول أن تسجل ملحوظاتك عن المجانين الذين تصادفهم في الشارع وتبحث عن المرضى النفسيين حتى تعطيني بعدا واقعيا أكثر، لكن ورغم كل هذا دعني أصدقك القول مرة أخرى وأقول لك من عمق فؤادي المضني طزا وألف طزٍ وطزا أنت تحاول هباءً منثورا، لأنني يا صغيري لست مثلما تعتقد، لست مريضا ولست مجنونا ولست حتى مثل من صادفتهم في مجتمعك البائس، لأن الواقع لا يحتويني ولا يمكن أن أخرج لعالمك بكل ما رسمتني من ألم، لأني هنا فقط عندما تخرج في كل جنونك وكل بؤسك الحقير، تعريني ثم تحاول قتلي ثم تخلق لي حلمات غريبة فوق صدري، تجعل لي مشية بطريق عاقر ثم تجعلني أمقت كل الحياة وتضرب

برأسي مجتمعك العفن. مثل مطرقة تحاول أن تكسر بي حدود مجتمعك وتسقط معتقداته السخيفة التي زرعت فيه منذ جد جدي الذي لم تحكي عنه، ومن حقارتك أنك تختبئ وراء غراب وتعطيه دور الراوي، قلبك أسود أكثر من ريش الغراب الأقرع ذاك، من غبائك كروائي مبتدئ. لماذا جعلت راويك يهاجم عصفورا في قفص، منذ متى تهاجم الغربان العصافير المسالمة ألم تبحث عن حياة الغربان وتعرف أن الغراب يأكل الجيفة فقط، أنا أعلم أنك هناك وأنا داخلك وأنت خارجي كلانا يصنع بالآخر ما يشاء والآن لك أن تفعل بي ما شئت ما دمت بين أصابعك. لكن اعلم أنك عندما تغيب عن نزيفك الحبري هذا كما تسمونه أنتم معشر الكتّاب المسطحين، أمسك القلم وأكتب نفسي من جديد، أعدل من ترتيب الأحداث والصفحات لتليق بي، ماذا لو أخبرتك شيئا قد لا يتمكن عقلك المحدود من استيعابه، وهو أني قد عدلت في شخصيتي فتركت بعضا من لمساتك الفنية طبعا للأمانة الإبداعية، مثل اختيارك لشكل حذائي ورسمك لوجه ليندا، وجعلت مني كاتبا مشهورا تتحدث كل الجرائد عنه، بالخط العريض على أول صحيفة من الجريدة الرسمية للحكومة، **رواية "كاتب فاشل" تصنع الحدث**، وهل تعلم من هو ذلك الكاتب الفاشل يا عزيزي هو أنت ذا وأنت الآن تكتبني /أقصد تكتب نفسك، فمن منا يكتب الآخر يا ترى، لكن لنكن صرحاء مع بعضنا ولا نوهم القارئ العزيز بأشياء غير منطقية، أنت تريد أن تقتلني أليس كذلك، هل تعلم أنك لو فعلت هذا سينتهي وجودك بانتهاء وجودي؟ أه أعلم أعلم أنت تقول الآن في نفسك أنك قد تكون شخصية كاتب في رواية لكاتب آخر وهو يكتبك الآن، لكن ما رأيك أن أقول لك أن ذلك الرجل الذي يكتبك هو شخصية

روائي عجوز في رواية أخرى لي وهو يكتب رواية عن كاتب فاشل مثلك. أليس سخيفا أننا اتفقنا على شيء واحد فقط هو أنك كاتب فاشل. وما تكتبه الآن ما هو سوى حشو ممل والقارئ الذكي يدرك ذلك وذلك الناقد الآن وصل إلى هذا الفصل من روايتك التي وقعت بين يديه صدفة وها هو ذا إني أراه يخرج قلمه الأحمر ويكتب لك في آخر هذا الفصل ـحشو ممل لا غاية من استخدامه فلا هو يدعم قصة الرواية ولا هو جزء من الحبكة ـ وهل تعلم من هو ذلك الناقد؟ طبعا. طبعا بدأت بالتعلم الآن لذلك يا صغيري دعني الآن أكتب ما تبقى من الرواية وأسطر أحداثها، دون أن نلجأ للطرق الملتوية اللامنطقية، وإن فعلت هذا طبعا سأجعل من الناقد يمدح روايتك في مقال عريض وسمين يسيل لعاب معشر القراء وتبهر السادة لجنة التحكيم الموقرة في لجنة التنقيط والتشريح، لك العلامة الكاملة، وأظن أنك لا تريد مني أن أكشف للقارئ مخطط حبكتك لهذه الرواية، وصدقني إن لم تغيرها سأكشفها وأخرج لك من بين السطور في أي صفحة دون أن تعي وأفقد للقارئ عنصر التشويق والترقب، فكر في الموضوع جيدا أمامك ساعتان.

#ملاحظة فنية:

أطفئ الموسيقى التي تضعها في سماعات أذنك الآن أو غيرها من فضلك فذوقك الموسيقي سيئ.

حشو ممل، لا غاية من استخدامه فلا هو يدعم قصة الرواية ولا هو جزء من الحبكة.

هراء بالخراء

هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
خراء، هراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، خراء، هراء، خراء، خراء، هراء،
هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، خراء، هراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء، هراء،
خراء، هراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
خراء، هراء، خراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، خراء، هراء، هراء، هراء،
خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
خراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
خراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، خراء، هراء، خراء، هراء،

هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، هراء، هراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، خراء، هراء، هراء، هراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، هراء، هراء، هراء، هراء، خراء، هراء، خراء، هراء،
هراء، خراء، خراء، خراء، هراء، هراء، خراء، خراء، خراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء،
هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراء، هراءٍ.

كم ترهقني الوحدة. أحب أن يكون عندي صديق، صديق حقيقي، أو حبيبة أبثّها آلامي. حين أتسكع كامل اليوم، في صمت، عند المساء في غرفتي، أشعر أنني مجهد. سأقتسم كل ما أملكه: مال منحتي، سريري من أجل عاطفة قليلة. سأكون ناعما جدا مع الذي يمنحني صداقته بكل ثقة. لن أعارضه إطلاقا. ستكون كلّ رغباته هي نفس رغباتي. سوف أتبعه حيث يمضي مثل كلب. ليس عليه إلا أن يقول طرفة لأنفجر ضاحكا؛ وسوف أبكي حين أراه حزينا.

[أصدقائي / إيمانويل بوف]

صورة انتحارية

خرج من مقر الشرطة تاركا الشرطي في حيرة من أمره. والسيدة تواصل ثرثرتها وتحلق في السيد أمامها بنظرة قط فضولي، أعجبها شكله أم سمعت كلامه. ربهم أعلم بهم.

سار على كتف الطريق برجلي نعامة. ولم يبق له الكثير عن حي القرمود، قطع الطريق ودخل محل تصوير معروفا في الشارع باسم "التونسي" وهو مصور قديم من أصول تونسية كما يبدو من اللقب الذي أطلق عليه، دخل مبارك المحل وجد قبله سيدة وابنتها وعجوزا رفقة زوجته، جلس قربهم في مقاعد الانتظار حتى وصول دوره، راح يراقب الصور المعلقة على الجدار أمامه، شدت انتباهه، صورة سيدة سمراء جميلة بشامة في شكل نصف قلب في رقبتها. وكانت تبدو صورة قديمة زجاج إطارها مكسور. بعد مدة وجيزة وصل دور مبارك، دخل أستوديو التصوير، أمره المصور الذي بدا كهلا في الأربعينات من عمره وسيم الوجه أبيض الشعر بأن يقعد على الكرسي.

ـ هل تحتاج صورة شمسية أم بيو مترية؟

رد مبارك دون أن يحرك رأسه:

ـ أحتاج صورة انتحارية.

ـ ماذا تقصد بصورة انتحارية؟

ـ صوِّر وفقط... المهم أن يتعرف عليّ الناس بأني هذا أنا الذي في الصورة.

ـ حسنا... حسنا. أرجع كتفيك إلى الخلف قليلا.

كلما حاول مبارك إرجاع كتفيه إلى الخلف أخرج رقبته نحو الأمام، اقترب منه المصور ووضع يدا على صدره ويدا أخرى على ظهره وأرجعه نحو الخلف قليلا.

ـ ابق هكذا. حافظ على هذه الوضعية.. جيد.. جيد.

أنزل المصور الكاميرا من وجهه وقال لمبارك:

ـ أعطني ابتسامة صغيرة الآن.

رد مبارك:

ـ كيف يبتسمون؟

ابتسم المصور:

ـ هل تمزح معي! ابتسم وفقط.

حاول مبارك الابتسام بصعوبة، كمن يفتح بابا صدئا لم يفتح منذ زمن ابتسامة رقيقة وطويلة جافة.

قال المصور:

ـ هذه ابتسامة قاتل يا رجل. أريني بعضا من أسنانك هيا.

رد مبارك:

ـ هذه ابتسامة منتحر. يجب عليك أنت الابتسام لأنك لأول مرة تصور منتحرا. لذلك عليك أن تجعل من هذه الصورة صورة مميزة.

ـ يا رجل ما كل هذا التشاؤم ابتسم قليلا هيا. منذ متى لم تبتسم!

ـ لا أذكر حقا...

ـ ألا تجيد الابتسام.

ـ لا أعرف. لكني أجيد الضحك. هل تريد مني أن أضحك!

ـ نعم لنجرب.

ثم انفجر مبارك متضاحكا بطريقة هستيرية يضرب في بطنه:

ـ ههه ههها ههها هيا صور هههه نخخخ نخخخ... هيا أسرع.

انتقلت عدوى الضحك للمصور الذي لم يتمالك نفسه وراح يضحك هو الآخر، حتى سالت دموع من عينيه من ضحكة مبارك الهستيرية الغريبة.

ـ نخخخخخ هاااا ههه ههه (ثم يتوقف مبارك قليلا ليغير صورة ضحكته) ثم أضاف مبارك.

ـ وأستطيع أن أضحك هكذا... هووووهاااه وهو ووووهاااه هووووهاااه.

بعد مدة من الضحك المتواصل خرج المصور رفقة مبارك من الأستوديو وضع "التونسي" الصور في آلة الطباعة. مبارك جالس على الكرسي بملامح عابسة ينتظر خروج صوره. سلّمه المصور ظرفا فيه مجموعة من الصور التي يظهر فيها مبارك ضاحكا حتى بدا حلقومه، كانت عشر صور أخذ واحدة من بينها ورمى الأخريات في سلة القمامة أمام ناظري المصور المستغرب والمندهش من غرابة هذا الرجل. قبل أن يخرج مبارك من باب المحل نادى عليه المصور:

ـ قد نسيت أن تدفع ثمن صورك.

التفت نحوه مبارك وغمزه:

ـ بلا قد دفعت الثمن.

ـ لا لا لم تفعل.

رد مبارك بسخرية هازا كتفيه:

ـ الضحك ليس بالمجان يا صديقي...

وخرج مبارك من محل التصوير تاركا المصور في غمامة من الذهول والحيرة.

يا قمة الأزياء
يا قمة الأزياء
سوّدت وجوهكم
من قمة
ما أقبح الكروش من أمامكم
وأقبح الكروش من ورائكم
ومن يشابه كرشه فما ظلم
قمم... قمم. . قمم...
قمم
معزى على غنم
مضرطة لها نغم
لتنعقد القمة
لا تنعقد القمة
لا. تنعقد القمة
أي تفوعلى أول من فيها
إلى آخر من فيها
من الملوك. . والشيوخ. . والخدم

مظفر النواب (مقطع من قصيدة قمم)

تقسيم وزاري

وصل مبارك إلى حي "القرمود" عند المدخل بين العمارات وجد مجموعة من شباب الحي متكئين على الحائط حريصين على عدم سقوطه أو ميلانه، تحت شعار **"حنا نميلو وما نطيحوش"**[31]

لوّح له أحدهم وقد كانوا خمسة سادسهم سيجارة حشيش تدور في حلقة مغلقة بالنشوة والدخان والهذيان والعرعار والغراء.

ـ يا مبارك. يا مبارك. هاك.

التفت بعينيه فقط دون أن يدير رأسه. وجد صديقه سمير يبتسم ويدعوه للحلقة. فكر في مواصلة سيره وتجاهل الجماعة لكن ذكريات الطفولة والفقر والزطلة دفعت رجليه نحو الحلقة وشاءت دون ذلك.

ـ أين اختفيت. لم نرك منذ مدة، هل ما زلت مع الجامعة؟

ـ لا يهم.

ـ كيف لا يهم؟

ـأين مطلوعة؟

ـ لم يظهر منذ مدة.

قال طارق المارطو:

ـ وأنت قد سمعنا أنك تخرجت منذ زمن ولم تدعنا إلى حفل تخرجك هل تخجل علينا يا الزوبية خويا عيب عليك.

---

[31]- نحن نميل ولا نسقط.

رد مبارك بنبرة ثقيلة:

ـ لا... ليس هكذا! في الحقيقة لم أقم بحفل تخرج. أخذت شهادتي وخرجت من الجامعة، بعدما توقفت عن الدراسة لأكثر من عشرة أعوام، أنا لا أحب الحفلات أنتم تعرفون هذا. وبالمناسبة إن الأشخاص المثقفين لا يتواجدون في الجامعة فقط. المثقفون هم من يدركون هذا الواقع البائس ويلجؤون للخيال والفن والانتحار والزطلة للهروب من هذا العالم.

ـ إلى أين يهربون (نطق فارس وقد كان متكئا على السور خلف المجموعة، فوق رأسه "بيريه" تغطي وجهه وعينيه)

ـ إلى العدم مثلما تفعل يا نيتشه...

عدّل فارس من وضعيته وابتسم نصف ابتسامة ساخرة وانفجر متكلما كمن يقرأ من ورقة بسرعة:

ـ موت الله في فلسفة نيتشه هو موت المعنى، نيتشه ليس عدميا بالمرة، فقط وضع إصبعه على جرح حاجة الإنسان للمعنى التي أرّقته كثيرا وطويلا وهي صفة جد إنسانية أو جوهرية في الإنسان ومن هذا المنطلق دعا نيتشه إلى تجاوز الإنسان، وهايدغر جعل من نيتشه مجرد حلقة من حلقات انسحاب الكينونة وجعله الرجل الذي أكمل تشييد العدمية ثم جاء تلميذ نيتشه إميل سيوران الذي مال لشوبنهاور على حساب معلمه وتبنى الميلانخوليا...

قاطعه "فاتح الشعرة" متزملا:

ـ ها قد بدأ شكسبير بالتفلسف من الذي سيسكته الآن؟

نطق "سميح البغل" وهو يحك مؤخرته:

ـ يلزم هذا الكلام "دكة شمة مضغوطة" حتى أبقى مركزا معكم ثم أخرج كيسا أخضر من جيبه، وضع كتلة الشمة تحت شاربه ونفض يديه وحاول أن يمسك الحوار الذي يدور بين مبارك وفارس.

رد مبارك:

ـ حقا كان نيتشة عدميا صرفا بالمعنى الذي قصدته لما تناول العدمية بتلك الطريقة التي لم يضع فيها حسابا للمسافة بينه وبين المتلقي، الأمر الذي دفع ثمنه غاليا على حساب سلامة جهازه العصبي رغم عبقريته الخارقة. مثلك يا فارس. ولما أخطأ في تأويل أفكاره الكثير من بعده. جرعات صغيرة ومركزة من فكر سيوران في رأيي ستكون داعما قويا للعدمية بوصفها أداة انعتاق. لأن جوهر الميلانخوليا عند سيوران هو ليس الكفر بالفردوس السمائي فقط... بل هو الكفر كذلك بالفردوس الأرضي والوقوف وجها لوجه في مواجهة الاكتئاب... يعني "أن سيوران خرج بصدره ليقابل الاكتئاب وتجرد من كل تعلقاته الروحية. معناه فكرة الملذات المطلقة والمباحات التي لا قيود لها -في الأرض بعد موت الإله فهي غير موجودة إطلاقا- مما يتطلب نوعا من التعفف العدمي أو حتى لا نفهم بشكل خاطئ نوعا من الترفع عن التجارب الحمقاء في المسائل التي لا يزال المجتمع لم يصل فيها إلى تفكيك ذرة واحدة من أساساتها العتيدة.

في الجانب القريب نهض "سميح البغل" من مضطجعه على الحائط وهو أقصر من في المجموعة. مكور أبيض البشرة وذو أنف كبير وجبهة بارزة. تقدم ليقف وسط الجماعة كأنه فهم ما كان يقوله فارس:

ـ نعم الملوخية. أووه أنا أيضا أحب الملوخية خصوصا بالهريسة عمتي

تجيد طبخها أكثر من أمك يا فارس. أسكت ولا تتحدث عن الملوخية ما دمت لم تتذوق ملوخية عمتي "الزهرة".

ضحك فارس ورد مبارك:

ـ الميلانخوليا أقصد وليس الملوخية يا بغل ومعناها...

ضحك فاتح الشعرة وكان فتى نحيفا طويلا بعينين طحلبيتين وشعر أصفر متوجها بالكلام لسميح يريد أن يوضح له الأمر. يمسكه من كتفه ساخرا منه ويدفعه ليرجع إلى مكانه:

ـ لم يقل الملوخية بل قال الماريخوانا يا أطرش. ومعناها "الكيف، الحشيش، الشابة، الشوكولاتة، السلعة" هل فهمت الآن! ومبارك يقول لك ويحاول أن يوضح لك منذ الصباح أن الكيف هي التي تأخذك للعدم ألم تفهم هذا أووووف يا لك من غبي، لا أعلم كيف أصبحت صديقي حقا!

حك سميح البغل رأسه وتراجع للخلف بعدما كان يتوسط المجموعة متحمسا:

ـ كنت أظن أن...

قاطعه "طارق المارطو" وهو يخرج رأسه من كيس الحليب المملوء بالغراء:

ـ أووووه لقد طيرتموها لي. لم أفهم شيئا، الملوخية. الماريخوانا، نيتشه. العدم، المنطق اللامنطق أووووف ما بكم هكذا؟

حك "سمير الفار" رأسه:

ـ ماذا تقصدون باختصار. هل نحن مثقفون لأننا مزطولون أم لأننا لجأنا للزطلة حتى نصبح مثقفين وندرك حقيقة هذا الوطن البائس؟

رد طارق المارطو عليه، قبل أن يرجع رأسه داخل كيس الحليب ليستنشق الغراء مجددا:

ـ لا، بل أظنه يقصد أننا مثقفون لأننا مزطولون فقط هههه (قالها بعدما رفع يديه في الهواء. حتى ظهر إبط ذراعيه كثيف الشعر. وضحك الجماعة معه) تابع سمير الفار كلامه وهو يمتص سيجارة الكيف في يده حتى تقعر خداه وظهرت غمازاته النحيلة. بعينين ناعستين وبهدوء بعدما انتهى الجميع من ضحكهم وهو ينظر للسيجارة دون أن يزيح نظره:

ـ إذن يا "الزوبية" خويا أنت تقصد أن طلاب الجامعة ليسوا مثقفين لأنهم لا يدركون الواقع ولا يعرفون المجتمع مثلما نعرفه نحن صعاليك الشوارع. طيور الليل. (ثم سكت قليلا ورفع يده في الهواء كأن فكرة سقطت على رأسه)... إذن ما رأيك أن نجعل منهم مثقفين مثلنا ونعطيهم نظارات عشبية.

ـ نظارات عشبية هههه (أعادها سمير مقهقها ونظر نحو الباقين كأنه يقول لهم قد قلت نكتة. هيا اضحكوا)

ـ نظارات عشبية (كررها سميح البغل وهو يحك إبطه ويشتم رائحته النتنة من العرق ويتفقد عضلات ذراعه إن زاد نموها)

بعده مباشرة أو قبله مباشرة:

ـ نظارات عشبية (قالها رحيم الخروف. بهيئته القصيرة. وقد كان يتعارك مع منخاره يبحث عن شيء ما. بعدما نزع يده إذ لم يجد شيئا ذا قيمة، قالها وضحك ضحكة صفراء شبيهة بشعره وهيئته الحائلة).

ـ نظارات عشبية (ابتسم طارق نصف ابتسامة باردة حتى يرى سمير أنه تفاعل معه وفارس قعد في الزاوية يعبث بهاتفه. يتصفح الفيس بوك يرسل طلبات صداقة لكل صورة فتاة أو اسم مؤنث جاء في طريقه. منتظرا

سيجارة الكيف تكمل دورتها وترجع إليه).

وأما عن فاتح الشعرة وسميح البغل. فاكتفيا بالابتسام متكئين على الحائط بعدما عبث الكيف برأسيهما. وبيد فاتح كيس حليب فارغ داخله غراء أصفر. صرعهما الكيف ودوخهما الغراء، راحا يضحكان على كل كبيرة وصغيرة وعادية وطبيعية ونملة عابرة ووجه مألوف. لا يدركان كيف أنهما يدركان حقيقة الأشياء، يضحكان كلما أكمل فارس كلامه الفلسفي، كأنه يريهما مدى غبائهما، ويضحكان حين يصمت الجميع، يضحكان على اللاشيء ثم يضحكان على ضحكهما ويضحكان مجددا على ضحكهما دون سبب، ثم يواصلان الحلقة المفرغة من الضحك إلى أن يرهقهما التعب فيضحكان مجددا على تعبهما من الضحك إلخ...)

تكلم فارس بنبرة ساخرة:

ـ نظارات حشيش ههه.

أقصد أن نريهم الواقع وأنهم يضيعون في وقتهم وأن الجامعة لا تصلح سوى لاصطياد الفراشات. هذا ما أظنه وهذا دافعهم لذهابهم نحو الجامعة، ما رأيك يا الزوبية[32]. فلو أرادوا حقا المعرفة فالمكاتب مكدسة بالكتب وهل رأيت يوما طالبا جامعيا يطالع كتابا، ها هو فارس لم يدخل الجامعة لكنه موسوعة. أليس هذا مفيدا لنا ولهم ومقصدنا مقصد خير وإصلاح. نحن مصلحون. لسنا مثل من صنع المنهج الجامعي المبني على أغراض وأهداف سياسية خفية. غايتها إخفاء الواقع وحجب الحقيقة عن الشباب الذي هو

---

[32]- الزوبية وهي الزبالة باللهجة الجزائرية وهو لقب يطلق على مبارك.

مصدر تهديد أول. يستطيع زعزعة كراسيهم وأسرتهم المبطنة وقعر كروشهم الفائضة المكورة. نبيعهم السلعة التي تريهم العلم ونصنع منهم مثقفين مثلنا. مثقفين يدركون حقيقة هذا الوطن البائس وبهذا يستطيعون تغييره نحو الأحسن وليس...

قاطعه فاتح البغل وقد أذهب رأسه الكيف ودوّخه الغراء فتكلم بنبرة خشنة وشفاه مرتخية:

ـ سمير وزير الثقافة والحشيش نكه. نكه.

رد سمير بجدية:

ـ لا، واضح أن فارس هو من سيكون وزيرا للثقافة والفنون.

فارس:

ـ هل من المعقول أن تكون الثقافة والفن وزارة واحدة؟

مبارك:

ـ لا. فيمكنك أن تكون فنانا وأنت غير مثقف وقد تكون فنانا وأنت مجنون.

سمير:

ـ ماذا تقترح إذن!

ـ أقترح أن نفصل بينهما، أن نجعل فارس وزيرا للثقافة وأنت يا سمير وزيرا للفنون.

ـ أنا وزيرا للفنون!

ـ نعم أنت. أليس لف الحشيش فنا ومن يتقنه منا مثلك؟

ـ إذن أنا أقترحك بهذا التفكير الاستراتيجي الذي تملكه أن تكون رئيسا

لهذه الدولة العظيمة ما رأيكم يا جماعة. من يوافق على الفكرة يرفع يده؟
ثم رفع الجميع أيديهم مبتسمين للفكرة.
تكلم طارق المارطو وهو يبرز عضلات ذراعه:
ـ إذن أنا سأكون وزير الرياضة. سأقيم بطولة في لف الحشيش على المستوى الوطني والفائز الأول فيها سيكون له بستان من المار يخوانا أووه كم هذا رائع. من حق صاحب الفكرة المشاركة طبعا.
رفع سميح البغل يده:
ـ أنا وزير العدل وحافظ الأختام أو الأختان لا أدري تسميتها... ختان هيهه... ختان... أتكفل بختان كل صغار الوطن في ختان جماعي. لا لا... بما أنني وزير العدل سأضيف مادة في الدستور تفيد بختان كل من يدخل لنا الحشيش من الخارج. فلا خير في شعب لا يدخن مما يزرع ولا يأكل مما يدخن... سنصنع حشيشنا ونستفيد من خيراتنا، نعتمد على الزراعة بشكل أكبر وأستشير وزير الزراعة في ذلك.
ثم تبعه فاتح الشعرة وهو يمسح خيط اللعاب الخارج من فمه:
ـ أنا وزير الزراعة طبعا. كأول خطوة نحو اقتصاد قوي ومن أجل تنمية مستدامة والدائم ربي... سنقوم باستغلال جنوبنا الواسع وصحرائنا الصفراء سنجعلها خضراء ونبني اقتصادا مبنيا على الزراعة. حان الوقت لاستغلال ما فوق الأرض وبهذا يعرف الشعب الكريم أننا لا نستغله ولا نسرق منه لأن كل شيء فوق الأرض وليس تحت الأرض. كل شيء ظاهر فوق الطاولة. ونقطع الأيادي التي تمر تحت الطاولة وهذا ما سيتكفل به ويحرص عليه وزير العادل والختان طبعا.

اسمع... بالمناسبة قل لي! هل بإمكانك ختان الأيادي؟

ـ طبعا طبعا سنطبق الشريعة ونبني دولة إسلامية على الحق ربما عاصية ولكن ليست دولة علمانية وتدعي أنها دولة إسلامية. وبصفتي وزير العدل سأطبق مرسوم الختان وقطع الأيادي لأن بعض ربطات العنق لم تقص من قبل فاعتنقت اليهودية وقد حان الوقت لنريها عدالة الإسلام.

آه ولو كنت وزير عدل لقننت الحشيش وجعلته يباع في الصيدليات. بوصفة طبية. وطبقت العدل ومسحت ذاك القانون الذي يدخل جرذا السجن من أجل غرامين من الخيال ويسرق منه عامين من الألم والحنين إلى الواقع البائس ويصنع دموع أم وأب ومجرما دون قلب. ويحكم بالبراءة على ابن طرطورٍ لم ير رجليه منذ مدة. سأحكم بالعدل وأغير اسمي واجعله عمر نسبة إلى الصحابي عمر ابن الخطاب صلى الله عليه وسلم...

ـ أيها البغل.

ـ بغل. حمار...

ـ نقول رضي الله عنه وليس صلى الله عليه وسلم. (قال فاتح)

ثم أتبع مبارك:

ـ ثقافتك في الدين عالية يا فاتح ولهذا بصفتي وزير الدولة وبالسلطة المخولة إليّ سأنصبك على وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. أوقاف ههه ماذا تعني اوقاف يا وزير الشؤون الدينية والأوقاف؟

فارس:

ـ همم بسيطة تعني أن الدين متوقف في هذا المجتمع...

سمير:

ـ متوقف!

فارس:

ـ نعم أوقفه أصحاب الشؤون قبل الأوقاف. سأتعاون رفقة وزير العدل على تنفيذ حكم قطع الأيادي. حيث سأجمع كل أيادي الطراطير وأبني مقبرة كبيرة في مدخل المدينة. في كل قبر يد وأكتب أسماء كل الطراطير في مدخل المقبرة. وأعرف أن القائمة طويلة سيساعدني في كتابتها وزير الإحصاء. أووووه نحن لا نملك وزارة للإحصاء!

ـ هل هناك وزارة الإحصاء؟

قال سمير الفار:

ـ لا أدري. لكن لا أظن أننا بحاجة إليها. لأن دولة الحشيش. لا تحصي وهدفها من ذلك أننا نسعى لبناء المستقبل لا يهمنا إنجازات الماضِ وإحصاؤه.

ـ نحتاج وزارة الصحة يا جماعة (قال طارق المارطو)

سمير:

ـ نعم... نعم علينا بذلك.. الصحة هي الصح. لكن لا أظن أننا سنحتاج لتلك الوزارة. لأن الدولة التي تستهلك من مدخولها ومن منتوجها وسلعتها ويكون فيها كل شيء ظاهريا بحيث يعرفه الجميع لا أظن أن مواطنيها الأعزاء سيمرضون نفسيا هذا من جهة الصحة النفسية أما الجسدية فقد قام وزير العدل قبل قليل بتقنين كمية الزطلة بوصفة طبية هل نسيت هذا؟ بهذا سيصبح كل شيء ظاهريا وغير محظور. لأن كل شيء محظور مرغوب. وهنا يبدأ الفساد... وبتقنيننا للزطلة والحشيش وتسريحنا لها تصبح غير محظورة

وبهذا تصبح غير مرغوبة لأنها ستدرج بذلك في خانة اليوميات العادية فتصبح مثل التدخين أو شرب الزنجبيل وبذلك سيعتزلها الناس ونصنع دولة نزيهة وواضحة كوضوح نجوم الظهر.

ـ هل هناك نجوم في الظهر أيها الوزير؟

ـ نعم هناك نجوم. الشمس فقط تحجب عنك رأيتها. وعندما لا تراها لا يعني أنها غير موجودة.

ـ يا لها من خطة ذكية. كيف جاءتك في رأسك؟

ـ هل نسيت أننا مثقفون مثلما قال لك رئيسنا العزيز مبارك.

ماذا تقول لنا يا فخامة الرئيس.

كح مبارك:

ـ أنا هو صاحب الحلول إذن:

ـ ماذا تقصد! قال سمير.

ـ هل سمعتم من قبل بالشيخ الطاهر بن الموفق.

ـ لا يا رئيسنا العزيز. أنرنا.

ـ هذا الدرويش أو الحكيم أو المشعوذ أو البني آدم عنده نبوءة.

ـ الله أكبر نبوءة! نطق طارق المارطو وفتح فمه!

ـ نعم يقول فيها التالي. حين تستقل هذه الأرض سيحكمها سبعة رؤساء أولهم بهلول وثانيهم رمول وثالثهم حطوه. يقول ورابعهم يموت مقتول.

ـ يا لطيف... مقتول! قال فاتح بنبرة مندهشة مصروعة.

رد عليهم سمير:

ـ أسكت خلي الرئيس يكمل... وخامسهم يا عارفنا!

ـ وخامسهم بقرة محاطة بالعجول.

ـ وسادسهم...

نطق طارق بنبرة محتارة:

ـ سادسهم يكثر معه القتل والهول.

ـ الله أكبر... قال طارق.

ـ و...

ـ وسابعهم يجيب الحلول!

نطق سمير:

ـ الحلول... الحلول قال الحلول قال هههه وانفجر الجميع ضاحكين.

ثم بعد أن خفتت وتيرة الضحك يصمت الجميع فيمرر سمير سيجارة الكيف ببطء لمبارك وهو يسأله.

ـ من هؤلاء السبعة اشرح لنا وضح لنا فأنت شمسنا يا رئيسنا؟

يصمت مبارك لوهلة ثم يهز رأسه بعدم رغبته بتدخين سيجارة الحشيش التي قدمها له سمير، يستغرب سمير من رفض مبارك لسيجارة الكيف وهو الذي كان يلتهمها بدل فطور الصباح ويقولها بدل السلام عليكم وكاد أن يزرعها داخل رئته التي تشبه جورب أخيه الحسين.

ـ قررت التوقف عن كل شيء (قالها مبارك بنبرة هادئة تنم عن الصدق).

ـ هل تقصد أنك لن تدخن الحشيش مرة أخرى! أم أن رائحتها لم ترق لك.

اقترب مبارك من سمير الفار أمسكه من كتفه. دفعه نحو صدره وعانقه بقوة

وراح يربت على ظهره أمام مرأى أصدقائه المزطولين. الذين سقطت أفواههم من الدهشة. من المشهد الذي يرونه أمام أعينهم لأول مرة.

حاشية 03:

سمير الفار

شاب في التاسعة والثلاثين من عمره، نحيل وطويل، له أثر ضربة سكين على طول ذراعه اليسرى، أسنانه الأمامية سوداء ومتآكلة من الكيف والدخان يهوى لباس "لاكوست ولاريني" ويطلق عليها تسمية البعوشة (الحشرة الصغيرة) تشبيها بعلامة التمساح التي تحملها تلك الماركة الرياضية، له شاهدة في مجال بيع الأدوية، إذ تعلّم ذلك من بيعه لمختلف الأدوية المهلوسة، يتيم الأب والأم، له جدة يقوم برعايتها، امتهن بيع السجائر منذ كان صغيرا، وصار في يفاعته مهربا للمخدرات على الحدود الجزائرية التونسية والليبية، واستطاع في الأخير أن ينال ثقة الكبار الذين يجتمعون في ملهى واد بوجاجة، فسمحوا له بفتح ملهى صغير في الغابة جنوب المدينة، تقصده الطبقة الوسطى التي تتوق إلى دخول ملهى واد بوجاجة في خطوة تالية، وكثيرا ما عُدّ سمير الفار محل ثقة الجميع وواسطة مهمة بين نزلاء الملهى وزبائنه من الكبراء ومن الشباب خاصة في ترويج المخدرات وتقديم الحسناوات من بنات المدينة أو من الوافدات من كل مكان. كأنما سمير كان يمثل المصفاة العازلة لكل تسرب إلى الملهى...

حاشية 04:

طارق المارطو

في الواحد والأربعين من عمره، ممتد القامة، ممتلئ الجسم، ثخين الشفتين، مدور الوجه، لامع العينين، أصلع الرأس، أبيض اللون، يميل إلى الحمرة، معتد بصحته، ملاكم له العديد من الألقاب الوطنية والدولية، اعتزل بعدما

أصيب في كتفه بطعنة خنجر غادرة، لا يلبس إلا الملابس الخفيفة صيفا وشتاء كأنه يتعمد إظهار الرسومات التي وشمها على ساعديه المكتنزين كساعدي جلاد جبار، نسبة ذكائه محدودة.

حاشية 05:

سميح البغل

شاب في السابعة والثلاثين من عمره، قصير القامة، مكور، بدين، يملأ الوشم كثيرا من أنحاء جسده. نشأ في أسرة معدمة تسكن الأحياء القزديرية. تسرب من المدرسة في سنواته الأولى. ماتت أمه التي كانت تمارس البغاء في حادث مرور مع مجموعة من السكارى. اشتغل في أيامه الأولى نادلا، ثم مساعد بناء ثم بائع خمرة في حانة، ثم بطالا. دخل السجن مرتين. مرة بتهمة الضرب العمدي المبرح والجرح باستعمال السلاح الأبيض ضد رب العمل. ومرة بتهمة السكر العلني وانتهاك الآداب العامة، يهوى التبول على الحيطان وهي من عاداته اليومية.

حاشية 06:

فارس

في الثلاثين من العمر. قصير، نحيف، أشقر وسيم، البيريه فوق رأسه لا تفارقه، ذكي ويهوى قراءة الروايات والكتب الفلسفية والفكرية نشأ في أسرة ميسورة تميل إلى التدين. معظم أفرادها يحفظون القرآن الكريم. هرب من المنزل بعدما اتهمته عائلته بالإلحاد أبوه من مجاهدي ثورة التحرير. قضى سنوات نشيطا ضمن صفوف الجماعات الإسلامية، يحضر نشاطاتها، ويحضر حلقات توجيهاتها وذكرها. لم يدخل الجامعة إلا أنه غزير الثقافة. بسبب جده

الذي يعمل عنده في المكتبة إذ في كثير من الأحيان يقضي وقته في المطالعة. له قصة حب غامضة ومأساوية.

حاشية 07:

فاتح الشعرة

في الخامسة والثلاثين من عمره. طويل القامة، نحيف، أشقر الشعر بهي الطلعة، أنيق اللباس. يعيش في أسرة قبائلية. تملك مزارع شاسعة فشل في الباكالوريا ثلاث مرات. يقضي معظم وقته في مخالطة أبناء الأثرياء من الجنسين. يميل إلى معاقرة الملذات وعلى رأسها الخمرة. شرابه المفضل هو "الريكار" مدلل كثيرا من أمه التي تسيطر على الأسرة بشخصية فولاذية.

صفحة بكماء

علبة التفاهة وسبعون حاكما وصفر تافه

بعد ذلك غادرهم مبارك وانعطف في الزقاق ثم مشى طريقا محفرة فوصل لعمارات على شكل مستطيلات صفراء حائلة مقرمدة السطح من التشققات المفتوحة على حيطانها يظهر طحلب أخضر معشعشا على طول العمارة، يعيش على المياه المتسربة من أنابيب الصرف الصحي المهترئة ومياه الأمطار ومياه الغسيل التي ترميها ربات البيوت من النوافذ دون انتباه لمن يعبر تحت العمارة. في حي "القرمود" أن يصيبك دلو ماء غسيل خير من أن يصيبك حفاظ أطفال محشو بالبول والغائط.

ثم تحت العمارة مباشرة على الرصيف الرخو تتراكم أكياس القمامة السّوداء منتفخة وملغمّة بحفاظات الأطفال وفوطات النساء، تحلق حولها أسراب الذباب والناموس والبعوض وترقص فوقها القطط والكلاب والفقر السمين وشر الناس، تتكئ بجنبها زجاجات شراب "هينكل" خضراء تلمع برؤوس براقة تعكس شمسا صفراء كارهة، وأكياس خبز يابس محفوظة لوحدها داخل أكياس أخرى.

يعبر متشرد بتراخٍ حلزوني وجهه غائر داخل رأسه الكبيرة، يحوم حول حاوية القمامة التي تكاد تتقيؤ ما في جبها، يدخل رأسه في أحشائها، يحشر يده ويخرج سروالا داخليا نسائيا ورديا، يعصره بين أصابعه، يتشممه، يتحسسه ويأخذ منه نفسا عميقا، كأنه يسترجع عبق ذكريات بعيدة، ثم يرميه داخل جيب سترته الخضراء الحائلة، يخرج بعده حمالة صدر بيضاء ملطخة ببقع صفراء، يطويه بعناية ثم يرميه داخل كيس السميد الذي يجره في يده

ويستعمله في جمع أشياء مفيدة وغير مفيدة من القمامة، تتدلى من فم الكيس قارورات بلاستيكية وبعض الخبز اليابس، يرجع ما أسقطه من القمامة داخل الحاوية ثم يتابع طريقه يمشي محني الظهر نظره صوب الأرض. يتبعه كلب سلوقي نحيف مبتور الذيل أذناه مرتخيتان مثل جفون صاحبه. يلقبونه في الحي "بالميلاني"، متشرد نصف مجنون أو ربع أو ربهم أعلم بهم، يقضي يومه بجمع القمامة. وتنظيف الأرصفة والطرقات.

عند مدخل حي "القرمود" عمودان خشبيان يربط بينهما كابل كهربائي يتدلى عليه حذاء رياضي أبيض (كانت تلك إشارة معروفة بين سكان الأحياء الشعبية. تدل على أن مكان بيع الزطلة قريب من هنا).

بين العمودين لافتة محمولة على عود خشبي يتبول عليها جرو صغير كتب عليها "حي الوئام " ولكنه معروف ب "حي القرمود[33]"

دخل مبارك الحي قاصدا هدفه المنشود، وقف أمام العمارة الباهتة.

وعند المدخل قرأ لافتة:

L'ascenseur est hors service

لكن تلك اللافتة لم تكن غريبة عنه وقد مل من قراءتها، لأنه في عديد من المرات ما اضطر لحمل الحسين أخيه على ظهره إلى آخر طابق، صعد

---

[33]- حي من الأحياء الشعبية لمدينة عين الدفلى سمي كذلك نسبة لسطوح عماراته المميزة المغطاة بالقرميد الأحمر.

مبارك أول درجة ثم ثاني درجة ثم توقف ونظر نحو الأعلى يشاهد السلالم وهي تلتوي على بعضها بشكل دائري مغلق، مثل ثعبان يمارس الحب.
استل نصف السيجارة المتبقية من جيبه، نظر نحوها، أشعلها بعود ثقاب، كانت عادته تلك حيث يفضل أن يلهب رأس سجائره بأعواد الثقاب لأن رائحة احتراق الكبريت تطفي على حسه نشوة وأصالة قدم.
أخرج صدره للأمام، أمسك طرف معطفه وبدأ بصعود السلالم والنظر نحو الأعلى، بلغ آخر طابق، انعطف نحو اليسار، وصل إلى الباب رقم 96 وجده مفتوحا. أدلف البيت، عند المدخل ببضع أمتار وجد نفسه في الصالون. ثم وعلى سخونة دمه مباشرة همّ بفتح الخزانة يبحث بين رفوفها عن بطاقة تعريفه.
في الجهة الأخرى عند النافذة، بهدوء قابعا فوق كرسي مدولب من حديد أبيض ناصع، وقط أصفر سمين الفرو قابع في حجره، يمسح في إطارات الصور ويعلقها بهمة وحرص على الجدار.
صورة لاعب كرة قدم يقفز في الهواء ورفقاؤه يحملونه على أكتافهم.
صورة لاعب كرة قدم يحمل كأس البطولة بين يديه وخلفه فريقه.
صورة شاب بقوام رياضي في رقبته ميداليات نصر متعددة الأشكال والألوان.
وفوق الطاولة التي تستند على الجدار الذي يحمل الصور مجموعة من الكؤوس والميداليات مملؤة بانتصارات الحسين وبطولاته قبل أن...
ـ هل رأيتها!
قال مبارك وهو يبحث بين الكتب على الرف.
ـ ما هي.

رد الحسين دون أن يلتفت إلى مبارك.

ـ بطاقة هويتي.

التفت الحسين وعقد حاجبيه:

ـ أين أنت ذاهب؟

التفت نحو أخيه بعينين متبصرتين:

ـ بل أين نحن ذاهبان.

ـ نحن!

نظر نحو القط الممدد في حجر سعيد بادله نظرات شاردة ودون أن يزيح عينيه من عيني القط رد على الحسين:

ـ نعم سنخرج اليوم في نزهة.

***

~~ثم خرج إلى الشرفة وجد أن العصفور قد مات داخل القفص وجثته تتعفن فتح القفص أخرج العصفور ورماه في الفراغ وراقبه كيف يرتطم على الأرض. تنهد بعمق. ثم نزع رجله البلاستيكية رماها خلفه. فتح ذراعيه كجناحي عصفور وألقى نفسه في الهواء من شرفة الطابق الخامس.~~

***

آه يا مبارك الكلب كم أنت وضيع وسادي إلى درجة سلوقية أنت تنتظر موت حسين لتقتلني وأنا أنتظر موته لأمارس طقوس أجدادي في التأبين والتعبد بدماء أخيك طاوعني هكذا نعم نحن نعرف بعضنا جيدا كلانا قادم من الزبالة نحن أهل الزبالة والقمامة نعرف بعضنا نشم بعضنا نحن الذين يعشعش الألم في أنفاسنا ونتقنه مثلما نتقن النوم والانتظار ابن عمي من الزبالة

ليت نومك ثقيل مثل نوم الشحاذين والشيوخ حتى تسهل عليّ المهمة رأيت فيما يرى النائم أنك ترميني من فوق غيمة وأنا أحلق في الهواء ساقطا نحو الأرض بسرعة وأثناء سقوطي تقاذفتني كوابيس وكوابيس داخل كوابيس كلاب بأجنحة تطاردني وأنا أحاول الطيران بأرجلي القصيرة هروبا إلى جبل بعيد وحين وصلت الجبل دخلت غابة وفي الغابة هاجمتني مقصات بشكل أشجار والدماء تقطر من أغصانها ثم ابتلعتني الأرض لأسقط داخل قدر يغلي بالماء الساخن والكلاب تنبح في وجهي ثم رأيتك تخرج من بين الكلاب تلبس رداء طباخ وتحمل مقصا في يدك وفقدت صوتي من الفزع وبدل المياو قلت هاووهااو

~~من هيبتي كفيد للنمور أني لا أطيع أحفاد القرود~~

***

سأل الحسين:

ـ كيف ذلك!

ـ اسمع لقد مضى لنا زمن لم نخرج في نزهة فما الغريب في ذلك أخ وأخوه خرجا في نزهة وإن كنت تقصد المصعد المعطل لا يهم سأتكفل بذلك... هيا بنا.

قبل خروجهما لمح مبارك شهادته الجامعية المعلقة على الحائط. أخذها بين يديه لوهلة، تنهد، ثم كسر إطارها الزجاجي على الحائط، أخرجها ولواها في جيبه، حمل أخاه الحسين على ظهره وهبط به السلالم لاهثا مسرعا. وصل به إلى الرصيف عند مدخل العمارة حطه، ثم رجع لينزل كرسيه المتحرك.

بعدها في طريقه وهو يدفع الحسين مر بأصدقائه وهم لا يزالون على حالهم.

نادى عليه سمير. التفت مبارك قائلا للحسين:

ـ انتظر هنا لا تتحرك، سأعود بسرعة.

رد عليه الحسين بضحكة ساخرة مما قاله له مبارك "بألا يتحرك".

واتجه نحو سمير والجماعة تاركا الحسين في مفترق الطرق. غير بعيد منه.

ـ اربح... اربح... هل تملك ورقة ماصة! لا نستطيع لف ما تبقى لنا من الحشيش دون ورقة ماصة.

ـ لا.

رد مبارك بصوت جهوري. صمت الجميع لبرهة. نظر مبارك هنا وهناك، عض على شفته ثم أضاف.

ـ لكني أملك بديلا لذلك.

ـ هات ما عندك المهم نكفنها.

ـ هاكم تكفيكم كلكم مجتمعين. إنها رقيقة تساعد في لف الحشيش. وتعطي تأثيرا ثقافيا من نوع آخر.

أمسك سمير الورقة التي أخرجها مبارك من جيبه وسلّمها له وقرأ عليها بالخط العريض:

{شهادة نجاح مؤقتة}

درجة: ليسانس علوم اجتماعية وإنسانية

ـ لكن كيف. هل تمزح معي!

ـ هل ملامحي تبدو لك ملامح رجل يمزح هاه قل لي. هاتها أريك أني لست أمزح. لأني كنت سأرميها أو أحرقها على كل حال دون أن تكون ذات جدوى. لكن عندما تستعمل كورقة للف الحشيش ستكون ذات نفع لأول مرة منذ تحصلت عليها. فلطالما كانت تزين الجدار فقط.

ـ لكن لماذا تفعل هذا!

ـ اسمعني، هل ترى هذه الورقة يا صديقي. هي من أكبر الترهات التي قمت بها في حياتي، أني دخلت الجامعة وأني أضعت وقتي الضائع في الجامعة. عندما أخبرتك أنكم أنتم المثقفون الحقيقيون لم تدرك ذلك حق الإدراك.

صمت مبارك قليلا ومسح جبينه ثم واصل:

ـ هل فهمتني؟ أم لم تفهم! قل هاه!

لم يرد سمير وبقي متحجرا في مكانه.

بعدها مزق مبارك جزءً من شهادته الجامعية وأعطاه لسمير:

ـ خذ هل يكفيك هذا أم أزيدك!

ثم بدأ بتمزيق شهادته وتوزيعها على الباقين في الحلقة، وترك أكبر جزء لنفسه. ثم فتح كفه:

ـ أعطني بعض الحشيش!

ـ ...

ـ ما بك!

تجمّد سمير مكانه وراح يراقب ما يفعله مبارك تحت نظرة أصدقائه المستغربين والداخلين في بعضهم.

ـ هيا... لماذا تنظر نحوي هكذا! ألن تشرفني بتدخين آخر سيجارة حشيش لي، لا تخف ستكون سيجارة مشبعة بالثقافة والأدب وعلم الاجتماع والنحو وعدم النحو، والنظريات... وطرز على النظريات، النظرية الهيكلية، الصراع، الدور، التبادل الاجتماعي وعمامة ابن خلدون وجورب أوغست كونت، مخاط كارل ماكس والبصاق واللصاق. وألف ورقة وكأس عصير والدودة في سلطة الريسطو. تفضل هيا.

دون أن ينبس سمير ببنت شفة أدخل يده في جيب سترته ورمى له في حجره كيسا أخضر صغيرا من الحشيش، مستغربا يشده فضول مزطول لمعرفة ماذا سيفعله مبارك.

مبارك وهو يلف سيجارة الحشيش ببقايا شهادته الجامعية:

ـ هل ترون هذه الشهادة يا جماعة وشبيهاتها، هي مجرد ورقة ماصة عديمة القيمة. بالضبط هي بنت عم الماصة من شفافيتها الجلدية والحسية حيث تساويها اجتماعيا، حيث أن الفرق الوحيد الموجود بين ورقة ماصة وشهادة جامعية هو أن ورقة الماصة شفافة من الخارج وشفافة من الداخل فقط، هما بنتا جلدة واحدة كلاهما يملآن الرأس، الأولى تملؤه بالعدم والثانية تملؤه بالحشو، أي بالمعرفة الجاهلة. الأولى من رحم الشارع والثانية من رحم الجامعة المسيسة المقهورة، علبة تفاهة تماما أووه. هات لي ولاعة هات لي أشعل النقرة.

صمت مبارك قليلا ليكح، وبعدها أتبع مسترسلا:

ـ ماذا كنت أقول... آه... كنا في علبة التفاهة. هذه يا جماعة الخير. يستلزم الحديث عنها دودة طويلة. (ثم فرك قطعة الحشيش في راحة يده،

بسبابة يده الأخرى وإبهامه يضغطها. يطيلها. ثم يسخنها بالولاعة حتى ترتخي وتمتد أكثر على شكل خيط رفيع الرأس في صورة دودة سوداء تميل للخضرة الفاقعة وتذهب نحو الطين البني الغامق).

ثم اتكأ على عمود الكهرباء الخشبي وراءه، مد رجله ليضعها على حاوية القمامة المقلوبة أمامه وأتبع كلامه بهدوء سياسي محنك ونبرة شيخ حكيم:

ـ لقد غدت علبة التفاهة تلك، كحضانة للكبار، مثل حصان طروادة، غير مؤهلة لإنتاج أبسط فتات المعرفة ولا عدم المعرفة، أو تمثل ما ينجز في العالم، هي بعيدة عن روح التعليم والتعلم والبحث والقيم لأنها لا تستعمل سوى لامتصاص غضب هذا الشارع بمنح شهادات عليا لشباب غير مؤهلين، تصنع منهم آلات طباعة، روبوتات بشرية محجرة الدماغ، ثم تلقي بهم إلى الشارع مجددا بعد فترة من "التكوين" السريع، أو ما يشبه الساندويتش الذي يأكله الطالب أو الطلاب أو البطال أو البطل أو البطال... كما جاءت لصقت. تلك هي إذن. هم يأكلون سندويتشا وفي الواقع هم السندويتش الحقيقي الذي سيلتهمه الشارع بريق وسخ. عجبا! سندويتش داخل سندويتش وسندويتش يأكل في سندويتش آه يا وجعي ويا جوعي... عجبا لبلد يأكل شعبه! وليته يأكله وكفى، بل يمضغه دون أن يبلعه، أموات على قيد الحياة وهم لا يعقلون.

المشرفون على حاضنات التفاهة الكبرى ذي، بداية من وزراء التعليم العالي، مرورا برؤساء الجامعات والعمداء ومختلف المسؤولين عن الشأن البيداغوجي، يدركون أن الجامعة تنتج أميين لا يعرفون كتابة جملة صحيحة بمستوى الليسانس والماستر والدكتوراه الجديدة، ولا يعرفون المنهج والمنهجية

ومكان النقطة والفاصلة، وفي حالة أقسام الآداب فإنهم لا يعرفون أي أدب، لا الجزائري ولا العربي ولا الأوروبي ولا الأمريكي ولا الروسي، ولا الهندي. ولا يدركون حتى إن كان غابريال غارسيا ماركيز كاتبا كونيا أم سندويتش شاورما بالهريسة أم بالشمة.

هؤلاء هم الذين سيسهمون لاحقا، بشهاداتهم أقصد بماصاتهم، إلى المعرفة والمنهجية واللغة، في تكوين جيل جديد من حملة الليسانس والماستر والدكتوراه، وعلينا أن نتصور ما سيحصل بعد سنين قليلة.

إفطار شهي للشارع الجائع.

ثم حك مبارك مؤخرته تباطأ في سيرورة كلامه ثم رجع إلى نفس الاستطراد.

ـ في المقابل... في المقابل لا أحد منا... يجهل الدور... الدور... أقول لكم الدور المدمر الذي تقوم به المنظمات الطلابية الحالية، بتزكية معلنة من المسؤولين لأغراض سياسية وانتخابية ودعائية ونسوية وتعرية وتغطية وفسقية وسفسطائية عملت على تقويض الجامعة، ولأهداف أخرى يمكن الكشف عنها جماعيا بمواجهة هذا الواقع الشاذ الذي يصيبني بالربو مثلما يصيب كل واع ومدرك ومثقف حقيقي يلجأ لطرقه الخاصة في محاربة وعيه وإدراكه لكل هذا الكم الهائل من التفاهة المحيطة به، أوكسيد التفاهة أخطر من أوكسيد الكبريت، الابتعاد عن التفاهة هو ثقافة مثقفة، لذلك ومن هذا الباب والمنطلق نحن نعتبر مثقفين وجدا، ولا نعتبر كذلك عندما لا نملك الشجاعة الكافية لتعرية ما وجب تعريته، دون كذب أو تلفيق. مثل من يكتبون على أوراق الحمام تلك ويرمونها لجيل الشيخة الريميتي والعشرة البيضاء، قاذورات تخرج من قاذورات وقاذورات تمسح قاذورات بماء صرف

مراحيض المنظمات الطلابية ومشتقاتها. أووه يا حصرتاه على تلك المنظمات الكلابية ااا عفوا الطلابية. بفتح الطاء واللام.

رئيس علبة التفاهة وعميدها ورئيس القسم يولون أهمية كبيرة لهذه التنظيمات الضاغطة التي تسنّ قوانينها البدائية، لكنهم مقابل ذلك لا يولون أيّ أهمية للمؤطر كأضعف حلقة في السلسلة التعليمية المعاصرة. عندما يغيب الطالب سنة كاملة، دون أن تحتسب الغيابات والعلامة الإقصائية كما كانت الجامعة في سابق عهدها، خاصة أيام نظام الوحدات، وعندما لا يعرف البرنامج، ولا يعرف أستاذه ولا يراه ولا يسمع عنه شيئا، وعندما يتهجى الجملة بصعوبة ولا يستطيع كتابة اسمه بشكل واضح في ورقة الامتحان، ثم ينجح في نهاية العام بقدرة قادر وجيب عبد القادر، ومعرفة السي الطاهر، من هنا نفهم بعض أسباب هذه التفاهة الملونة التي تمت برمجتها خلف المكاتب من سنين خلت وسندويتشات تُبلت.

ثم استنشق مبارك نفسا طويلا نهما من سيجارة الحشيش ونظر نحو السيجارة متحدثا بنبرة هادئة وعينين غارقتين، في وجه شبه منطفئ:

ـ يا جماعة صدقوني، حتى إن فهمتموني أم لم تفهموني فلا يهمني، وما عاد يهمني، إن الطالب في السنين الأخيرة غير معني لا بالدرس ولا بالمحاضرات ولا بالكتاب ولا بالأستاذ ولا بالتكوين ولا بالمسؤول ولا بالأخلاق ولا بالضوابط الأكاديمية المتعارف عليها دوليا، كما الإدارات والوزارات المتواطئة معه لأنه أحد وجوهها المهيمنة على المشهد الجامعي الذي يزداد انهيارا وتصدعا في ظل الإصرار على التعتيم والكذب، على إخفاء الحقائق الصادمة التي ستدخل البلد برمته في مرحلة من العبث، يا جماعة

الخير إن التفاهة معدية أكثر من الجرب لو تدركون كما تمّ العبث بالأحزاب والاقتصاد والقيم ومستقبل الأمة بالتزوير والخطابات الميتة التي كشفت السياقات عن طابعها التراجيدي الذي أوصل البلد إلى مرحلة متقدمة من الصدع والترهل.

من هنا يجب الاعتراف بأن الجامعة الجزائرية ليست بخير، ولن تكون بخير لأنها تتفادى مواجهة نفسها بالنقد والمراجعة وتصويب الخلل الذي تصر على تعميقه لغايات نفعية، بإعادة النظر الجذري في منطلقاتها وأطرها ومقوّماتها وأهدافها الفعلية، في علاقتها بالمحيط الخارجي وبنا نحن المثقفين في الشارع، وفي البرامج الخاطئة التي تسند لغير أهلها من المبتدئين والوصوليين ومن البعثيين (من جملة من بعثك أو من عند من أنت مبعوث)، في الوحدات الاستعجالية التي لا قيمة فعلية لها، في الأشكال التعليمية المتواترة، في المنح والعطل العلمية التي تهدى إلى الإداريين المنتشرين على الكراسي على حساب البحث والسندويتشات في أسباب هجرة الكفاءات الوطنية إلى الخارج بحثا عن الكرامة، في تهميشها وتقزيمها، في علل محاربة الخبرة والجهد وتسبيق البيروقراطية على العبقرية المنتجة.

ثم أخذ نفسا ثانيا أطول من الأول أوصل به سيجارة الحشيش إلى نصف عمرها.

ـ لتعلموا أن اللجان العلمية على مستوى الأقسام تعين مشرفين أو مناقشين لأطروحات الدكتوراه دون تبصر لأنها تؤسس على تقاليد الدوار ونواميسه، على العلاقات الشخصية: أساتذة يناقشون ما ليس لهم به علم، يقفزون من مستوى الأسلوب الرنان والعاطفة الجياشة إلى حقول السيمياء وعلم السرد

والتفكيكية والتداولية والمصطلحية من أجل نقاط تؤهلهم إلى الترقية، دون أن يكونوا متخصصين في الشأن.

ناهيك عن أخلاق بعض الأساتذة في الجامعة وأقول الدكاترة لأنصفكم القول، أووه ما زلت أذكر ذلك اليوم...

ثم شد على قبضة يده. التفت، بصق في الأرض. وتابع بنبرة يشوبها نوع من الحزن والتحسر.

ذلك اليوم حين أقفلت لي تلك الدكتورة... أاا أقصد القاذورة الباب في وجهي وقد تأخرت لدقيقتين بسبب أمطار الشتاء التي أغلقت الطريق، قالتها بفظاعة وتسلط فتاة شارع وحاشا فتاة الشارع حتى:

ـ أنت غائب.

ـ لا تطرق الباب.

ـ امشي.

ـ امشي (كررها سمير وهو يعقد حاجبيه مستغربا).

قالت لي امشي نعم كأنها تطرد كلب شارع من أمام باب بيتها. وكانت تلك أول حصة لي معها. أطلت عليّ من باب القسم برأسها مثل عجوزة شمطاء ولم تقابلني وتعطني الوجه حتى. ضربت الباب في وجهي بقوة كأني أتسول عندها... رخيصة... تفووه.

لم أشأ أن أرد عليها ولا أعاندها وخيرا فعلت وبعد أعوام أدركت أن بعض الأساتذة مرضى نفسيون. داخلهم فراغ عاطفي واجتماعي رهيب يقزمون الطالب أكثر مما أقزم هذه السيجارة بين أصابعي الآن. حتى ذي السيجارة تبدو في عيني كبيرة وفي رأسي أكبر.

عليهم أن يكتبوا عند الباب الرئيسي لكل جامعة.
"قبل أن تحصل على شهادة جامعية احصل على شخصية"
نعم شخصية مشرفة لنفسك وللجامعة.

المهم لا تستحق حتى حديثنا عنها، قلت لكم بعد سنين خف غليلي وحقدي لما أدركت أن شهادات الليسانس والماستر والدكتوراه توزع كما الأرباح في التعاونيات الفاشلة، وكما توزع النخالة على النطيحة والمتردية، منطق القبيلة يتحكم في العلاقات الجامعية والعلمية، في تعيين المسؤول، في القرار، في البرمجة، في تسيير الشأن التربوي الذي يستدعي كفاءة وروية وتخطيطا سليما.

يا جماعة الخير قولوا لي وربكم، الجامعة التي تنصاع للأحزاب الأمية، للأنظمة العابثة، للشعارات المرحلية التي تحيدها أو تبعدها عن دورها الريادي في صناعة العقل والوعي وتحصين المجتمع وترقيته، هل يمكن أن نسميها جامعة يعوّل عليها في تنشئة الأجيال والإسهام في خلق جدل مؤثث يجعلها تستحق هذا الاسم الكبير؟

ساد الصمت الحاضرين واكتفوا بهز الرؤوس بالنفي.

حقيقة لقد غدت هذه المؤسسة إساءة إلى نفسها، إلى الثقافة والعلم والأخلاقيات والجهد الفكري، لذلك اختفت من الترتيب العالمي عندما تراجعت إلى مستوى الثانويات والمتوسطات، إلى مرتع للجهل والشهادات المزورة والرسائل المسروقة، سواء في العلوم الدقيقة أو في العلوم الاجتماعية والإنسانية أو الطبخ. أو لف الحشيش. ماذا يأتيك من طالب جامعي لا يعرف كيف يملأ شيكا مصرفيا. ماذا يأتيك من طالبة جامعية حقيبة يدها

تحمل صالون حلاقة ومعها أقلام. نعم أقلام تلوين. لكن أقلام تلوين العين والرموش والأذن.

قيل لكم:

سقط المطر على الطالبة نسرين فتحولت إلى نوردين.

هههه نخكخ كهكخ. (ضحك مبارك وضرب على ركبتيه، وضحك الآخرون من ضحكه أكثر مما ضحكوا على النكتة).

عجب والله عجب. هذا البلد مجروح والجرح الكبير عندما لا يخاط لا يندمل ويتعفن ويخرج منه قيح ودود. نحن تلك الديدان التي تسبح في القيح دون أن تعي.

نحن نعيش في الخراء مثلما قال طارق من قبل.

تفووه! أمسك أمسك سنلتقي بعد العدم!

وقبل أن ينصرف سأله سمير:

ـ لم تخبرنا من أولئك السبعة.

ـ يا حصراه. ذي سهلة، حسبتكم أيها الوزراء متفطنين وتفهمون الإسقاطات والهرطقات. شوفوا هذا الشيخ الطاهر بن الموفق هو جد الحاج قدور بابا ربي يرحمه عنه نقلا حكى لي هذه النبوءة ولم يشرحها ومع الوقت عرفت ذلك. جد أبي هذا قد عاصر الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وتوفي في ماي 1935، نبوءته كالتالي:

"عندما تستقل هذه الأرض سيحكمها سبعة رؤساء على التوالي

(أولهم بهلول) أ.ب

(وثانيهم رمول) ه. ب

(والثالث حطوه يقول) ش.ب
(ورابعهم يموت مقتول) م.ب
(وخامسهم بقرة محاطة بالعجول) ع.ك
(وسادسهم يكثر معاه القتل والهول) ل.ز
(وسابعهم هو اللي يجيب الحلول) ع.ب
فأين الحلول.. أين الحلول؟

ثم انسحب مبارك من الجماعة بعد أن تركهم مصروعين بالكيف لا يدركون ويدركون. ساد الصمت بينهم. نظروا لبعضهم مرددين:

ـ الحلول.

ـ الحلول قال الحلووول هههه.

ـ الحلووول هههههههه هههه هههه.

ـ الحلوووووول هههههه اههههه هههههه هههه.

وانفجروا ضاحكين وهم ينظرون لسيجارة الشهادة التي يحملونها بين أصابعهم. عاد مبارك للحسين بعدما تركه في مفترق الطرق، إذ ألفاه لا يزال يلهو بمكعب الكوبيبك يكاد يكمله. ركبا الحافلة بعد مسير نصف ساعة وصلا نحو شاطئ "شينوة" كانت الساعة في يد الحسين تشير للثانية مساءً.

في كرسي يطل على واجهة البحر قعد مبارك ولم يقعد الحسين لأنه قاعد أصلا. ثبت كرسيه المتحرك بجانبه. بعد ولهة مر بجانبهما عجوز يبيع كرات صوف السكر (لحية بابا). طلب مبارك واحدة لنفسه وأخرى وردية من أجل الحسين. ابتسم الحسين ورفع حاجبه لما سلمه مبارك كرة سكر الصوف الوردية وأخذ هو الكرة البيضاء، كان البحر هادئا تتأرجح فوقه شمس صفراء

وتنعكس داخله مثل حبة بيض في مقلاة، السفن تصدر صوتا بخاريا من الميناء القريب، الجو دافئ، رائحة الطحلب تمتزج برائحة الحوت تعبق الجو. الرطوبة تلصق في الوجوه بحميمية، الأطفال يجرون فوق رصيف واجهة البحر، باعة الشاي والفول السوداني يصيحون، باعة البيض المطبوخ يركضون هنا وهناك. وأطفال صغار قد صبغتهم الشمس بسمرة تميل نحو لون القهوة الباردة، يؤثثون خد الرصيف، كان اليوم لا يدل على شيء مهم سوى أن الشمس كانت كقرص صفار بيض على وشك أن يغرق في زيت البحر المصروع.

كور مبارك كرة الصوف بين أصابعه. انضغطت لتصبح بحجم رصاصة. ثم رماها في فمه. وبجانبه الحسين يأكل الصوف بتمهل ويتأمل البحر.

ـ بماذا يذكرك البحر (تكلم الحسين ملتفتا لمبارك الغارق في شروده).

ـ يذكرني بليندا (رد مبارك دون أن يلتفت).

ـ هل تقصد ليندا التي...

ـ نعم، لقد تعرفت عليها هنا بعد أسبوع من ذلك اليوم الذي...

د

ك

ط م ه ج

د ك ذ

ما بين يُسرَتَيكِ صلى القلب نافلة
بعد التوضؤ من عينيك بالعسل
الريق حلو إذا مـا تهت أمعنه
وجها يحملق في ثغري وفي مقلي
أنـا كـقـــــيثارة أزبكتها بفـم
إذا تبسـم فرّت من فمي جـملي
إذا تبسـم حظ القلب قافلة
قد كان قبلك في حل ومرتحل
قد كان قبلك عصفورا يعذبه
جرح المواسم إن جاءت على مهل
كل الحروف إذا ما قلتهـا نزلت
على ضلوعي وردا غاص في قللي
كل العناق وكل الدمع كـل يد
قد أمسكت أختها ولت على عجل
أتذكـرين وهـذا البحر ثالثنا
كنا كنصفين بالأحضان والقبل

الشاعر عاشور بوضياف (بتصرف)

ليندا

في ذات يوم أصفر مشؤوم من دون ملامح. قبل عشرة أعوام تشبه بعضها، وفي ذاك المساء البغيض قرر مبارك أن يذهب للبحر ليشكو له حزنه وغبطته، استلقى على رمال شاطئ "شينوة "في مدينة تيبازة وعلى بعد أشبار من الرمل من مكان قعوده، كانت مستلقية على ظهرها، تضع فوق وجهها مظلة رأس تقيها من أشعة الشمس، بجنبها سلة مفتولة من أوراق "الديس"، علبة واقي شمس بيضاء، ذراعها اليسرى ملساء كانت قد حشرت أصابعها في الرمل وهي تحرك قدميها على سطحه وتفرك الرمل بأصابعها كأنها تفكر في شيء حميمي. فجأة هبت ريح فطيرت المظلة من على رأسها لتقع بجانب مبارك. أمسكها مبارك، نفضها من الرمل ثم أخذها للفتاة التي تبعتها بعينيها وعجزت أن تطاردها.

قالت بنبرة صوت هادئة وناعمة:

ـ شكرا لك.

لم يرد مبارك وتمشى عائدا لمكانه.

ثم أضافت قبل أن يبتعد عنها أكثر:

ـ يقولون عفوا أليس كذلك!

لم يرد مبارك واكتفى بالصمت ورشقها بنظرات حادة، ثم التفت ببطء راجعا لمكانه فحاولت كسر الصمت وفتح الحديث مع هذا الرجل الذي بدا لها غريب الأطوار وقليل الكلام.

ـ هاي اسمع، هل أجد عندك ولاعة!

فكر مبارك بأن قعدته هذه تحتاج لسيجارة.

التفت نحوها وقال:

ـ وهل عندك سيجارة!

ابتسمت ابتسامة وديعة وأدخلت يدها في جيبها ثم أخرجت علبة سجائر "ماربلورولايت" حمراء .

ـ خذ اقعد!

ثم تزحزحت قليلا لتفسح له المكان ليجلس فوق ملاءتها الواسعة الخضراء وسلمته سيجارة ليشعلها لها وعيناه تغرقان في عينيها الفسيحتين كمرج أخضر.

ـ ما هي قصتك إذن!

لم يرد مبارك وحرك رأسه في اتجاه البحر، شرد، قرب رأسه إلى ركبتيه، نظر نحو السيجارة وهي عند سرتها، ثم ضم كتفيه بوضعية سجين بردان. وقد كانت الشمس تبدو في الأفق كرسمة صبي في جانب الورقة ولسهفه[34] الصمت ممتزجة بأصوات النوارس تطير في سماء زرقاء خفيفة معجونة بأصوات بنات الأمواج وهي تنطح صخور الشاطئ غير البعيدة، ورائحة طحالب البحر تمتزج برائحة واقِي الشمس التي كانت تضعه الفتاة على كتفيها وظهرها تثير أنف مبارك وتشعره بشرود مثير وطعم لذيذ تحت لسانه.

ـ يبدو أنك قليل كلام!

ـ ...

لم يرد مبارك وبقي غارقا في صمته وشروده.

---

[34]- أفق الصمت.

بعد لحظات وقبل أن تصل سيجارة مبارك لنهايتها التفت نحوها بعينين عسليتين ونبرة بها نوع من البحة:

ـ هل تهمك قصتي حقا!

ـ إن أردت طبعا!

ـ هل تهمك البدايات والتعريفات والأسماء بقدر ما تهمك اللحظات والآهات؟

ـ لا.

ـ إذن هل تهمك متعة البدايات أم متعة النهايات؟

ـ تهمني متعة الطريق!

ـ إذن لا يهمك من أنا ولا تهمك قصتي ولا تهمني قصتك. أعطني تعريفا حسبك أنت، وإن ما زلت عالقة في التعريفات والأسماء لن أعطيك شيئا.

ـ لماذا؟

ـ لأني لا شيء يهمني.

ـ أنت غريب.

ـ لا يهم (والتفت مبارك نحو الفتاة لتتقاطع نظراته مباشرة مع عينيها الطحلبيتين التي تعكس صفاء البحر، أنثى بطمع الشبق تشع حسنا، بيضاء مثل زبد البحر وشعرها ذهبي مثل رماله، فوق خديها الموردين نقاط حمراء مثل حبات التوت، نمش بني مثير كرذاذ طلاء من ريشة رسام تجريدي مغمور)

ـ لماذا لم تدخلي الماء لحد الآن؟

ـ أووووه، حتى أنا راودني نفس سؤالك عجبا! هل تأتي إلى الشاطئ دون أن تدخل الماء والغريب أكثر أنك لم تنزع ملابسك! وقد مضت لك مدة وأنت هكذا تكتفي بمراقبة البحر فقط!

ـ هل كنت تراقبيني؟

ـ لا فقط...

قبل أن تكمل جملتها من أجل مبررات لا طائل منها قاطعها مبارك:

ـ ومن قال لك أن البحر للسباحة فقط!

ـ أنت محق.

ـ وأنت أراك غير مبللة لحد الآن، أم نشفت تحت الشمس؟

ـ لا لم أدخل بعد؟

ـ ماذا إذن! ألا تجيدين السباحة!

ـ لا!

ـ هل أنت مريضة! هل لك حساسية من الماء؟

هزت رأسها بالنفي.

ـ إذن!

ثم قرب ركبتيها إلى صدرها، نزعت حذاءها الأبيض المكور من رجليها، فتح مبارك عينيه مستغربا مما يراه، كانت قدماها متشابهتين:

يمنى | يمنى.

لم ينبس مبارك ببنت كلمة.

نبرة منخفضة تشوبها مسحة من الحزن:

ـ أعرف أن الأمر يبدو غريبا لك وقد يثير فيك الضحك. لا تقلق أنا

معتادة على الأمر. إن شئت الضحك فاضحك، لا يهمني الأمر على كل حال فقد اعتدت على ذلك، نعم أنا ولدت هكذا بقدمين متشابهتين، لذلك أنا أعتمد على انتعال أحذية مكورة لتخفي العيب في رجلي، أصنعها بنفسي خصيصا، ولهذا امتهنت الخياطة وأنا لا أجيد السباحة فقط بل أنا بطلة ولائية في سباحة المئة متر، لذلك لا أحتمل إظهار أرجلي أمام الناس لأن مجتمعنا لا يرحم. قد يبدو لك شيئا سخيفا. لكن عندما يراك طفل صغير ويهرع هاربا نحو أمه خوفا من رجليك حينها ستفهم ما أقصده بالضبط.

ضحك مبارك ضحكة متصاعدة:

ـ قلت لك بإمكانك الضحك كيف شئت فأنا معتادة على الأمر.

ثم واصل مبارك ضحكه بوتيرة أكبر.

ـ اضحك اضحك (والتفتت لتنظر إلى البحر)

ـ البدر ما يكتمل كماله.

رفعت حاجبيها مستفهمة.

أضاف مبارك محاولا شرح ما قاله:

ـ الحلو ما يكمل.

ابتسمت ونظرت نحو مبارك بعينين تتدلى من أهدابهما عناقيد الخجل.

ـ لكن لم تخبرني لمَ أنت لم تدخل البحر لحد الآن!

لم يرد مبارك ورجع لمواصلة ضحكه مثل الأول. ثم هدأ ببطء ونظر نحوها بعينين مشعتين ونزع قميصه، اتسعت حدقتا عيني الفتاة وانفتح فكها السفلي مستغربة، وانفجرت ضاحكة هي الأخرى لأن مبارك يحمل أربع حلمات على صدره، بعد وهلة من الضحك والخجل والقدر نهضت الفتاة ومدت يدها

لتمسك يد مبارك وسحبته نحو الماء وكانت ضحكاتهم تتعالى مثل الأطفال الصغار، مرحين.

كان مبارك مثل القط يخاف الماء، لا يجيد السباحة وهذا ما ظهر على وجهه ولاحظت ليندا ذلك، عندما كانا يتقدمان أكثر داخل الماء، كان مبارك يشرع فاهه وعلامات الخوف بادية على ملامحه لكنه أراد أن يخفي ذلك ولا يبديه أمام الفتاة حتى لا تقول عنه أنه كبير ولا يجيد السباحة.

ولما وصله الماء حد حلمتيه العلويتين وغرقت السفليتان، وقف على أصابع رجليه حتى يرفع نفسه أكثر ويقاوم رهاب الانغماس أكثر داخل الماء، لاحظت الفتاة ذلك، توقفت ونظرت نحوه بنصف ضحكة هلالية ارتسمت على وجهها:

ـ كبير وما يعرفش يعوم ههه.[35]

ـ لا كيف هذا لم أسبح منذ فترة لذلك أنا...

ـ لا تحاول خداعي فأنا بنت البحر وأعرف جيدا أن من يعرف السباحة مرة، لن ينساها لو بعد مئة عام.

ثم اقتربت منه وأمسكته من يده:

ـ هل تثق بي!

ـ لا.

ـ أنت أحمق.

ـ لا يهم.

---

[35]- كبير ولا يعرف السباحة.

ـ أووف، تعالى استلقي على ذراعي فقط.

أمسك مبارك الفتاة من كتفها وتمدد ببطء فوق ذراعيها لما رأى السماء فوقه شعر بالخوف والذعر لأنه أول مرة يرى ذلك المشهد، الغيوم مثل كرات الصوف والسماء صافية وتبدو بعيدة، ليست مثل المعتاد كأن الأرض قد توسعت والسماء بعدت وزاد ارتفاعها، أحس بيدها وهي تلمس ظهره السميك وأظافرها الطويلة، تدخل في جلده ببطء لذيذ.

ـ الآن ارتخي وحاول أن ترفع رجليك فوق الماء واجعل جسدك مثل اللوح. تنفس ببطء. هكذا لا تخف. الآن اترك كتفي، افتح ذراعيك، هكذا... جيد... والآن اجعل الماء يحملك، ثق بذلك، فهو قادر على فعل ذلك كما يحمل سفينة من طن يستطيع أن يحملك. هكذا، جيد... الآن أنا سأبعد يدا واحدة من تحت كتفك. يمكنك أن تغمض عينيك.

أغمض مبارك عينيه ببطء وشعر بأنه يطفو لأول مرة. جسده يطفو فوق الماء لكن روحه تطفو فوق الغيم بين أذرع الفتاة.

ولما كادت أن تبعد يدها الأخرى من تحت ظهره. غطى بعض الماء أذنيه ودخلت بعض القطرات لفمه. ليرجع مبارك لواقعه ويجد نفسه جثة ممددة كلوح يطفو فوق الماء. أراد أن يمسك الماء بيديه حتى يتمكن من النهوض. اختلت وضعيته وتمكن منه ثقل جسده. أصيب بنوبة هلع. حاولت أن تمسكه لكنه راح يتخبط مثل القط محاولا أن يقف على رجليه ويعدل وضعيته بسرعة. يرفس. ثم بيديه يمسك برقبة الفتاة بقوة. يستند عليها. يقف على أصابع قدميه في حالة خوف مثل طفل صغير رأى كابوسا مرعبا. بردة فعل لا إرادية عانقها وهو يرتجف عناق فتى صغير مفزوع لأمه. ضمها بقوة

حيث كاد أن يعصرها بين ذراعيه الخشنتين، هدأته وبدأت بمداعبة شعره والمسح بيدها الناعمة على مؤخرة رأسه، ثم همست في أذنه بصوت ملائكي ناعم، حيث أصبح مبارك بجثته الكبيرة بين أصابعها مثل طفل صغير لم يتجاوز العاشرة.

ـ ششت لا تخف. اهدأ اهدأ... أنت معي. أنت في أمان.

بدأت نوبة الهلع تخف تدريجيا وذراعاه ترتخيان ببطء حول ظهرها. عناقه يخف. وهي تسحبه ببطء نحو الشاطئ. ثم حين وصل الماء لمستوى خصر مبارك وصدر الفتاة، وقبل أن تختفي نوبة الهلع وتمحي من وجه مبارك، توقفت، قابلت مبارك ووضعت يدها على خده على مهل حيث تحسست لحيته الخفيفة المبللة.

ـ هل أنت بخير.

سعل مبارك سعلة خفيفة وعدل من وضعية وقوفه. وبدا أنه استعاد هدوءه:

ـ أنا أغرق.

ـ لا، لا كيف يمكنك الغرق في متر من الماء!

ـ أنا أغرق في عينيك.

ـ تغر...

لم تعرف الفتاة ماذا ترد وقبل أن تكمل جملتها.

ـ نعم أنا أغرق، لكن نحو الأعلى.

ابتسمت واحمرت وجنتاها ثم اقتربت من مبارك نصف خطوة تحت الماء.

ـ أنت لن تغرق لأنك تخاف من الموت.

ـ أنا الغريق فما خوفي من البلل.

ـ أنت تقتبس.
ـ لا أنا أتنفس
ـ إلى أي حد يمكنك الغرق؟
ـ إلى أي حد يمكنك حبس أنفاسك!
ـ دقيقة ونصف تقريبا.
ـ ماذا إن امتزجت أنفاسي بأنفاسك!
ـ إلى الأبد.
ـ هل أنت مستعدة للغرق نحو المجهول.
ـ ما رأيك أن نبحر نحو المجهول بدل أن نغرق!
ـ لا أجيد الإبحار ولا خبرة لي فيه أجيد الغرق!
ـ لا تخف عليّ فأنا أجيد السباحة جيدا.
ـ لكنك فاشلة في تعليمها.
ـ لا أنت البارع في الغرق.
ـ وكيف نستطيع النجاة في بحر دون شاطئ؟
ـ هل تعلم لم ألتق قبل بغريق يشتهي الغرق مثلك!
ـ كل البحار تغرقني نحو الأسفل إلا بحرك أراد أن يغرقني نحو الأعلى
ـ من أنت؟
ـ أعطني اسما يليق بكتابته فوق شاهد قبري حين أبحر فيك دون عودة.
ـ المسمار
ـ هل لأنه سهل الغرق!

ـ لا بل هو يصل بسهولة نحو القعر مهما كان عمق البحر، والبحر قد يحمل سفنا من أطنان لكنه لا يقوى على حمل مسمار.

ـ أنت لوحة الفنية لا تغرقين...

ـ لا أغرق حقا... لكني أغرز، وإن كان المسمار المغروز فيّ أثقل مني حينها سأغرق.

ـ اللوح يرفعنا في الهواء والمسمار يغرقنا نحو الأسفل. في كلتا الحالتين نحن في حالة غرق مهما اختلف الاتجاه.

ـ وماذا نسمي الغرق نحو الأعلى!

ـ تحغرق.

ـ من قال إن اللوح والمسمار قد يلتقيان في الغرق!

ـ ومن قال إننا نستطيع الغرق من دون ماء!

ـ كيف ذلك!

ـ هل أنت مستعدة للغرق دون عودة!

ـ جربني!

ـ من أنت؟

ـ أنا ليندا.

ـ وأنت؟

ثم وضع مبارك يده حول خصرها وسحبها نحوه، حتى التصق صدره بصدرها ووضع يده الأخرى حول رقبتها وعصرها برفق نحو صدره المشعر الواسع. بين العيون خمس سنتيمترات. أسطح الأنفاس تتلامس. ترقص. الوقت ينضغط. يتقلص. يتوقف. البحر يرتخي. الغيوم تتعانق. رمال الشاطئ تلمع.

الريح خفيفة تتمايل من نشوة المشهد. أسقطت دون عمد شعرات فوق جبهة ليندا. أزاحها السعيد ببطء. ثم اقترب أكثر وضع جبهته على جبهة ليندا. ليندا مثل اللوح الجامد لم تستطع التحرك.

النوارس تراقب المشهد، يخف صوت ارتطام الأمواج بصخور شاطئ "شينوة"، ترتفع الأنفاس وتتصالب الأرواح. تتوهج عينا مبارك وتظهران كجمرتين تتوقدان بعدما أحرقتا رماد شهيد. عينا ليندا مرج أخضر مغروس فوق حمم سائلة. تنبجس مع كل رفة من رموشها الطاووسية.

قرص الشمس يتدلى بينهما. شفاه ليندا كحبة خوخ مقسومة في المنتصف، ثم تلتحم الشفاه في لحظة بديعة تتجاوز الزمكان وتنفلت من قبضة التاريخ، تتراقص الأمواج، تزيد وتيرة الأنفاس وتصفق الأسماك بزعانفها بهجة، تستمر يد مبارك بالضغط على رقبة ليندا الطرية ببطء مثير. ليندا ترخي جسدها بين أحضان مبارك مستسلمة لمزيج ساحر من الخشونة والنعومة والصمت. عيناها مغلقتان، ثم تقف على أصابع قدميها حتى تتمكن من الوصول إلى وجه مبارك دون أن يخني كثيرا ويرتفعان نحو السطح ببطء. ليندا تفتح عينيها بتمهل. تنظر في وجه مبارك مباشرة للحظات. تطأطئ رأسها وتسحب يدها من يد مبارك، تخرج من الماء منزلقة من أصابع مبارك كسمكة نادرة ثم تحمل مظلتها وسلتها وتهرب مسرعة.

لم يفهم مبارك شيئا ولم يستطع حتى أن يخرج من الماء. وبقي مثل المسمار المغروز في الرمل.

يحدث أحيانا
أن أتأنّق في منتصف الليل
أصحبُني إلى شاطئ البحر
أنادي الغرقى
فيستعيدون عيونهم من جشع الماء
ويصرخون: من هناك؟
أجيبهم: غريق جديد فلا تنقذوه
يسلني كبيرهم: هل أحضرت عينيك معك؟
أجيب: لا
فيقول: أنت لا تصلح للغرق
أنت شاعر تمادى في التّزق

الشاعر أنور الخطيب

بعد أيام...

استمر مبارك بالبحث عن تلك الفتاة المجهولة التي لا يعرف عنها سوى اسمها وأنها تعمل خياطة وهي سباحة ماهرة.

بحث في كل المسابح القريبة. سأل عنها كل محلات الخياطة في المدينة وحتى خارجها. استمر بالبحث دون كلل ولم تترك له سوى مظلة رأسها، سأل عنها الخياطين في المدينة. حتى رأته عجوز ودلته على مكان خياطة هذه المظلات. دخل محل الخياطة المقصود. سأل عنها مدير المحل. أخبره أنها توقفت عن العمل هنا منذ مدة ولم نسمع عنها خبرا. وأنها كانت عاملة نشيطة تحب عملها وتتقنه أشد إتقان وهي خسارة كبيرة للمحل.

أراد مبارك أن يتأكد أنها هي المقصودة. ومتى آخر مرة سجلت حضورها ومتى بدأت العمل في المحل لذلك أخرج له صاحب المحل سجل العاملات وكانت الوحيدة المسجلة تحت اسم "ليندا عمروش" حينها تمكن مبارك من معرفة لقبها وتاريخ ميلادها. بدأ بجمع الخيوط حتى يتمكن من الوصول إليها.

كان يذهب كل يوم نحو شاطئ "شينوة" عساه يلتقيها مجددا وقد أخبر عنها كل من يعملون في الشاطئ ووصفها لهم وأوصى الصيادين عليها وعلى أن يعلموه إن هم شاهدوا فتاة بهذه المواصفات، ثم بعد أسبوع وبعدما فقد الأمل. كان على واجهة البحر يتأمل البحر ويتخيل صورة خيالها وهي تناديه من بعيد. أضحى يراها في كل مكان. شمّر على ساقيه ودخل الماء. تقدم للأمام ببطء حتى وصله الماء إلى رقبته ثم إلى لحيته ثم غمر نفسه في الماء محاولا الغرق. لكن غريزة البقاء قاومت محاولة إغراقه لنفسه وراح يدفع نفسه نحو السطح كلما حاول الغرق والنزول إلى الأسفل وخشي أن يتعذب أكثر قبل

أن يموت، لذلك قرر الانسحاب وعاد للشاطئ وفي رأسه فكرة مضيئة. بحث بين حجارة الشاطئ فوجد خيط شباك طويل حزمه بصخرتين كبيرتين ووقف على حافة الروشي. ربط خيط الشباك في رجله اليسرى وحرص على ربطه بإحكام حتى يسحبه نحو الأسفل ولا يتمكن من الخروج. أغمض عينيه وقفز في الهواء وبين يديه الصخرتين. نزل بقوة نحو الأسفل وراح يلفظ أنفاسه وروحه... يغرق.

بعدها استيقظ مبارك ليجد نفسه ممددا على الشاطئ وجمع غفير من الناس يلتفون حوله. سعل بقوة ثم شد رأسه ونظر هنا وهناك. سأل أقرب رجل منه وكان عجوزا بلحية طويلة هيئته تنم على أنه أحد الصيادين.

ـ ماذا حدث!

ـ الحمد لله على سلامتك.

ـ كيف نجوت!

ـ الشكر لتلك الفتاة المسكينة. كنت في الزورق هناك في جانب الشاطئ حتى رأيتك ترمي نفسك من الروشي. ولم أكن أعلم أنك لا تجيد السباحة ولا أنك تحاول الانتحار!

ـ فتاة!

ـ نعم أنقذتك بقدرة قادر. وصارعت الموت لتخرجك، ولحسن الحظ أنها كانت سباحة ماهرة تجيد حبس أنفاسها ولو لم أتدخل في الوقت المناسب لكنت من الهالكين أنت وهي. جئت في آخر المطاف لأتمكن من مساعدتها على إخراجك للشاطئ بعدما تمكنت من فك الشباك التي كنت قد ربطتها على رجلك.

ـ لكن كيف رأتني حين رميت نفسي؟

رد الصياد:

ـ يبدو أنها كانت قريبة منك واحتمال كبير أنها كانت تراقبك من بعيد، لأن تدخلها كان سريعا.

تمتم مبارك:

ـ تراقبني من بعيد وأنا أبحث عنها في كل مكان.

ـ ماذا قلت؟

ـ أين هي؟

ـ لقد رحلت بعدما أخرجتك إلى الشاطئ وتأكدت أنك لا تزال حيا وتتنفس. قبل أن أعرف من هي غادرت مسرعة.

ـ كيف شكلها هل يمكنك أن تصفها لي!

ـ هي شقراء. طويلة الشعر لها مشية غريبة لاحظتها حين كانت تهم مسرعة بالمغادرة وكل ما قالته لي. اعتن به.

ـ اعتن بي!

ـ نعم!

ـ متى غادرت!

ـ ساعة تقريبا وأنت غائب عن الوعي...

ثم ضرب مبارك يده في الرمل ونهض مسرعا باحثا عنها في كل حدب وصوب دون كلل وملل بحث لأشهر وأشهر ولم يتعب. ولم يفقد الأمل في أن يلتقي ليندا مجددا. وأثناء ذلك كان يقوم بجمع كل فردة حذاء جديدة من القدم اليسرى المقطوعة لأخيه حسين. لا يرميها برغم أن حسين لا

ينتعلها كان يجمعها ويربط خيوط فردات الأحذية ببعضها ويدسها. وكلما يسأله حسين لماذا يقوم بجمعها لا يجيبه مبارك أو يكتفي برد مختصر قائلا.

ـ ليومها.

وبعد عام تقريبا عثر مبارك على بيت ليندا، قبل عيد ميلادها بخمسة أيام. وقد كان مبارك يعلم أنه سيحين ذلك اليوم لذلك حضّر لها هديتها قبل عام، وفي يوم عيد ميلاها وضع مبارك الهدية عند باباها، قرع الجرس واندس خلف سور حديقتها يراقب المشهد عن كثب.

فتحت ليندا الباب وجدت علبة هدية كبيرة مكتوب على سطحها:

من المسمار

فتحت الهدية ببطء. لتفاجأ بمجموعة أحذية من فردة قدم يسرى تعود لأحذية مختلفة، ربطها مبارك لتكون على شكل باقة ورود تتدلى من أطرافها خيوط الأحذية. مدت يدها الأخرى داخل العلبة وأخرجت ملمع أحذية حوله ربطة شريط هدايا.

وإذ هي متعجبة من تلك الهدية بين الابتسامة والحيرة والدمعة، ظهر مبارك من خلف سور حديقتها وتقدم نحوها ببطء. اندهشت ليندا لما رأته وانزلقت على خدها دمعة باردة:

أمسك مبارك باقة ~~الورود~~ الأحذية وقدمها إلى ليندة، أمسكتها متعجبة تتفحصها.

قال مبارك:

ـ لقد أفرغت عليها علبتين من العطر، حرصت على أن تكون رائحتها مقبولة. يمكنك شمها لا تخافي.

ضحكت ليندا وقربتها من أنفها لتشمها.

سأل مبارك:

ـ ماذا... هل أعجبتك الرائحة!

هزت برأسها والدموع تغرغر عينها:

ـ منذ آخر لقاء جمعنا وأنا أحتفظ بكل حذاء أحصل عليه فقط من أجل هذه اللحظة.

واحمرت وجنتا ليندة خجلا ونطقت بكلمات متقطعة:

ـ لكن كيف؟ لماذا! أين عثرت عليها! كيف جمعتها؟

ـ هي بعض من فردات أحذيتي وهي لا تناسب مقاس رجلي اليسرى

ـ ماذا تقصد؟

رد مبارك:

ـ حسنا سأخبرك... لكن إياك أن تضحكي.

هزت برأسها تمسح الدموع من عينيها.

اقترب مبارك من ليندا ببطء وقال:

ـ قدمي اليمنى أكبر من قدمي اليسرى بقياسين. قدمي اليسرى بمقاس قدمك اليمنى. مقاس 38 وقدمي اليسرى 41 كنت أشتري أحذية مقاس قدمي اليمنى.

عقدت ليندا حاجبيها وردت مستغربة:

ـ وماذا تلبس في اليسرى!

ـ الأحذية التي لا يلبسها حسين أخي، فقدمه اليسرى مقطوعة لذلك كنت أجمعها من أجلك، وحرصت على أن تكون كل الأحذية رياضية

حيث يمكن أن يلبسها الذكور والإناث معا وتشبه تقريبا تلك التي تخيطينها أنت.

ليندا مندهشة:

ـ هل فعلت كل هذا من أجلي؟

هز مبارك برأسه واستمر في النظر في عيني ليندا بنظرات طفولية مليئة بالبريق:

ـ لكن لماذا لم تخبرني في ذلك اليوم بأن قدميك ليستا من نفس المقاس؟

صمت مبارك قليلا، تنهد، ثم رد بكلمات شبه متقطعة:

ـ كن. . ت سأخبر... ك لكن أنا....

ـ لماذا فعلت هذا من أجلي!

ـ وفعلت أكثر.

صمتت ليندا لبرهة ثم سألت مبارك:

ـ ومتى اكتشفت هذا الفارق بين قدميك!

ـ قبل أن ألتقيك بأسبوع.

ـ حقا!... كيف حدث ذلك؟

مبارك وهو يتراجع خطوة للخلف:

ـ هل يمكنني أن أدعوك على قهوة وأحكي لك الأمر فهي قصة طويلة!

ـ حسنا.. اذهب الآن ونلتقي في المساء على الخامسة في مقهى الورود غير بعيد من هنا. لاقني هناك حسنا!

ثم أخذت ليندا حزمة الأحذية وأغلقت الباب ودخلت مسرعة.

***

بعدها اتجه مبارك نحو المقهى الذي ذكرته له ليندا، قعد على طاولة مستديرة قرب نافذة مطلة على الشارع الرئيس. بجانبه مزهرية من الورد في فراغ النافذة، مقهى الورود يقع قرب محطة للبنزين حيث معظم الجالسين فيه لا يعرفون بعضهم غرباء في أغلب الأحيان تلاقيهم استراحة الطريق والسفر الطويل. لم يتساءل لماذا دعته ليندا إلى هذا المقهى تحديدا وشغل باله بالتفكير في آخر لقاء جمعهما. وغمرته فرحة انتظار لقائها. على الطاولة، علبة سيجارة، جريدة قديمة...

***

ـ كنت أحسب أن لي قدمين عاديتين. لم أكن أدرك أن لي قدما أكبر من قدم حيث أني كنت دائما أشعر بألم غريب في قدمي حين أرتدي الحذاء. لذلك معظم الوقت كنت ألبس نعلا بلاستيكيا وذلك ما كان يجعلني مرتاحا أكثر، وقد أسميت حذائي ذاك "المرخي" لا تستغربي من الأمر يا عزيزتي. فمثلما يطلق الناس ألقابا وأسماء على حيواناتهم الأليفة، قررت أن أعطي حذائي لقبا يليق بمقامه، أنا أحترم حذائي كثيرا يا ليندا، وأقدره أكثر من بعض البشر، "المرخي" صبر معي مدة عشرة أعوام، تمكن فيها من التناسق مع شكل قدميّ غير المتساوِي وكان الحاج قدور يرقعه من أجلي كلما تمزق جزء منه أو أصيب بثقب ما، وحين مات الحاج قدور (ثم صمت مبارك لوهلة، تنهد حسرات ورجع ليكمل حديثه). لا لا لم يمت بل قتلته أنا الوغد الحقير العاق المعاق...

قاطعته ليندا:

ـ تمهل. تمهل. ماذا تقصد بقتلته!

"من يدخلُ مدينة الحب إما يعودُ طفلًا يحب كل الأشياء، وإمّا يخرج منها
مسنا لا يدرك إلى أيّ منفى ينتمي".

الحادثة

يرن المنبه بجانب السرير مشيرا إلى السادسة صباحا. من تحت الملاءة تظهر أربعة أقدام وفي الزاوية قرب المطبخ يُسمع صوت مرش قادم من الحمام، الشمس تتثاءب بحب وتتكاسل على عمارة حي القرمود.

ـ هيا انهض يا مبارك لا نملك وقتا!

يخرج الحسين من الحمام وفوق رأسه منشفة، يسارع لغرفته ويلبس بذلته الرياضية وقبل أن يكمل لبس حذائه الرياضي يهز أخاه "مبارك" الذي غلبه النعاس فلا ينهض. فيسحب منه الحاج قدور الملاءة الدافئة فيستيقظ كحلزون سمين ويدفعه للنهوض من السرير.

ـ هيا يا مبارك اسبقنا وشغل محرك السيارة. أنت تعلم أنها مباراة مصيرية بالنسبة لأخيك الحسين.

ـ أووه حسنا. حسنا.

لبس مبارك ما وجده معلقا على الباب وبعينين شبه نائمتين، من دون أن يشعر أدخل قدمه اليسرى في فردة حذاء أخيه الحسين وقدمه اليمنى في فردة حذائه. ثم بعدما تخطى عتبة الباب ببضع خطوات شعر كأن شيئا غريبا طرأ على مشيته إذ أنه اليوم كغير عادته هو يحس أنه يمشي مرتاحا وبطلاقة ليتوقف عند أول درجة من السلم. نظر نحو قدميه فوجد أنه يلبس فردتين مختلفتين، رجع إلى المنزل وسأل الحسين الذي وجده وهو يلبس جواربه الطويلة ويدخل حذاءه الرياضي في رجله فسأله:

ـ هل يمكنني أن أستعير منك حذاءك اليوم بما أنك لن تلبسه؟

ـ طبعا يمكنك أن تلبس الفردة الأخرى.

يرد مبارك:

ـ لم أجدها عند الباب. لا هي ولا فردة حذائي الأخرى.

ـ غريب...لا يهم، على كل حال هيا أسرع المهم اسحب أي شيء في قدميك نحن لا نملك وقتا.

ـ حسنا أردت فقط أن أخبرك أن الاختلاف بين لون الفردتين ليس ظاهرا وإضافة إلى هذا أنا أشعر أني مرتاح حين لبست فردتك اليسرى في رجلي لأنه عادة ما تؤلمني وأظن أن مقاس قدمك أكبر من قدمي. لكن العجب أن قدمي اليسرى تناسبت تماما مع مقاس قدمك اليسرى رغم أنها مقاس 39 وقدمك 41

ـ أووه ماذا تقول يا مبارك، أسرع هيا دعني أغلق الباب والبس فقط. يبدو أنك أكثرت البارحة من الحشيش.

ـ لا لا. صدقني أني أدرك ما أقوله لك لم أشعر أني مرتاح هكذا في مشيتي مثلما أشعر الآن.

ـ ربما يكون خطأ من مصنع الأحذية فقط فهذا وارد في هذه الأحذية الصينية المقلدة.

ـ لا لا. أنا لا أظن ذلك فلو لم يكن الحذاءان من نفس الشركة، ربما أشك في ذلك لكن كلاهما من تصنيع شركة ـNikeـ.

ثم سمعا الأب وهو ينادي عند السيارة في انتظارهما في أسفل العمارة.

رد الحسين وهو يسحب ذراع مبارك لينزلا السلالم بسرعة:

ـ هيا بنا سنتحدث في هذا لاحقا، الآن علينا الإسراع حتى نصل قبل المباراة بنصف ساعة.

أدار مبارك محرك السيارة وخلال ذلك شعر أنه خفيف في تحكمه بالدواسات. راح يتجاوز السيارات ويحاول اختصار الطرقات من أجل أن يصل في أقل وقت ممكن.

ثم فجأة في مفترق طرق بعد شارعين، بلغوا إشارة المرور تظهر اللون الأحمر. وبدل أن يضغط مبارك بقدمه اليسرى على الفرامل، خالف بين قدميه وضغط على دواسة الوقود ليتجاوز إشارة الوقوف. عن غير قصد، أدار عجلة القيادة بسرعة من أجل أن يتفادى شاحنة الخضار التي تقطع الطريق أمامه بسرعة ثم.... بوووووووووووووووم. تنقلب السيارة وتضرب في الجانب الأيسر أين يجلس الحاج قدور. وينغرز زجاج مقدمة السيارة المكسور مباشرة في رأس الحاج قدور، ويطير الكرسي راجعا نحو الخلف. ينضغط على رجلي الحسين الجالس في المقعد الخلفي وتقلب شاحنة الخضار لتضرب في عمود إنارة بقوة شديدة حيث يكسر منها كل زجاج المقدمة وتقلب على رأسها، والدخان يتصاعد من محركها فيظهر خارجا منها رجل أسمر تسيح الدماء من رأسه. يزحف نحو الرصيف. الزجاج مغروز في رأس الحاج قدور ليبدو رأسه مثل حبة شمندر أحمر مملوءة بشظايا الزجاج المكسور. الحسين يصرخ مبحوحا في الخلف يحاول إرجاع الكرسي الأمامي الذي يضغط بقوة على رجله اليمنى العالقة تحته. ذراع مبارك تنزف وكتفه مدماة. بعد لحظات يفقد الوعي. الدخان يتصاعد من السيارة. الدماء تسيل على الطريق الإسفلتي. يتهافت الناس وسط الشارع. صوت سيارة إسعاف

يقترب، عجلات السيارة المقلوبة على جنبها تتوقف عن الدوران. ثم صوت منشار حديدي يحاول قطع الباب الخلفي للحسين الذي لم يفقد الوعي بعد. وبقي عالقا يتدلى من ساقه اليمنى المضغوطة بالمقعد الخلفي للحاج قدور الذي يخرج الدم من فمه ووجهه شبه مشوه من شظايا الزجاج. يضع رجل الحماية المدنية قناع أوكسجين على وجه مبارك ويجره نحوه سيارة الإسعاف على وجه السرعة. الحسين يفقد الوعي من شدة الألم. ليتدخل رجل إسعاف آخر ضخم الجثة قوي البنية ويقتحم جسد السيارة، يمسك الحسين من كتفيه ويشده بقوة نحو الخارج، حيث كان عليه أن يلوي رجله من أجل أن ينقذ حياته. تمكن من إخراجه بأعجوبة، ثم بعد أن أبعده عن السيارة بثوان انفجرت شاحنة الخضار المقلوبة ولحسن الحظ تمكن رجال الحماية المدنية من إسعاف السائق داخلها بعدما تلقى ضربة قوية في قفا رأسه أفقدته بصره بعد العملية. مات الحاج قدور داخل السيارة قبل أن يصل رجال الإسعاف وبترت رجل الحسين اليمنى ونجا مبارك بضربة قوية في عظم ركبته اليمنى وجروح خفيفة على مستوى الرقبة.

***

ـ وهكذا يا ليندا كنت سببا في موت أبي. نعم أقول لك أبي. نعم قد كان الحاج قدور، أعظم رجل عرفته في حياتي وأجزم أني لو لقيت أبي الحقيقي البيولوجي لما عاملني وعلمني ورباني مثلما فعل الله يرحمه ويحرقني في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة بسبب فعلتي.

ترد ليندا محاولة التخفيف من تأنيب مبارك لنفسه:

ـ لكن لم تكن بيدك حيلة وكان مجرد حادث وهذا وارد إنها سنة الحياة.

ـ آه يا ليندا لو تعرفين هذا الذي تقولين عنه أنه مجرد حادث كم غير حياتي!

ـ ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

ـ بعدما خرجت من المستشفى أدركت أن لي قدمين مختلفتين وليتني لم أدرك هذا ومت قبلا في تلك الحادثة.

ـ لماذا؟ لا لا تقل هذا بعيد الشر عليك.

ـ أنا هو الشر يا ليندا، قد تمنيت الموت على أن أعيش حياتي ميتا على قيد الحياة، هل تدركين معنى أن يموت فيك كل شيء وتبقين على قيد العذاب؟

ـ على قيد العذاب!

ـ نعم عذاب، عذاب أن يمر كل يوم في حياتي وأنا أسمع صوت الحسين يرن صداه داخل رأسي وهو يصرخ طالبا النجدة في المقعد الخلفي. هذا ما سبب لي أرقا باردا وكوابيس سريالية، كلاب تطاردني وأفاعي ذات أجنحة وأحذية ذات أسنان ومخالب. أرى أشياءً عجيبة كلما وضعت رأسي على الوسادة، لم أستطع أن أحتمل كل هذا يا ليندا أنا متعب مني ولا أحد يشعر بما أمر به كل يوم قد أبدو لك رجلا هادئا لكني مليء بالأعاصير والزوابع والصراخ والزجاج المكسور والمقابر.

ردت ليندا بنبرة هادئة وهي تمسك يد مبارك وتضغط عليه بحنان وقالت:

ـ أنا أفهمك، أفهمك جيدا.

ـ تفهمينني! (قالها مبارك مضطربا بعدما وضعت ليندا يدها فوق يده)

ـ نعم أفهمك لأني أعرف أن تلك الحادثة لم تلحق بك ضررا جسديا وكل الضرر رجع لك ألما نفسيا.

ـ ألما... ألما... قولي خرابا. دمارا. حقا لم أمت جسديا لكني مت نفسيا وروحيا. فقدت طعم كل شيء أراه أمامي ولم أحسب أني سأعيش مجددا حتى...

ثم صمت مبارك لبرهة وأحكم أصابعه ببطء داخل أصابع ليندة التي واصلت النظر في عيني مبارك اللتان تظهران نظرات البراءة والشفقة وقالت:

ـ حتى ماذا!

ـ حتى قابلتك في ذلك اليوم السعيد الذي لن أنساه ما حييت منذ ذلك اليوم شعرت أن الألوان ترجع لعالمي، حينها فقط أحسست أن قلبي يريد الحياة من جديد وحين كنت واقفة أمامي والبحر ثالثنا كأنك صعقة روحية في يد طبيب يحمل تلك الصفائح المعدنية من أجل إنعاش مريض على وشك الموت. أنت صعقة الإنعاش التي أعادت لي الحياة بعدما شعرت أن قلبي لن ينبض مجددا وكلما ابتعدت عني فقدت نبضي. (وفي تلك اللحظة ضغط مبارك على يد ليندا بقوة أكثر وظهر أن ليندا غارقة في كلام مبارك) حقا عندما أراك أشعر أني لي قلبا. وكم كنت أنتظر هذا اللقاء... هات يدك هنا بالضبط هل تشعرين به وهو ينبض (سحب يد ليندا نحو صدره ووضعها على قلبه، وأغمض مبارك عينيه يستشعر نبضه ويستنشق الهواء والحياة). يحدث هذا فقط وأنت بقربي ولا أعرف إن أنت ابتعدت عني مجددا ماذا سيحدث لي صدقيني أنت هي الحياة بالنسبة لي وأنت مثلها في كل شيء، أنا أجهلك مثلما أجهل الحياة وحين تكونين حاضرة أعيشك بكل تفاصيلك الصغيرة

وأشعر بالروح وهي تسري في عروقي وأنت بداخلي تنثرين الحب والبهجة، وهذا يكفي رجلا بسيطا معدوما مثلي.

ثم ساد صمت مبارك لبرهة وكانت الشمس تظهر من النافذة كصفار بيضة تكسر على طاولة البحر الهادئ. والشموع في المحل تضفي إنارة خفيفة تبعث جوا حميميا دافئا ورائحة العنبر ممتزجة برائحة أعشاب البحر والرطوبة تعبق المكان وتعطي له عمقا بديعا، على طاولة في زاوية قريبة من طاولة مبارك وليندا، كان هناك رجل وامرأة يبدوان في الستينيات من العمر، يضحك العجوز ويسقط منه طقم أسنانه على الطاولة تمسكه العجوزة وترجعه داخل فمه وتنظر هنا وهناك متأكدة من أنه لا أحد لاحظ تلك اللقطة، ثم تضرب العجوز زوجها على كتفه ويواصلان الضحك والعجوز يضغط على العكازة ذات القبضة الخيزرانية في يده مشيرا بحركة من رأسه أنه سيخدعها بضربة إن أعادت ضربه على كتفه، وترتفع الضحكات في تلك الزاوية. أرضية المقهى كانت من الخشب تصدر صوتا مميزا عندما كان رواد المقهى يتحركون فوقها. بجانب الكونتوار قط أبيض يمسك سمكة ويهرب مسرعا من المحل، النوارس عند منارة الميناء تزيد إيقاع سنفونية المكان بديعا ورونقا، والشمعة ترقص بين أنفاس مبارك وليندا، الصمت معجون بين نظراتها التي تريد أن تقول كل شيء دفعة واحدة. يدخل رجل أعور يعانق كلارينات في يده ويعزف داخلا المحل يمشي بخطوات سكير. صوته رغم خشونته إلا أنه رنان ومطرب:

"خليتيني نجري موراك

أنا عشقتك واش بلاني

أنا عشقتك قلبي بغاك
شحال قاصيت وتعذبت
سوفريت وحداني
أنا عمري ما ظنيت هذا الشي يصرا فيا
كويتي قلبي ميتين كيا"

ثم تسحب ليندا يدها ببطء وتكسر الصمت:

ـ اسمع أنا أتفهمك وأتفهم مشاعرك اتجاهي لكني لا أستطيع أنا آسفة رد مبارك بلهجة خافتة وهو يبلع ريقه متفاجئا مما قالته ليندا لتوها:

ـ كيف لا تستطيعين لماذا!

ـ حين التقيتك أول مرة أدركت كم الألم الذي تحمله داخلك. ورغم هذا قد أحببتك من أول لقاء جمع بيننا. وتلك اللحظة لم تغادر تفكيري أنا أيضا.

ـ لكن لماذا رحلت؟ لماذا تركتني؟

ـ الحب الحقيقي يا مبارك هو أن تترك الشيء الذي تحبه رغم تعلقك به لأنك تعرف أنك ستضره وأحيانا تكون الوسيلة الوحيدة لنؤلم شخصا هي بأن نحبه فقط، لذلك يا مبارك لم أرد أن أشعل شمعة كانت ستحرقني وتحرقك معي وتحرق آخرين.

ـ آخرين!

ـ نعم آخرين... وحتى يطمئن قلبك في حبي، اعلم أنه رغم جنونك ورغم أنك لا تصلح لشيء سوى الثرثرة ورغم أنك عاطل عن العمل وعن الحياة ورغم أنك مريض نفسي أنا أحبك بكل ما فيك من تناقضات وظلمة.

ـ أين المشكلة إذن؟

ـ الآخرون هم...

ـ من هم؟

ثم صمتت ليندا وتغرغرت عيناها بالدموع:

مال نحوها مبارك بشغف طفل صغير ينتظر الإجابة وراح يهزها من كتفها لتتحدث:

ـ تكلمي... قولي شيئا!

تنهدت ليندا. مسحت دموعها وقالت:

ـ أنا متزوجة.

رد مبارك بنبرة مندهشة:

ـ متزوجة!

ـ نعم، لذلك لم أستطع أن أرجع لك. لكن ورغم هذا كنت كل يوم أنزل للشاطئ أراقبك من بعيد وأنت تبحث عني. كنت أتحطم وأنا أراك من بعيد تبحث عني مثل المجنون ولم يكن باستطاعتي فعل شيء. حتى ذات يوم تفاجأت بك وأنت تقفز من صخور الشاطئ تريد الانتحار. حينها حقا تأكدت من أنك تحبني. فلم أفكر كثيرا وقفزت وراءك لأنقذك فأنت يا مبارك رجل يستحق الحياة رغم الظلام الذي يملؤك ورغم سخطك وكرهك للحياة.

ـ أنا أستحقك أنت فقط يا ليندا... أنت الحياة وبعدك كله ممات.

ـ يا مبارك أنا لا أستطيع. زوجي يحبني وأنا أحترم حبه لي وأقدره. لا أستطيع أن أخونه أكثر مما فعلت بحبي لك. فكل يوم كنت أراقبك وأنت تبحث عني في الشاطئ، كنت أشعر بتأنيب ضمير وغصة في حلقي. الله يغفر لي وينسيني فيك وينسيك في. فلا أنا لك ولا أنت لي. وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

ـ لا سفن لي بعدك ولا مرفأ ولا ميناء. فأنت البحر وأنت النجاة وأنت الغرق.

ثم سحبت ليندا يديها من فوق الطاولة وقالت بنبرة يسودها الحزن:

ـ وداعا يا مبارك وداعا.

ونهضت من الكرسي والدموع تملأ عينيها. تحبسها خشية أن تنفجر وتجهش بالنحيب أمام مبارك.

يتوقف ضحك العجوزين في الزاوية، تذوب الشمعة، تكاد تصل لحصرها. ينصرف الرجل الأعور صاحب الكلارينت خارجا من المحل بعدما أخذ بقشيشا من العجوز وزوجته وهو يغني بصوت هادئ:

تقول ما عرفتك أنا ما عرفتيني
قاع ذيك لمحبة آي ما تستهلياش
زوج خطوات بينك وبيني
كلي حتى حاجة ما صرات ها لعمر
تقول ما عرفتك أنا ما عرفتني
تقول ما عرفتك أنا ما
تقول ما عرفتك

تقول ما
تقول
تق
ت
.

***

صرير خشب الأرضية يبتعد، تسقط دمعة. يموء القط بسبب السمكة. تنطفئ الشمعة وتسقط الشمس داخل الكأس في يد مبارك.

رابط أغنية خليتيني نجري موراك للفنان الجزائري محمد لعموري:
https://youtube/9n6qZsutMAc

الموت فن ككل شيء آخر وإني أتقنه تماما.
-سيلفيا بلاث-

ثم خرج مبارك إلى الشرفة وجد أن العصفور قد مات داخل القفص وجثته تعفنت، فتح القفص، أخرج العصفور ورماه من الشرفة وراقبه كيف يرتطم على الأرض. تنهد بعمق. ثم نزع رجله البلاستيكية ورماها خلفه. فتح ذراعيه كجناحي عصفور ورمى نفسه في الهواء من شرفة الطابق الخامس.

Happy diethday

الساعة تشير إلى الرابعة وعشر دقائق مساءً. حبات المطر تتراقص على قطع القرمود الحمراء التي تعمعم عمارات "حي القرمود"، السماء متبرجة بسحنة رمادية فاتحة، أبواق السيارات ترتفع والزحام يزداد، ومبارك يدفع الكرسي المتحرك قاطعا الطريق، وفي طريقه إلى المنزل يلاحظ حشدا من الناس ماشين باتجاهه. يحملون لافتات وشعارات والعلم الوطني يرفرف من بعيد وسطهم، تخفف السيارات من حركة سيرها، حتى تسمح للرجل الذي يدفع كرسيا متحركا بالعبور_ لأن له أولية_ ولم يزعجهم الأمر بتاتا، لذلك استغل مبارك ذلك الموقف الاجتماعي، وراح يمشي متثاقلا قاطعا الطريق على مهل ثم سأل الحسين، بعدما توقف في منتصف الطريق وقد عبر بجنبه طفل صغير أسمر نحيل يرتدي سروالا قصيرا أصفر ممزقا على ركبتيه وعلى وجنتيه طلاء ألوان العلم الوطني الأحمر والأبيض والأخضر هاتفا بصوت خافت كأن الفتى لم يلاحظ بعد من شدة تحمسه واندفاعه أنه سبق الحشود وراءه أو أنه تسرب منها:

_ يتنحاو ڤاع.

_ يتنحاو ڤاع.

يسأل مبارك الحسين وهو يواصل قطع الطريق بتراخي:

_ ماذا هناك؟

رد الحسين:

_ "الحراك" كل جمعة! ما الجديد في الأمر؟

ـ أعلم أنه الحراك، لكن الغريب أنه من غير العادة أن يحضر المسيرة كل هؤلاء... إنهم يزدادون يوما بعد.

ثم يعبر أمامهم مجموعة من الشباب يحملون رايات ولافتات كبيرة يهتفون بصوت واحد ينتظر مبارك عبورهم حتى يتمكن من دخول باب العمارة:

اوه اوه اوه اوه

فبلادي ظلموني

اوه اوه اوه اوه

لمن نشكي حالي

اوه اوه اوه اوه

الشكوى للرب العالي

اوه اوه اوه اوه

غير هو اللي داري

فهاد البلاد عايشين فغمامة

طالبين السلامة

نصرنا يا مولانا.

يسأل مبارك:

ـ ما كل هذا؟

ـ هل أنت لا تعيش معنا أم ماذا؟ اليوم ذكرى مرور عام على الحراك المبارك.

ـ آاا هل أطلقتم عليه أيضا صفة مبارك. ههه

ـ ما المضحك في الأمر؟

ـ لا لا شيء، فقط أنا أرى أن كل شيء يطلقون عليه هذه الصفة، يفسد وتستغله الدولة والسياسة وتغلفه بحجة الدين للوصول إلى مآرب شخصية فاسدة وذات مصلحة مستهدفة.

يسأل حسين:

ـ لماذا أنت متشائم هكذا يا مبارك؟

ـ لا، لست متشائما أنا فقط شخص واقعي جدا. ومجرد ولادتك في هذه الرقعة من العالم سبب كاف للتشاؤم والنحيب أيضا، حتى حين تضحك هنا في تلك اللحظة تضحك خائفا لأنك تعلم أن هذا الضحك لن يخرجك على خير.

ـ أخبرني إذن هل أنت مع الحراك أم ضده؟

يرد مبارك:

ـ أنا مع التوقف!

ـ ماذا تقصد بالتوقف؟

ـ التوقف عن الوجود، ألا نكون في الوجود بعد الآن. لا حراك ولا سياسة ولا أغبياء يحسبون أنهم وجدوا الحل لمنظومة فاسدة استمرت لستين عاما أو سبعين. لا حروب ولا ألم ولا إنجاب المزيد من البؤس والشقاء للعالم. فقد حان الوقت لنخنق أنفسنا ونصعد دفعة واحدة إلى ربنا ونترك الأرض بسلام نحن خراء على كل حال.

ـ وهل نستطيع أن نفعل ذلك؟

ـ هل تستطيع أن تمنع نفسك من الخراء؟

ـ ما كل هذا القرف يا مبارك هل أكلت ضفدعا؟

ـ أحيانا على المرء أن يبلع ضفدعا حتى لا يحس بمرارة هذا المجتمع القذر.

ـ على كل حال من أنت لتمنع عن الناس الحياة!

ـ لا أحد يمكنه أن يمنعك من أن تحيا لأنه لا أحد بإمكانه أن يمنعك من التفكير! نفس الشيء ما دام الإنسان يفكر. فهو حتما سيستمر في التكاثر لأن أغلب ما يفكر فيه الإنسان في معظم الأحيان هو الجنس. فحتى تفعل ذلك هناك طريقتين:

ـ وما هما؟

ـ الأولى إما تبتكر شيئا، حقنة، مخدر، عشبة، شيئا يسقط مع المطر شيئا يجعل كل الناس في العالم مجانين.

ـ والثانية؟

ـ الثانية مثلما أخبرتك من قبل، هي أن نصعد إلى ربنا دفعة واحدة وهذه الطريقة أصعب من الطريقة الأولى، أن تقنع كل الناس على الانتحار دفعة واحدة ليس سهلا.

ـ في الطريقة الأولى قلت إنه علينا أن نتحول كلنا إلى مجانين فهل المجانين لا يفكرون!

ـ نعم.

رد الحسين بنبرة ساخرة:

ـ لا أعتقد ذلك وأنت أكبر مثال على هذا.

ـ أصمت. أصمت وساعدني حتى أحملك فوق ظهري، تشبث جيدا في كتفي فالمصعد معطل.

ـ أووه لقد زاد وزنك يا صديقي ماذا تأكل!

ـ هل تريد أن أغني لك مثلما كان نفعل أيام زمان، ونحن نصطاد الحمام فوق القرمود في السقف. هل تذكر كيف كنا نفعل ذلك، كنا ننصب له صناديق فارغة نسندها على عمود خشبي صغير يرفع حافة مقدمة الصندوق، العمود مربوط بخيط طويل لنشده حين تدخل الحمامة وهكذا نقوم بإمساكها، هل تذكر كم كنا ننتظر من الوقت حتى تدخل حمامة تحت الصندوق لنشد الخيط، آه وتلك الأغنية التي كنا نكررها كي نقضي على ملل الانتظار، هل ما زلت تذكرها يا خويا!

ـ تلك التي كان يغنيها لنا أبي ربي يرحمه كل يوم قبل أن ننام.

ـ نعم

ـ دودحة يا دودحة.

وبدأ مبارك بالغناء بصوت متقطع وهو يلهث صاعدا السلم يحمل الحسين فوق ظهره:

ـ دودحة باباها... هيا غنِ معي.

ثم أكمل الحسين برفقة مبارك بصوت هادئ والدموع في عيني مبارك ـلا يراها الحسينـ وهو يسترجع ذكريات تلك الأيام الجميلة حين كان الحاج قدور حيا.

دودحة باباها. جا يصلي بيها... طاح في البسينة

البسينة مسوسة... مسوسة... بنت علي موسى

أعطني شعرة من راسك.

نرقع صباطي

صباطي عند القاضي
والقاضي ما هو راضي
صبحت مرتو غضبانة على الشحمة والعصبانة
تاكلوها يا وليداتي بالصحة والهنا...
دودحة يا دودحة...

ثم بعدما كررا المقطع لثلاث مرات بلغا باب بيتهما. يدلفان إلى الداخل ويمدد مبارك الحسين فوق سريره، يلتقط أنفاسه من صعوده السلم إلى الطابق الخامس.

ثم بعد وهلة تكلم الحسين بنبرة حزينة:

ـإلى متى أبقى أتعبك معي هكذا يا أخي؟ إلى متى!

رد مبارك مبتسما ابتسامة باردة.

ـ إلى اليوم.

استغرب الحسين من رد مبارك لكنه حاول إكمال ما كان يريد أن يقوله لمبارك.

ـ نعم نعم. أنت محق لن أخرج معك مجددا. وشكرا لك لأننا لم نقضِ وقتا ممتعا مثل هذا منذ مدة.

ـ أنت محق. وقد حضرت لك مفاجأة بالمناسبة.

ـ مفاجأة!

ـ نعم.

ـ يا ترى ما هذه المفاجأة؟ لا تخبرني أنها ضفدع مثل المرة الأخيرة أو قط ميت، أعلم مفاجأة المفاجأة.

ـ لا تخف، هذه المرة أحضرت لك شيئا سيعجبك، انتظر هنا، أنا قادم!
ثم اتجه مبارك نحو المطبخ فتح الثلاجة وأخرج منها كعكة بحجم ذراعه، وضعها على طاولة المطبخ ثم أضاف فوقها شمعة بيضاء من الشموع التي تستخدم للإنارة. وعاد للحسين الممدد على السرير.
ـ قبل أن أريك المفاجأة عدني بأنك ستغمض عينيك ولن تسترق النظر.
رد الحسين بنبرة متحمسة وأغمض عينيه قبل أن يهم مبارك بحمله.
ـ نعم، لا تخف. هيا أرنا المفاجأة فقط.
ثم حمل مبارك الحسين وانتقل به إلى المطبخ، وضعه فوق الكرسي وكانت الكعكة فوق الطاولة أمامهما.
لاحظ أن "مخطار" قط الحسين يحوم حول الطاولة، استغل فرصة إغماض الحسين لعينيه وأمسك مبارك القط من أذنيه وضغط على رأسه بقوة ورماه خارج المطبخ ليرتطم رأسه على الحائط، ويحدث صوت مواء شديد.
سمع الحسين صوت ارتطام رأس القط بالحائط فسأل مبارك:
ـ ماذا هناك؟
ـ لا شيء.
ـ كيف لا شيء، كأني سمعت صوت "مخطار".
ـ أنا لا أسمع شيئا... انتظر هنا إياك أن تختلس النظر وإلا أفسدت المفاجأة، حسنا!
قفز مبارك مسرعا واتجه مباشرة نحو القط الذي وجده يخبش الباب بمخالبه يريد الهروب، رفعه مبارك من قفاه وقربه من وجهه. ووضع يده على فمه.
ـ أششششت ها نحن ذا وحدنا، ماذا سأفعل بك الآن آه.

واستمر مبارك بالضغط على فم القط، حتى عضه من إصبعه ليفلته. ثم أمسكه مجددا ووضعه داخل كيس قمامة وأغلق عليه داخل وعاء القمامة بجانب الباب.

ـ هكذا ابق هنا سأفرغ لك بعد قليل... ذاك هو مكانك وأين وجدتك أول مرة هناك تنتمي، إلى الزبالة... إلى الزبالة. أنا أخرجتك منها وأنا أرجعك إليها. أنا أصلي تراب وسأرجع إلى التراب وأصلك زبالة وسترجع إلى الزبالة...

ثم عاد مبارك إلى المطبخ وقابل الحسين بعدما حرص على نفض وبر القط من بين يديه حتى لا يشك الحسين في أمره:

ـ هاااي أين كنت؟

ـ هنا فقط كنت أتفقد مخطار...

ـ أين هو، أين مخطاري؟

ـ لا تقلق عليه قد تركته في الشرفة يطارد الحمائم وأظنه كاد يمسك بواحدة منها، لأني وجدت بقايا ريش حمام على الشرفة.

رد الحسين وهو لا يزال معصوب العينين:

ـ أووه مخطار قطي العزيز هل رأيت كم هو قط شاطر وبارع. أخبرتك أنه قط مفيد. وليس كسولا مثلما تراه أنت...

ـ لا يهم... دعنا من "مخطارك" الآن وهيا يمكنك أن تفتح عينيك ببطء...

ـ أووه يا للروعة.

ـ وهي بطعم الشوكولاتة. ذوقك المفضل.

ـ عيد ميلاد سعيد يا أخي.

ـ أنا غبي لأني نسيت عيد ميلادك.

ـ لا عليك فأنا لا أعرف عيد م...

ثم زمَّ مبارك شفتيه وأراد أن يخفي ملامح وجهه الحزين وقبل أن يتكلم، قاطعه الحسين كأنه تدارك ما قاله وزل من لسانه:

ـ آسف يا صديقي أنا آسف حقا لم أقصد أن أقول...

قاطعه مبارك:

ـ لا بأس لا بأس. هل تعرف ما الجميل في الأمر؟

ـ أي أمر؟

ـ عندما تجهل يوم ولادتك.... يستطيع أن يكون أي يوم من الأيام العادية هو يوم عيد ميلادك وأنت لا تعرف ذلك. لهذا يمكنك أن تصبح شخصا مميزا حيث يمكنك أن تحتفل بعيد ميلادك في أي وقت وأي يوم. إذن لا تقل لي مجددا أنك شخص متشائم، هل رأيت كم أنا متفائل، كل ما في الأمر أني أريد الحياة والحياة لا تريدني، وقد قررت هذا العام أن يكون هذا اليوم هو عيد ميلادي وسيكون آخر يوم من ميلادي.

ـ ماذا تقصد بآخر يوم؟

ـ لا يهم. هيا لنطفئ الشمعة قبل أن تذوب. اقترب هنا لتطفئها معي هيا!

ثم تزحزح حسين ليقترب من الكعكة حيث لاحظ الكتابة الموجودة بالقشدة البيضاء فوقها:

قرأ الحسين الجملة المكتوبة بصوت مستغرب:

happy diethday

يرد مبارك:

_ ااا لقد أكلت بعض الحروف وعجنت بعضها. وكتبت هذه العبارة لأني بعد تفكير طويل قررت أن أحتفل بعيد وفاتي وأفرح بذلك لأني أعرفه. كل الناس تحتفل بيوم ميلادها لأنها تعرفه. وأنا أعرف يوم وفاتي الذي هو اليوم لأني أعرفه.

قطب الحسين حاجبيه وضحك ضحكة طويلة:

_ ههه بعيد الشر عليك يا أخي. متى تكف عن هذا المزاح الثقيل... منذ أن كنا صغارا وأنت تشاغب في كل شيء.

مبارك:

_ هيا، هيا. لنطفئ الشمعة عند العد حتى أربعة.

الحسين:

_ لماذا ليس عند العد حتى ثلاثة؟

مبارك يباغت الحسين في العد ويطفئ الشمعة قبل الحسين:

ـ حسنا... واحد... اثنان... أربعة ...أووووف.

ـ يا لك من وغد لقد خدعتني.

ـ سأحضر الملاعق.

ثم نهض مبارك وباغت الحسين من الخلف ليدفع رأسه داخل الكعكة. وتعالت الضحكات في المطبخ. وبعد لحظات أرجع مبارك الحسين لسريره واستلقيا متعبين من الضحك، ثم يكسر الحسين الصمت الذي ساد لوهلة وهما مستلقيان على السرير يتأملان السقف مكتظين بالمشاعر:

ـ هل تعرف يا مبارك أنت أجمل شيء حدث لي في حياتي. لولاك أنا لا أعرف ماذا كان سيحل بي... فشكرا يا أخي على كل ما فعلته من أجلي، ربما لم تأتِ الفرصة من قبل لأقولها لك، لكن هأنا أقولها لك من صميم قلبي شكرا...

أغمض مبارك عينيه وبدأ يتخيل حياة الحسين من دونه ومن ذلك الحادث الذي تسبب له فيه. رآه يحمل كأس البطولة ووجهه يتصدر الجرائد المحلية وأبوه يؤدي مناسك الحج التي لطالما حلم بها ولم يحققها:

مبارك وهو ينظر إلى السقف بنبرة عميقة:

ـ حياتك من دوني كانت ستكون لامعة وقد كنت أنا تلك الغيمة التي غطت بريقها وحجبت ضوءها. أنا مشؤوم يا أخي وكل شيء يتبعني مشؤوم.

صمت الحسين وقد كان يحبس الدموع في عينيه عندما ذكره مبارك بأبيه الحاج قدور.

ساد صمت مرعب وموحش في الغرفة، والخيالات والأفكار تتناطح داخل رأس مبارك. ليكسر ذلك الهدوء بنبرة هادئة وقد تغيرت ملامحه ونظراته بشكل غريب ومرعب وقال:

ـ هل تعلم. لا زالت هناك مفاجأة أخرى.

ـ أووه. وما هي؟ أخبرني.

ـ حسنا أغمض عينيك مثلما فعلت سابقا.

أغمض الحسين عينه والابتسامة مرتسمة على وجهه وهو يقول:

ـ هل هي هديتي... هيا أنا لا أستطيع الانتظار!

حمل مبارك الوسادة التي كانت تحت رأسه، وقف وسط السرير فوق الحسين. وأمامه على الجدار الذي يقابله كانت تلك الصورة المعلقة في إطار. وضع الوسادة فوق رأس الحسين وهمَّ يرخي عليه ثقل جسده ويضغط بذراعيه على رأسه بشدة، بدأ مبارك بخنق أخيه الحسين بملامح جامدة وباهتة وشفتين مزمومتين وجافتين. نظراته فقط تعكس تلك الصورة له وللحاج قدور والحسين وهم في الملعب ورقبة الحسين ممتلئة بالميداليات. الحسين يحاول التملص من قبضة مبارك، يضرب بذراعيه. يقاوم. يتخبط، يغزر أظافره في ذراع مبارك. مبارك يحوط خصر الحسين بين ركبتيه كي يثبته بإحكام. الحسين يحاول أن يمسك مبارك من وجهه. يتأوه ويرغي مثل رضيع، يتزحزح مثل سمكة خرجت من الماء، يختنق، يدوخ، يمر شريط حياة الحسين أمامه في لمح البصر، تهفت حركة جسده، يفقد أنفاسه، تتباطأ ضربات قلبه، يرخي خصره، تسقط يداه على جانبي السرير مثل دمية نزعت بطاريتها، تتوقف أنفاسه، يتأكد مبارك من توقف قلب الحسين عن النبض ملاحظا توقف

انتفاخ صدره. ثم ينفجر مبارك صارخا ملء حنجرته ليهتز إطار الصور المعلقة في الجدار أمامه من صرخته المدوية:

آاااه، يا ربك آه قتلت خويا بيديا آه.

يضغط أكثر. يستمر في ذلك رغم أن الحسين توقف عن الحركة.

ثم يستلقي بجانبه وهو يقول بهستيرية يحاول إمساك زفراته:

_ قتلت خويا بيديا... قتلت خويا بيديا.

ثم يهفت ببطء، يحلق في السقف وكل الأفكار كانت تتلاطم داخل رأس مبارك في تلك اللحظة، ودقات عقارب الساعة المعلقة في الحائط فوق الصورة تشير بعقاربها إلى الرابعة وأربعين دقيقة، يزعجه صوت عقاربها، فيمد ذراعه نحوها، يمسكها بين يديه ويتأمل دوران عقربها الأصغر ثم قبل أن يكمل دورته يعيده إلى البداية، يرجعه مرتين، قبل أن يقحم قبضته داخل مركز الساعة ويقسمها إلى نصفين ويرميها على الأرض ثم يسحقها تحت قدميه، بعدها يتوجه نحو الجدار المقابل، يتأمل انعكاس ملامحه على المرآة الطويلة، يلاحظ هيئته المزرية، شعر مشعث أغبر، أسنان صفراء، لحية سوداء كثيفة السوالف، هالات سوداء تحت عينيه، خانة تشبه ذبابة كئيبة تحط فوق شاربه الأعلى، رائحة عرق تصدر من شعر إبطه الغابي، بوكسور قصير يستر نخذين نحيفين أهلكهما المشي من دون سبب أو لعدة أسباب تافهة كما يقول هو، تحت معطف الفرو البني قميص أزرق ذو ياقة أنيقة، يغلق زر قميصه الذي كانت تبدو من تحته خصلات شعر صدره الأسود، وحتى يبدو في مظهر رسمي أكثر يقوم بغلق أزرار معطفه، يقترب من المرآة يفتح فمه كله ويمسك فكه السفلي بيده اليمنى وفكه العلوي بيده اليسرى ويحاول فتحهما بأقصى

قوة، لكنه كفّ بعد ثوان، مد لسانه أمسكه بطرف أصابعه وراح يحاول بمد لسانه لعق أنفه، وقد تمكن من ذلك بصعوبة، يبتسم ابتسامة طويلة وحادة أمام المرآة ثم يكشر عن أنيابه، يقترب من المرآة أكثر يبصق عليها، يركلها لتسقط على ظهرها وينكسر زجاجها إلى قطع فوق البلاط على شكل مربعات صغيرة بيضاء ومنقطة بالأسود ثم يحضر مكنسة ويلم قطع الزجاج المكسور داخل كيس قمامة ويرمي الكيس داخل علبة القمامة، فتخترق شظايا الزجاج ظهر القط الذي رماه من قبل داخل الكيس ونساه داخله ليتمزق كيس القمامة ويفرق القط مدمى الظهر والوجه، لم ينتبه مبارك حتى إلى جرح الزجاج في يده. ثم بعدها توجه نحو الحمام مباشرة وأخرج الحبل الذي اشتراه من قبل من المحل وتركه داخل الكيس، ربط الحبل في السقف حيث الحفرة التي يخرج منها أنبوب المرش، تأكد من تثبيته بإحكام وحتى يتأكد راح يحاول التدلي عليه ويشده بقوة نحو الأرض، بعدما تأكد من تثبيته بإحكام، صنع به حلقة بقطر رقبته. وإذ هو يعقد تلك الحلقة خطر بباله فكرة غريبة وهي أن يعلق نفسه بالمقلوب من رجله حتى ينزل الدم إلى رأسه ويموت إثر سكتة دماغية، فشرع بتنفيذ فكرته على فوره فحاول أن يربط رجله في عقدة الحبل محاولات كثيرة باءت بالفشل لصعوبة إمساكه لرجله عندما يكون مقلوبا رأسا على عقب، بعد عدة محاولات شعر مبارك بالملل وسئم من الفكرة، رغبته في إنهاء حياته فاقت رغبته بالانتحار بشكل مميز لذلك سارع نحو المطبخ وأحضر كرسيا ركب فوقه وشد الحبل حول رقبته لأقصاه وإذ هو يحكم شد العقدة يشعر بالحبل وهو يضغط على حنجرته ثم قبل أن يهم بالقفز من الكرسي، أغمض عينيه وقفز بسرعة من فوق الكرسي والحبل

في رقبته، بسرعة حتى يتجنب تلك الأفكار التي تعيقه عن القفز. وتشتد عقدة الحبل حول رقبة مبارك، ومبارك معلق في الحبل يضرب برجليه في الهواء، يتخبط ويزبد، ثثار غريزة البقاء على قيد الحياة فيه ليمسك الحبل الذي يحبس أنفاسه ويزيد الشد كلما حاول المقاومة أكثر، يضرب الكرسي برجله يبتعد عنه الكرسي، غريزة المقاومة بفعل لا إرادي تحاول أن تخفف شد عقدة الحبل، لكن قانون الجاذبية وثقل جسد مبارك يحول دون ذلك، يتخبط أكثر، يرفس برجليه، تسقط الفردة اليسرى من حذائه الأنيق على الأرض، يلمح "مخطار" قادما إليه، الدماء تقطر من ظهره ومن رأسه، يقعد القط على مؤخرته في تلك اللحظة رأى مبارك القط مبتسما وهو يلعق يديه، صورة القط في عيني مبارك تتضبب، ملامح القط تحول لملامح وحش سفاح متعطش للدم، والقط يبدو هلاميا في عيني مبارك ببطء، ثم يغرق مبارك داخل ذكرياته ويستحضر كلمات الحاج قدور وضحكة الحسين أخيه، قبلة ليندا، ولقطات عبثية من حياته الكئيبة، يتخبط مبارك مثل ديك مذبوح في إناء ماء مغلي يُجهز للترييش، يرغي، عيناه تبرزان جاحظتين، دقات قلبه تتباطأ، أنفاسه تهفت، جدران الغرفة تدور حوله، وفي تلك اللحظة بين الحياة والموت يشعر مبارك بانتصاب غريب بين فخذيه، بعدها تتوقف قدماه عن الركل في الهواء وتفلت أصابعه عقدة الحبل حول رقبته...

ها نحن ذا أخيرا لوحدنا كم انتظرت هذه اللحظة الحميمة ولم أكن أتوقع أبدا أن أجزى بعد صبري ذا بقربانين هل أبدأ بعدوي أم بحبيبي لذة الانتقام أم لذة ارتشاف الروح وهأنت ذا أخيرا أيها الحقير بين مخالبي سأبدأ بك وأترك الحسين للتحلية الدسم ثم الشراب الروحي هكذا أنعش رقبتك لذيذة عليّ أن أقوم بتتبيلك أولا هكذا مجددا نعم مياااو أححححح بعض البول فوق رقبتك احح ثم على ذراعك أحح سأتبول الآن على صدرك وآه ليتك سقطت على ظهرك فما أثقلك وكيف أقلبك على ظهرك الآن
أأوف ما هذه الرائحة هنا ماذا فعلت على نفسك أيها اللقيط

حاول رجل الانتحار فربط حبلا في رجله، علق نفسه في شجرة مقلوبا على رأسه. وانتظر الموت. مر بجانبه رجل آخر، استغرب من الوضعية التي وجده عليها.

ـما الذي تحاول فعله يا رجل!

ـ أنا أحاول الانتحار.

ـنعم الانتحار. دعني وشأني.

ـ وهل تنتحر هكذا!

ـ كيف ينتحرون إذن؟

ـ ضع الحبل حول رقبتك وليس حول رجلك!

ـآه، هل أنت مجنون هل تريد مني أن أموت!

ربطة عنق حبلية

يشعر بانتصاب غريب بين فخذيه، تتوقف رجلاه عن الركل، تفلت أصابعه عقدة الحبل حول رقبته، ثم يفقد وعيه. وبعد لحظات يرى ضوءًا خفيفا ينعكس على وجهه مباشرة، ويشعر بشيء يلعق خده وجبهته، يحس أن خده يلتصق بشيء بارد، يفتح عينيه ببطء ليجد نفسه ممددا على طوله فوق البلاط، خده ملتصقة على الأرض واللعاب يسيل من فمه، القط يلعق ما تبقى من كريما الكعكة التي لطخه بها الحسين أخوه، يشعر بشيء لزج بين فخذيه، يستغرب من الأمر، ينظر فوقه ليجد الحبل مقطوعا ولا يزال جزء منه عالقا بالعقدة حول رقبته، ينهض بتثاقل، يشعر بألم رهيب في رقبته وصداع في رأسه. يشم رائحة مقززة على جلده وثيابه، ينظر باشمئزاز إلى الحبل حول رقبته ثم يتذكر ذلك العامل في المحل التجاري الذي باعه الحبل بعدما تأخر في تسليمه إياه، شعر أنه خدع في أبسط شيء، حبل! انتابه غضب شديد وتغيرت سحنته لتميل إلى الحمرة، في تلك الأثناء وهو يحاول النهوض من الأرض سمع الزبير يغرد في القفص تغريدا حادا لم يسبق له أن سمع مثله من قبل فزاد ذلك من وتيرة قلقه، أمسك القط أمامه، رفعه في الهواء بصق على وجهه ورماه من نافذة الحمام الضيقة، ليسقط القط على الأرض مباشرة من الطابق الخامس. ضم معطفه وخرج من المنزل وربطة الحبل لا تزال حول عنقه، نزل السلالم بسرعة والغضب يبدو في عينيه المحمرتين، ضم معطفه وخرج من باب العمارة، بعد مسافة قصيرة بلغها وهو يسارع في خطواته وعقدة الحبل لا تزال على رقبته لاحظ على الرصيف القط الذي رماه من

الطابق الخامس يمشي ويعرج قاطعا الطريق أمام السيارات المسرعة، شرد في تفكيره للحظات ثم رجع لغضبه وواصل هرولته متجها نحو المحل التجاري مباشرة من أجل أن يكمل مهمته الرئيسية، أثار دهشة واستغراب أهل الحي، همَّ بعض الشباب بتصويره ومشاركة الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي.

#شاهد_قبل_الحذف رجل غريب شبه عاري يهرول وسط الشارع بعقدة حبل مقطوع حول رقبته بمعطف جلدي وجوارب طويلة وغريبة.

ثم بعد مسيرة عشر دقائق بخطوات مسرعة بلغ مبارك المحل التجاري، توجه مباشرة إلى ذلك العامل الذي وجده يلتهم سندويتش "شوارما" لكمه مباشرة وأخرج عقدة الحبل من رأسه ووضعها حول رقبة العامل محاولا خنقه، ثم قبل أن يفعل فعلته تدخل بعض أعوان الأمن في المحل التجاري لإنقاذ زميلهم.

يسعل العامل ويكح ويضع يديه حول رقبته:

ـ مجنون... مجنون... حاول خنقي.

ـ هل تعرفه؟ (سأل أحد أعوان الأمن وهو يمسك مبارك من معطفه ومبارك يحاول الإفلات منه وهو يركل في الهواء ويشتمه بملء حنجرته)

ـ كلب... خداع... ولد الق...

ـ اهدأ ما بك ما الذي فعله لك (قال عون أمن آخر ذو لحية طويلة)

ـ لقد خدعني في الحبل باعني حبلا ضعيفا. انظروا هاه انظروا.

ـ لكن في ماذا استخدمت الحبل؟ (قال عون الأمن الذي يمسك مبارك)

قبل أن يرد مبارك لاحظ أن عون الأمن صاحب اللحية الطويلة يتفقد عقدة الحبل:

ـ في الانتحار.

ـ وهل ربطت رقبتك أم رقبة ثور (رد البائع بنبرة ساخرة)

ـ ربطت أختك به هل تسمعني ربطت أختك به.

ـ أشتت. انعل الشيطان يا رجل (رد صاحب اللحية)

ـ هذا هو الشيطان. أنتم كلكم شياطين سأرفع شكوى ضدكم كلكم. لأنكم تبيعون منتوجات قديمة. وهذا الحبل من مخزون قديم أنظر هنا خيوطه رثة. هل تحسبون كل الزبائن في هذه المدينة أميين وجهلاء!

عندما سمع العامل مبارك يقول سأقدم شكوى، اقترب منه وبدأ في تهدئته.

ـ عذرا يا سيدي. سنقوم بالتعويض لك دعنا نتفاهم بهدوء.

ثم ذهب العامل مسرعا نحو المخزن وعاد له بحبل ذي سمك أغلظ من الأول. سلمه لمبارك وطلب المعذرة. بملامح غير تلك التي قابله بها أول مرة، أمسك مبارك الحبل تفقده. بعدما سمع العامل يقول له:

ـ معذرة سيدي، هذا حبل أقوى من الأول أنا أؤكد لك وهو أغلظ.

هدأ من روعه. تركه عونا الأمن وانصرف العامل ليكمل سندويتش الشاورما. ليرجع مبارك مجددا ويباغت العامل من الخلف ويلف الحبل الجديد حول رقبته محاولا خنقه.

مبارك وهو يخرج لسانه ونظرة الجنون في عينيه:

ـ هو أقوى من الحبل الأول أليس كذلك، دعنا نجربه لنتأكد من ذلك هنا. حتى لا أرجع إلى هنا مجددا.

وقبل أن يلفظ العامل أنفاسه تدخل أحد الزبائن وهو شيخ عجوز لكنه قوي البنية وفك الحبل من رقبة العامل. التفت مبارك ليجد عوني الأمن متجهين نحوه. فهرب مسرعا تاركا العامل على الأرض يتلقف أنفاسه، خرج من المركز التجاري بعينين ملتهبتين بلون جمر يتطاير الشرر منهما وملامح حادة ومجنونة، قطع الطريق دون تفقد سير السيارات متجها نحو الغابة غير البعيدة هربا من الشرطة التي حتما ستبحث عنه بعدما يبلغ عنه في المركز التجاري بتهمة الاعتداء على العامل.

حاشية 08:

انتصاب الموت (بالإنجليزية: Death erection) أو كما يُطلق عليه شهوة الملاك أو الانتصاب الأخير، هي تلك الحالة التي تحدث انتصابا للقضيب بعد الموت. تقنيّاً القساح (الانتصاب الذي يبقى مدة طويلة) قد لوحظ كثيرا في أجساد الرجال الذين تمّ إعدامهم بطريقة الشنق تحديداً.

حاشية 09:

وتعزى هذه الظاهرة إلى الضغط على المخيخ الحادث بواسطة الخناق أو حبل المشنقة.

يُعتبر القساح أحد الأعراض الغريبة للأمراض التي تصيب الحبل الشوكي وفي هذه الحالات يخلو تماماً من أي إحساس حِسّي ويوجد فقط برفقة الشلل الحركي وقد يحدث بشكل عفوي بعد إصابة الحبل الشوكي في حادثٍ مثلاً. وقد يحدث هذا نتيجة إثارة منطقة من الحبل الشوكي بشكل غير مطلوب تحت مستوى وجود المرض وذلك الجزء يعتبر محروماً من الإشارات التنظيمية القادمة من المخ. الضغط على المخيخ يعتبر العامل الأساسي في حالات القساح الحادث بعد القتل شنقاً أو الانتحار شنقاً. وهناكَ مثال مُسجّل كما في مدينة كاستارو الإيطالية حيث اعترف شخصٌ ما بقيامه بشنق نفسه جزئياً حتى يصل إلى المتعة الجنسية.

حاشية 10:

في الحياة الجنسية للمسيح في النهضة الفنية الحديثة لاحظ الناقد والمؤرخ الفني ليوشتاينبرغ أن عددا من الفنانين في عصر النهضة قاموا بتصور يسوع المسيح بعد الصلب في حالة الانتصاب بعد الوفاة. وتم قمع العمل الفني من

قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لعدة قرون. في عام 2003 أشارت القناة الرابعة الوثائقية أن الشنق سبّبَ الانتصاب.

بعد يوم من قتل مبارك للحسين أخيه يدخل المحقق الماحي غرفة مبارك والحسين في آخر طابق من العمارة من أجل التحقيق في القضية، يتفقد مسرح الجريمة، يزيح الغطاء عن وجه الحسين يلتفت إلى الطبيب بجنبه ويسأله:

ـ ما رأيك يا دكتور؟

ـ يبدو أن الضحية قد قاوم بشدة قبل موته وهذا ما يظهر من بعض أظافر الضحية المكسورة ومن اللحم العالق في أظافره يمكننا معرفة هوية القاتل.

ـ حسنا لا تنسى أن ترفع البصمات أيضا.

ـ طبعا سيدي...

ثم يدخل رجل شرطة قصير القامة وهو يلهث ويحمل رسالة في يده ويسلمها للمحقق الماحي الذي يفتحها وحين يقرأها تتغير ملامح وجهه ويبلع ريقه يخرج قلما من جيبه يفتح دفترا ويكتب في أسفل ورقة تقرير الجريمة:

سبب الوفاة: سكتة دماغية أثناء النوم.

ويقفل الدفتر فيلاحظ أن الطبيب انتبه إلى تغير ملامحه بعدما قرأ الرسالة فيحاول إخفاء توتره ويمثل بأنه لم يقرأ شيئا مهما داخل الرسالة فيلتفت إلى القط الذي يلعق في رجله عند الباب وراء الطبيب، يقترب من القط ويمسح على رأسه:

ـ أووه يا لك من قط مسكين، يبدو أنك عشت في إهمال كبير.

ـ ....

ـ ما بها رجلك تبدو مكسورة؟

ـ ....

ـ هيا صافحني.

ـ ....

لا أعلم حقا كيف يفكر هؤلاء البشر الحمقى أي غبي يعرف أنها جريمة قتل فلماذا يكثرون من هذه الأشرطة الصفراء والحمراء ويرشون هذه المساحيق في المكان وما أغبى هذا الرجل الواقف أمامي يحمل تفاحة في يده هو يعبث بها بين يديه منذ دخل إلى البيت ولم يأكلها إذن ما الغاية من هذه التفاحة غريب هذا الرجل ولا أعرف حقا وظيفته لكن حسب كلام هذا الطبيب الواقف بجنبه هو محقق إذن أظن هذه المهنة تعطى للأغبياء عند البشر

هيه هو يسأل الطبيب عن سبب الوفاة سبب الوفاة رجل مجنون يتلذذ بالتعذيب والقتل فقد قتل حبيبي الحسين وتركني وحيدا ومن هذا الرجل الذي يلهث مقتربا من المحقق وما هذه الورقة التي سلمها للمحقق إنها تبدو مثل الرسالة لا أعرف مضمونها لكن على ما يبدو من تغير ملامح المحقق ورائحة عرقه أن ما ورد فيها غير سار على الإطلاق حتى وتيرة أنفاس المحقق زادت وها هو يخرج قلما من جيب معطفه يبدو أنه سيكتب تقريرا حول جريمة القتل، أجل أجل سجل عندك في التقرير أن مبارك قاتل سادي قتل أخاه الحسين بدم بارد وليتني أستطيع أن أرى ما كتبه هذا الغبي في التقرير الأخير

أووه هو متجه نحوي الآن فماذا يريد مني يا ترى الأحمق يدعي اللطافة ويمسح على رأسي أنا أعرف البشر الحقيقيين حين أراهم وهذا الرجل يفوح برائحة الزيف والخداع متصنع وهدوء أنفاسه غير طبيعي هو فقط يحاول أن يبدو ظريفا ومحبا للحيوانات أمام الشرطة الآخرين والطبيب أنا أعرف هذا أعرف

ـ أووه يا لك من قط مسكين يبدو أنك عشت في إهمال كبير.

بل عشت في ألم كبير وبعدما ما قتل ذلك الوغد الحسين قتل بذلك أكبر سبب يجعلني أعيش لأجله

ـ ما بها رجلك تبدو مكسورة؟

كل من يمر بي يسألني عن رجلي المكسورة ولكن لا أحد فيكم رأى الكسر في قلبي يا أوغاد

ـ هيا صافحني.

غريب أمر هذا المعتوه في حياتي لم أشاهد بشريا يصافح باليسرى لماذا صافحني بيسراه يا ترى

{أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدىً}
(القيامة / 36).

المحراث والحبل

بلغ جبل "دوي" وعند مدخل الغابة أرهقه المشي. دخل مزرعة كانت نتوسطها شجرة خروب كبيرة، استلقى على جذع الشجرة يسترجع أنفاسه وفكرة الانتحار تغلي داخل رأسه. في مكان غير بعيد لاحظ محراثا كبيرا بجواره حبلان غليظان. التقط الحبل من الأرض شكل به حلقة حول رقبته، ثم راح يتسلق الخروبة عالية الساق حتى يبلغ فروعها ليربط بها الحبل ويخنق نفسه من عليها راح يحاول تسلقها مرارا وتكرارا وانزلاقا، يصل إلى منتصفها ثم تفلت أصابعه أو رجلاه الإحكام ويسقط مجددا. أرهقته المحاولات. ليرجع ويتكئ على الخروبة يلعن العالم والدنيا والأشجار الطويلة والحبال الضعيفة والعمال النهمين ويلعن نفسه. وهو في حلقة اللعن تلك حتى راودته فكرة جعلته يبتسم بخبث رغم شحوب وجهه.

توجه نحو المحراث الكبير. عبث بالخيوط التي تحت مفتاح التشغيل، ليتمكن من تشغيل المحراث، جلب صخرة كبيرة وربطها بخيط طويل كان ملفوفا حول كرة تبن مرمية بالجوار، وضعها بجانب دواسة السرعة، بوضعية حيث تسقط فوق الدواسة مباشرة عندما يسحبها بالخيط، وعدل مغير السرعات في الوضعية الثالثة وذلك حتى ينطلق المحراث بسرعة خاطفة عندما تسقط الصخرة فوق الدواسة، ثم ربط حبلا آخر غليظا بمؤخرة المحراث وصله بعقدة في طرفه ليدخل فيها رأسه وحبلا آخر ربطه في ساق الخروبة القوية وربط طرفه الآخر بساقه اليمنى، ثم وقف بين المحراث وشجرة الخروب الطويلة مربوطا في وسطها طرف الخيط الذي برأسه في المحراث، وطرف

الخيط الذي برجله اليمنى في الخروبة. والخيط المربوط إلى الصخرة بجوار دواسة السرعة للمحراث المشتعل بيده اليسرى. أغمض عينيه. استعد. تنهد بعمق، ثم بسرعة سحب الخيط المربوط بالصخرة دون تفكير، ليندفع المحراث بقوة وسرعة ويحكم الضغط على رقبته. تهتز الخروبة وتسقط من إحدى فروعها بيضة كانت في عش زاوش وتنفلق على الأرض. مبارك بفعل لا إرادي وهو مرفوع في الهواء بالحبلين في رجل ورقبته بين المحراث والخروبة وهو يراقب السماء ذات الغيوم الهلامية التي كانت تميل في ذلك المساء إلى اللون البنفسجي حيث لم يسبق له أن رأى السماء في حياته بمثل ذلك اللون. شعر أن لسانه يكاد يخرج من فمه، بفعل لا إرادي وضع يديه حول حنجرته ليخفف عنها ضغط شد الحبل. شعر أن أنفاسه تكاد تنتهي وبألم رهيب في ركبته. أغمض عينيه واستسلم للموت وسمع صوت هدير محرك المحراث يبتعد من أذنه وشظايا الطين والتربة التي تخلفها عجلات المحراث التي تدور في مكانها بسرعة تتطاير لتسقط فوق وجه مبارك. ثم فقد مبارك وعيه.

تمزق ساق مبارك من مفصل ركبته المصابة بالضبط في تلك البراغي الطبية التي كانت تشد له عظم ركبته المصاب سابقا، تمزق ساق مبارك وتفصل من الركبة فتنبجس منها شرايين حمراء من الدماء التي راحت تسيح على الأرض وترسم خطا مستقيما يوازي خط اندفاع سير المحراث. رأس مبارك يجر على الأرض ويحتك وجهه وخده على التراب والحصى. يواصل المحراث جره حيث يتوجه مباشرة ليرتطم بسور الحديقة ويحدث صوتا يوقظ كلب المزرعة فينبح بقوة يوقظ بها العجوز الذي يغط في قيلولة هادئة داخل كوخه، ينهض على إثرها العجوز ويفتح نافذة الكوخ فيسمع هدير محرك

محراثه، فيهب مسرعا نحو خزانته يسحب البندقية ويذخرها بعدة رصاصات، يضعها على كتفه ثم يخرج مسرعا ليرى من هذا اللص الذي سيلقنه درسا. يلاحظ الدم المتدفق على أرضية الخروبة ويتبعه، يمشي العجوز بخطوات حذرة، يرفع بندقيته في الهواء ويسندها على كتفه، يقترب من المحراث فيلاحظ أن الدم قد توقف تحت عجلة المحراث، ويلمح جسدا يختبأ خلف عجلة المحراث، يضغط على الزناد بعدما صوب طلقته نحو صدر الرجل الذي كان يظهر نصف جسده العلوي فقط والآخر تغطيه العجلة، اندفع العجوز نحو الرجل الملقى على الأرض بعدما تأكد من أن طلقته لم تخطئه فكان أول ما لاحظه العجوز هو ساق الرجل المبتور التي يسيل منها الدم بغزارة ووجهه المخدوش، فوضع العجوز رأسه فوق صدر مبارك، ليستشعر أن نبضه ضعيف جدا وتحسس أنفاسه فوجدها تكاد تتوقف، فقام بفك العقدة حول رقبة مبارك ثم نزع معطفه وسترته الملطخة بالدماء ومزقها من فوق صدره، فلاحظ أن الرصاصة التي أطلقها على مبارك من بندقيته قد جانبت كتفه ولم تصبه في صدره مثلما أرادها، ثم بسرعة نزع العجوز عمامته الصفراء وراح يلف بها ركبة مبارك المبتورة والتي تنزف بغزارة وحزمها بقوة وضغط على الجرح في كتفه حتى لا ينزف أكثر، ثم حمل العجوز مبارك، وقد كان ذلك العجوز البدوي قويا وطويلا رغم شيب رأسه، وانطلق بمبارك مسرعا نحو المستشفى.

نص مسروق

يفتح مبارك عينيه ببطء يرى ضوءًا أبيض فوق رأسه. رؤيته مضببة. يشم رائحة كحول طبي تعبر لأنفه. يسمع أصوات جر كراسي وهمس أشخاص تتناهى لسمعه، يشعر بألم شديد في ركبته. ينظر إليها بصعوبة وهو ممدد على السرير الطبي وصوت مؤشر الحياة يرن بجانبه، يلتفت يسارا فيجدها وهي تنظر إليه بعينين حزينتين والدموع مترسبة على جفنيها، تقترب منه ببطء. وبصوت دافئ:

ـ سلامة رأسك.

يرد مبارك بسخرية متألما:

ـ هذاك ما تبقى...

ابتسمت وأرادت أن تخفي ذلك:

ـ لقد اندهش الطبيب من حالتك فعندما أخبرنا ذلك الشيخ القروي عن الحالة التي وجدك فيها لم نصدق. حتى عندما صارحنا أنه هو من أطلق عليك النار في كتفك وقد جاوزت الطلقة ببضع سنتمترات قلبك. الحظ أسعفك يا مبارك.

ثم رد مبارك بصوت ضعيف:

ـ خرا... ليته لم يسعفني.

ـ ماذا قلت!

ـ كم مضى عليّ هنا!

ـ أسبوعان تقريبا.

ـ أسبوعان... ههه... ههه... ههه.

ثم بدأ مبارك بالضحك بطريقة غريبة.

ـ كه نكّ كه هههه نكّ أوفف هههه هيييييبه.

ـ نعم هي كذلك... وأنت تضحك لأنك محقون بالمورفين.

ـ مورفين اووووه يا سلام...

ـ غريب أمرك. ألا تملك أهلا!

ـ هههه... هههه... ههه.

ـ ما عدا أولئك الصعاليك الذين قاموا بزيارتك في أول أسبوع...

ـ صعاليك! من هؤلاء.

ـ لا أعلم أسماءهم. هم خمسة وأحدهم يناديه أصدقائه بالفار أو الجرذ أو شيئا من ذلك القبيل، على كل حال كيف لك أن تعرف مثل أولئك!

ـ أين هم؟

ـ لقد تم طردهم من المستشفى وهم قيد البحث والتحري لدى الشرطة!

ـ آه ماذا فعلوا!

ـ بل قل ماذا لم يفعلوا. فمنذ أن دخلوا غرفتك عاثوا فيها خرابا. أحدهم يدخن سيجارة والآخر يتبول على الحائط. وآخر يرسم على وجهك ويطليه بمساحيق التجميل. ويلعبون بالكرسي المتحرك في كل أرجاء المستشفى. تخيل أيضا ماذا فعلوا.

ـ ماذا؟

ـ قد شربوا كل الكحول الموجودة في درج خزانتك الطبيبة وسرقوا أيضا كل المورفين الموجود في مخزن المستشفى...

ـ هكخ نكه كهك نكه نكه نكه... (مبارك يضحك ويكح)

ثم عندما هدأ بعد وهلة:

ـ وأنت ما الذي تفعلينه هنا ما الذي أحضرك هنا!

ـ أنا أعمل كممرضة هنا منذ مدة وبالصدفة رأيت محراثا يدخل المستشفى بسرعة كبيرة وأثار ذلك انتباه كل من في المستشفى. ولما حملوك أمامي في السرير المتحرك رأيتك فتفاجأت للحالة التي كنت عليها معلقا بين الحياة والموت ولم يعتقد أي من الأطباء أنك ستعيش خصوصا أن الطبيب المشرف هنا صغير السن ولم يقم بإجراء الكثير من العمليات. لكن نجاتك معجزة. أرادك الرب أن تعيش وأراد جسدك أن يقاوم الموت و.

ثم دخل ذاك الطبيب الشاب إلى الغرفة ببذلته البيضاء ووجه المدور الوسيم وقال:

ـ أنظروا من استيقظ تهانينا يا بطل.

ثم وقف يحمل بعض الأوراق بين يديه ويدفع نظارته إلى عينيه وهو يخفي وجهه داخل الأوراق.

ـ قصتك غريبة لكن نجاتك أغرب.

ثم قعد على طرف سرير مبارك بجانب ساقه المبتورة.

ـ لدي خبران خبر سيئ وخبر جيد، أما الخبر السار الأول أن الإصابات التي في رأسك كانت غير خطيرة لذلك لم يصب جهازك العصبي وكان ظهرك قويا كفاية ليحمي نخاعك الشوكي وبذلك لم يصب نخاعك الشوكي، ولم تتضرر حواسك... جسدك حقا قام برد فعل قوي ضد الحادثة، لذلك جهازك العصبي سليم وستشفى من رقبتك ورجلك بعد أيام... أما الخبر السيئ هو أنك فقدت ساقك كما ترى لأنها أصلا كانت مصابة. وهناك مفاجأة أخرى سأترك الممرضة ليندا لتخبرك بها.

ـ مفاجأة!

ردت ليندا وقد وضعت يدها على ذراع مبارك بلطف:

ـ نعم... عليك أن تبتهج لأنك رجل محظوظ حقا لأننا سنزرع لك ساقا اصطناعية بدل الساق التي فقدتها.

رد مبارك بغرابة:

ـ ساق اصطناعية وكيف ذلك أنا لا أملك شيئا حتى...؟

قاطعه الطبيب قبل أن يكمل جملته:

ـ والله أنت رجل محظوظ مثلما أخبرتك ليندا، فقد قام شخص مجهول بالتبرع بالساق لك.

ـ من هو؟

ـ لا أحد يعرفه فلم يرد أن يفصح عن هويته ولا عن شكله، أدعو له في ظهر الغيب ولا تنسى أن تدعو لليندا أيضا فهي المسكينة التي كانت لا تنام الليل من أجل أن تحرص على تغيير حفاظاتك والسوائل الكيميائية التي كانت تحقن في جسدك. لولاها لكنت الآن لا تزال في غيبوبة تصارع بين الحياة والموت.

نحن لا نموت حين تفارقنا الروح وحسب، نموت قبل ذلك حين نتشابه أيامنا ونتوقف عن التغيير، حين لا شيء يزداد سوى أعمارنا وأوزاننا.

-نجيب محفوظ-

الفيديو غير متاح يتضمن هذا الفيديو محتوى فاضح وقد تم حظره في بلدك بسبب انتهاك حقوق النشر والطبع .

قضى مبارك قرابة شهر في المستشفى حتى لم يشأ المغادرة لأنه اعتاد على المورفين الذي كان يسرقه ويحقنه ويروح يجري في أرجاء المستشفى منتشيا ينشر الأمل والطاقة الإيجابية بين المرضى. ومع تلك الأيام التي قضاها داخل المستشفى كبرت علاقته مع ليندا التي أطلعته بقصتها مع زوجها الذي عرفته هنا على نفس السرير وقامت برعايته بعد الحادث الذي تعرض له والذي أفقده بصره إثر حادث مرور خطير، علم مبارك من تفاصيل الحادثة وتاريخ وقوعها واسم زوجها أن زوجها هو نفس الشخص الذي كان في الشاحنة التي اصطدم بها ذلك اليوم في ذلك الحادث الذي قلب حياته رأسا على عقب بعد أن خالف بين قدميه ولبس حذاء أخيه الحسين وبدل أن يضغط على الفرامل ضغط على دواسة الوقود ليتسبب بمقتل مربيه وشلل الحسين، ثم تركها مبارك لتكمل حكايتها التي أنهتها بأن زوجها قام بعملية جراحية على عينيه واستعاد بصره ولما رأى ذلك العيب الذي أخفته ليندا عنه حين كان زوجها ضريرا شعر بالإهانة والخداع وطلب منها الطلاق على فوره. وأثناء ذلك أخبرها مبارك بأنه قبل أن يقدم على الانتحار أعطى ذلك الرجل الذي كان سببا في أن يقعده ضريرا كل ما كان يملكه من مال بعدما باع ما تبقى من السيارة ودكان الأحذية الذي تركه له الحاج قدور بعدما لم يجد من يمتهن تلك المهنة في الحي بعده أو حتى يقوم بكراء الدكان، ثم حين سمع مبارك قصة ليندا وربط أحداثها بما وقع له من قبل، تنهد وصمت طويلا وراح يلقي عليه اللوم لأنه رأى أنه كان سببا غير مباشر في طلاق ليندا من زوجها، وفي تلك اللحظة ودون انتظار عرض مبارك الزواج على ليندا ووعدها بأنه حين يخرج من المستشفى ويقوم بعملية زرع الساق الاصطناعية سيأتي لخطبتها.

بعد شهرين خرج مبارك من المستشفى وقد نجحت عملية زرع الساق الاصطناعية، وقف أمام باب المستشفى لوهلة، نظر إلى قدميه ولاحظ أن قياسهما أصبح متساويا، فشعر بفرح وحزن في نفس الوقت. فرح لأنه لأول مرة يشعر أنه إنسان طبيعي رغم أن ساقه مبتورة. وحزن لما تذكر أنه لن يهدي ليندا أحذيته بعد الآن.

القناني مليئة بالدمار
والشرفات صديقة الانتحار
منذ شهرين كنت علقت جسمي
نحو سقفٍ بحبل قلبي المثار
وفقدت الهواء.. صوتٌ حتفا
قتلت الأهل مغدورين وأخي
كنت أهوى إلى غياب جميل
فزعي طائري.. وحزني اعتذاري
تشبه العوم.. غيبتي في بياضٍ
يلعن الأرض باسم أرضي وناري
تشبه النوم.. غير أنّ عويلا
خان قلبي في وقت حان احتضاري

رجع مبارك إلى البيت فوجده خاليا وكعكعة عيد الميلاد لا تزال على الطاولة، الذباب يحوم حولها. جلس أمام المرآة يتأمل نفسه، مندهشا بما حل بهيئته حيث كاد لا يتذكر نفسه، لاحظ وجهه وخداه قد تقعرا إلى الداخل، وعظام رقبته قد برزت، وجسده أصبح مثل جسد قط هزيل، تغير مبارك كثيرا بعدما قضى أكثر من شهرين في المستشفى.

حينها تهادى إلى سمعه صوت قطرة ماء وهي تسقط من أنبوب المرش المكسور. نزع سترته. علقها على المرآة وأخفى وجهها ووجهه. ثم خرج إلى الشرفة، لاحظ أن الزبير قد مات داخل القفص وجثته تتعفن في الداخل منذ أكثر من شهرين، فتح عليه القفص وأخرج جثته ورماها من الشرفة في الفراغ وراقبها كيف ترتطم على الأرض. تنهد بعمق. ثم نزع ساقه البلاستيكية رماها خلفه على الأريكة. فتح مبارك ذراعيه كجناحي حسون وألقى نفسه في الهواء من شرفة الطابق الخامس.

الرجل القط

الرجل القط

مقال س. كروان

في حادثة فريدة من نوعها شهد أهالي مدينة عين الدفلى كهلا في الأربعينات من عمره محاولا الانتحار من فوق جسر "القنطرة السوداء " ثم تدخل مجموعة من الغرباء وتم منع الرجل من الانتحار وبعدما ظنوا أنهم منعوا محاولته من الانتحار رجع ليرمي نفسه أمام الحافلات وسط الطريق، وهذا بحضور شهود عيان من سكان الحي والغريب أن ذلك الرجل لم يتوقف عند ذلك الحد بل تعددت محاولات انتحاره لتصل إلى تسعة محاولات لذلك أطلق رواد مواقع التواصل الاجتماعي هاشتاق #الرجل_القط، إلى أن وصل إلى شنق نفسه من على شجرة في وسط الغابة لولا تدخل صاحب المزرعة الكريم وإنقاذه قبل أن يختنق.

وقد أكد بعض السكان المحليين بأن هذا الرجل مجنون وهو يقرأ الكثير من الكتب ورغم مستواه الجامعي والثقافي إلا أنه تعرض للكثير من المضايقات أين كان يعمل سابقا كنادل في مقهى بالهاشمي وسط المدينة وعندما سألنا صاحب المحل عن هويته نفى صاحب المحل معرفته بهذا الرجل. وفي المقابل شبهه بعض الشباب بالرجل القط حيث قاموا بإطلاق هذا اللقب عليه تشبيها بالقط الذي يملك تسعة أرواح.

حيث أن هذا الرجل ظاهرة غريبة من نوعها وقد زرنا المستشفى الذي دخله الرجل وتحرينا عنه وجاء على لسان الطبيب الذي تكفل بحالته أن الجروح والضربات التي شاهدها على جسد هذا المريض لم يسبق له أن صادفها في حياته حيث استغرب من مقاومة جسده لمثل هذه الجروح القاتلة. وأضاف الطبيب ح. ت أنه أخرج رصاصتين من كتف الرجل بعدما حاول أن يطلق النار على نفسه من بندقية يدوية الصنع لولا أن قرويا منعه وتدخل في آخر المطاف لينقله على وجه السرعة إلى الإستعجالات الأولية لكان في عداد الموتى. لم نستطع أن نتعرف على هوية الرجل بعد، ولم نجد سوى صوره والفيديو الذي أخذ أكثر من مليون مشاهدة في ظرف وجيز وعقدة حبل الانتحار حول رقبته.

بعض الأخبار تقول أن هذا الرجل لا يزال في المستشفى يتلقى العلاج على أمل ألا يحاول الانتحار مجددا يبقى هذا الرجل حادثة غامضة وفريدة من نوعها نسجت عنها الكثير من الأقاويل والشائعات وسط المجتمع الجزائري.

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

سورة الجمعة (08)

الطابق الرابع:

تشقلب جسد مبارك في الهواء ليقابل نافذة الطابق الرابع، رأى فيما يرى المنتحر في لمح البصر سيدة تجلس على كرسي بلاستيكي قصير ترضع ابنها الصغير الذي يتشبث في صدرها وهي تثبته بركبتيها في حجرها، وتمسك سكين مطبخ في يدها تقطع حبات البطاطا وترميها في دلو الماء أمامها.

وكانت تلك "سعاد" جارته المطلقة والتي تعمل في البيوت كعاملة نظافة، طلّقها زوجها وهي في الشهر السابع من حملها.

الطابق الثالث:

رأى عجوزا في الشرفة على كرسي خشبي متأرجح، في حجرها كرة من الصوف تحمل بين يديها مغزلين من حديد. تغزل قفازين لحفيدها الذي يقابلها ويقعد القرفصاء يراقب عملها، يتأملها بعينين تشعان بالحياة والأمل، في انتظار أن تنتهي جدته سعدة حياكة قفازاته وقد كان مبارك يعرف جارته الحاجة سعدة هي الأخرى والتي كانت تهديهما وهو والحسين أخاه قبل كل شتاء جوارب وقفازات تحميهم من برد الشتاء في بداية كل فصل شتاء، وتترجاه مقابل ذلك بالدعاء لوالديها المتوفين كلما وضعا هذه الجوارب. أملا منها على أن تصلهما الحسنات والدعاء.

الطابق الثاني:

كانت نافذة البيت مغلقة حيث لمح مبارك على الشرفة كلبة ترضع جراءها وتلعق فروهم.

الطابق الأول:

عائلة مجتمعة حول مائدة الإفطار. يضحكون ويمرحون...

في شارع غير بعيد سيارة إسعاف تطلق سافرتها تهب مسرعة نحو المستشفى داخلها "بلوطة" على السرير ينزف بشدة يكاد يغمى عليه وبجنبه صديقه "مطلوعة" يسانده ويضغط على الجرح العميق. بعدما تلقى طعنة خنجر في بطنه.

نبوءة خيرة الكحلة

قبل أن يرمي مبارك نفسه من الشرفة، في تلك الأثناء خرجت من مخبزة "الحاج العربي" عجوز بقفة تحمل خبزات في يدها. تمشي بحركة بطيئة تجر عصاها وراءها. تنظر هنا وهناك وتقطع الطريق يتبعها جرو صغير. تدخل حي القرمود وتعبر تحت العمارة بجانب المدخل. في حس خاطف تلاحظ كأن غيمة ظللت السماء فوق رأسها. ترفع رقبتها لتنظر نحو الأعلى فتفاجأ بجسد ينزل نحو رأسها مباشرة بسرعة خاطفة ليسقط فوقها بقوة. تطير العصا من يد العجوز. يتلطخ الرصيف بالدم. يسقط خمارها من على رأسها من أثر الارتطام.

لتنتهي العجوز ملقاة على الرصيف جثة هامدة ذات جسد نحيف و**وحمة على شكل نصف قلب تظهر بوضوح على رقبتها وهي تنزف على الرصيف.**

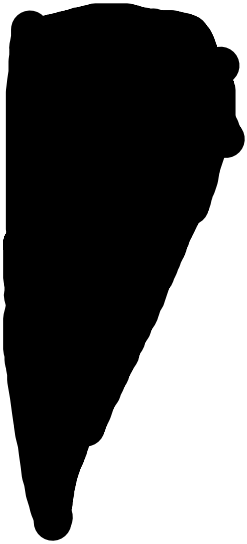

شكل الوحمة الموجودة على رقبة العجوز التي سقط فوق رأسها مبارك.

قصيدة من عالم القطط

مِيَوّاهُ
مِيَوّاهُ
قُتِلَ الهِرُّ
عليهِ الرَّحمةُ
والصحفُ الرسميةُ
قالت: لم يُقتَل
وافاهُ الأجَلُ
ألصِقَت النّعوَةُ
بالحيطانِ وبالأبوابِ
وحاوِيَةَ الزِّبلِ
"لقد دُهِسَ المغفورُ لهُ
في رَيعانِ صِباهُ"
رئيسُ نقابَةِ
جُرذانِ الزِّبلِ نَعاهُ
وتَوالى الخُطَباءُ
وصاحَت قِطَطُ الحارةِ:
واهِرّاهُ
ناحَت واحِدةٌ
لا ذَيلَ لها

عوقِبَ مأمورُ السجنِ
بِتَرفيعِ شَوارِبِهِ
رحِمَ اللهُ القِطّ
دَفَنّاهُ
ويُقامُ عزاءٌ
في حاوِيَةِ الحارَةِ
إن شاءَ اللهُ
تلكَ علاماتُ الساعَةِ
قالتها الكُتُبُ
عَجَبٌ عَجَبُ
وطنٌ عَجَبُ.

مظفر النواب.

ها هو ذاك الأحمق وهو يخرج من المستشفى ولأول مرة أراه سعيدا هكذا وسعادته تفوق سعادة قتلي حتما ما السر وراء هذه الابتسامة يا ترى ما الذي جعله سعيدا هكذا الوغد يحمل باقة ورود وعلبة كعكة هل قرر أنه سيبدأ حياة جديدة أتمنى له ذلك ليس حبا فيه بل حتى لا يطاردني ويعذبني مثلما كان يفعل رغم ذلك قد عكر حياتي وصفوها بعدما قتل الحسين لأنه المخلوق الوحيد الذي كان يعطيني الحب والحنان فكيف أعيش من دونه الآن لا جدوى لحياة مخلوق إن لم يكن في حياته شيء يعيش لأجله وأنا غير معتاد على حياة الشارع والكلاب أنا ملك والملك يموت في الوغا يموت موتة شرف لذلك سأجعل هنا حدا لحياتي وسأصنع نهايتي بيدي سأقطع الطريق وأضع حدا لحياتي موتة العز والشرف ولا موتة القمامة والهرم هذا أنا وسط الطريق هيا هيا الآن لا تبتعد أنت عني ها هي ذي سيارة إسعاف قادمة باتجاهي ولن يراني سائقها وسيدهسني حتما في الحقيقة أردت أن تقتلني سيارة فخمة لكن لا بأس بسيارة إسعاف كثير من القطط ماتت تحت عجلات السيارات الفخمة لكن هل هناك قط مات تحت عجلات سيارة إسعاف لا أظن ذلك ولذلك أنا ملعون محظوظ وتبا لي

نعم اقترب

أكثر

أكثر هكذا أسرع

ماذا يفعل السائق الأحمق

إنه يغير اتجاه سيره حتى يتفاداني

لا لا تضغط المكابح

لا تخرف

أووه ما الذي يحدث هناك

***

تموت العجوز ذات الوحمة على رقبتها إثر سقوط مبارك فوق رأسها ويدخل مبارك المستشفى ثم بعد أيام يرجع إلى ليندا مرة أخرى.

بعد تلك الحادثة وبعدما رأى تلك المشاهد التي تأملها في الطوابق التي مر بها وهو يهبط شاقوليا نحو الأرض أدرك مبارك معنى الحياة وفهم أن هذه الحياة تستحق أن تعاش بما فيها من تفاصيل إنسانية صغيرة، ومثلما لا تأتي المشاكل فرادى تأتي المسرات تباعا إذ على إثر تلك الحادثة انتشر خبر محاولات انتحار مبارك المتكررة وملأ الجرائد المحلية، وتناقل رواد مواقع التواصل الاجتماعي الفيديو الذي يظهر فيه مبارك مهرولا وسط الشارع وعقدة الحبل حول رقبته، ووصل الخبر إلى والي المدينة ليقوم بزيارة مفاجئة لمبارك في المستشفى وأحضر رفقته الصحافة من أجل أن يأخذ الشهرة على حساب هذا الرجل الذي رفضه الموت عدة مرات، وتحت أضواء الكاميرات أهدى الوالي مبارك مفتاح شقة جديدة. وتعهد له بأنه سيحرص شخصيا على أن يجد له عملا كريما ذا دخل جيد يكون في تخصصه، هذا فقط من أجل أن يدعم الوالي حملته الانتخابية التي هي على الأبواب. حتى مبارك أدرك هذا لكنه واصل لعب المسرحية لأنها في كل الحالات تسير لصالحه، وأمام كاميرات التلفزيون طلب من ليندا الزواج ووضع في يدها مفتاح الشقة بدل خاتم الخطبة، هزت ليندا رأسها بالموافقة، وطلبت منه أن يتقدم لخطبتها من أهلها عند خروجه من المستشفى مثلما وعدها أنه سيفعل من قبل. غمرت

سعادة كبيرة وجه مبارك واستنار وجهه كوادٍ سقاه غيث من بعد جفاف طويل.

ثم بعد أيام غادر مبارك المستشفى، لبس بذلة أنيقة رسمية. وكانت هيئته تنم عن رجل سعيد بحياته. يبتسم في وجه كل من يعبر أمامه، حتى أنه في طريقه ذهب ليحضر ختان إسحاق ابن صديقه بلوطة والتقى بأصدقائه القدامى (مطلوعة، بلوطة، سمير الفار، أميمة، فارس، مروان، طارق وكان حفل الختان في منزل صديقه مروان)

ثم خرج من حفل الختان مسرعا ومر بمحل وروود قريب و اشترى بعض ورود الأوركيد الجميلة التي كانت المفضلة عند ليندا، وتذكر في تلك اللحظة لما أهدى ليندا باقة الأحذية على شكل باقة وروود يوم عيد ميلادها، ابتسم من قلبه، وهو الآن يحمل كعكة في يده ليتذكر آخر كعكة حملها وكانت "كعكة الموت" مع الحسين، تذكر الحسين وكيف قتله بين يديه فسقطت دمعة على خده، نظر نحو الكعكة استجمع بعضه وقال في نفسه، "لنمضي قدما ونجعل هذه كعكة الحياة" بعدها تدارك نفسه ثم مسح دمعه وأضاف في سريرته أن "اليوم ليس يوم الحزن" وأعاد البسمة على وجهه ثم أكمل مشيته متجها لخطبة ليندا وإذ هو يسير على تلك الحال من البهجة والفرح راسما في خياله أين سيمضي مع ليندا شهر العسل وأين سيسافرون بعد زواجهما متذكرا ما تحدثا عنه في المستشفى والمغامرات التي سيقضيانها معا قاطعا الطريق والأحلام تطوف فوق رأسه. سمع مبارك صوت سيارة إسعاف مسرعة قادمة من بعيد في اتجاهه، تنحرف عن مسارها وترتطم به مباشرة. فتطير باقة الورود من يد

مبارك. يرتفع جسده في الهواء ويضرب رأسه مباشرة بمقدمة سيارة الإسعاف ويضرب على الرصيف بقوة.

ورود حمراء منثورة على الرصيف، قط مدهوش من بعيد، كريما كعكعة ممزوجة بالدماء، وجه مبارك غارق في بركة من دمائه. الناس تحوم حوله بسرعة كالغربان الجائعة، وبعض الأطفال يخرجون هواتفهم الذكية لتسجيل فيديوهات والتقاط صور الحادثة. وصوت سيارة الإسعاف يبتعد ببطء:

ويييي ووييييي ووووو

ويييي ووووو

ويييي و

ويي و

ويو

وي

و

.

حدث كل هذا... فماذا لو لم تكن الصيدلية مغلقة تلك الليلة؟

{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

(لقمان الآية 34)

لم "تمت"

27 نوفمبر 2021 مدينة البليدة

جميل أني لن أرد على هاتفي للأبد

الحياة لم تكن بتلك الجدية أبدا

قطعوا جسدي بعثروه في كل بقاع الأرض لا تدفنوا كل هذا الحظ العاثر في حفرة واحدة

خروج الإنسان لهذا العالم ميتته الحقيقية

لقد نجوت من الحياة بأعجوبة

مقبرة كاملة لا تكفي لدفن ما بداخلي

وكانت مأساتي أن عقلي دائما مزدحم بالكلمات، بأنصاف الأفكار، وعندما أتحدث لا أقول شيئا مما أردت أن أقوله فيبدو الأمر تافها بينما هو يمزقني تمزيقا

الحياة لا قيمة لها على الإطلاق، وأن "الإرادة، أشعلت من خلال معرفة أن اللاوجود أفضل من الوجود، هوالمبدأ الأسمى للأخلاق."

فيليب مايلاندر

"وإذا كنت لا أستطيع أن أتذكر الصرخة الأولى التي أطلقتها حين أتيت إلى هذا العالم، فإنني أعلم علم اليقين أن شعوري منذ البداية كان شعور كائن سقط في جهة غريبة."

نيقولاي برديائف

لا تُوجد قضيّة يستحق أن يُشنق الإنسان نفسه لأجلها، فتَّىَ ٰ گاليلووالَّذي قاده كهنة الدِّين إلى المشنقة حين ادَّعىَ ٰ أنَّ الأرض تدور تراجع عن رأيه حين تيقَّن أنَّهُ سيفقد حياته، وما أهميَّة أن نعلم أنَّ الأرض تدور أم لا؟! لا أحد يكترث لهذا حين يصل الأمر لفُقدان الحياة!

~~سيزيف~~

~~العالم أساسا عبارة عن معسكر للعمل الإجباري~~

~~حيث العمال البريؤون يتم اختيار عدة أشخاص منهم~~

~~كل يوم ليتم إعدامهم~~

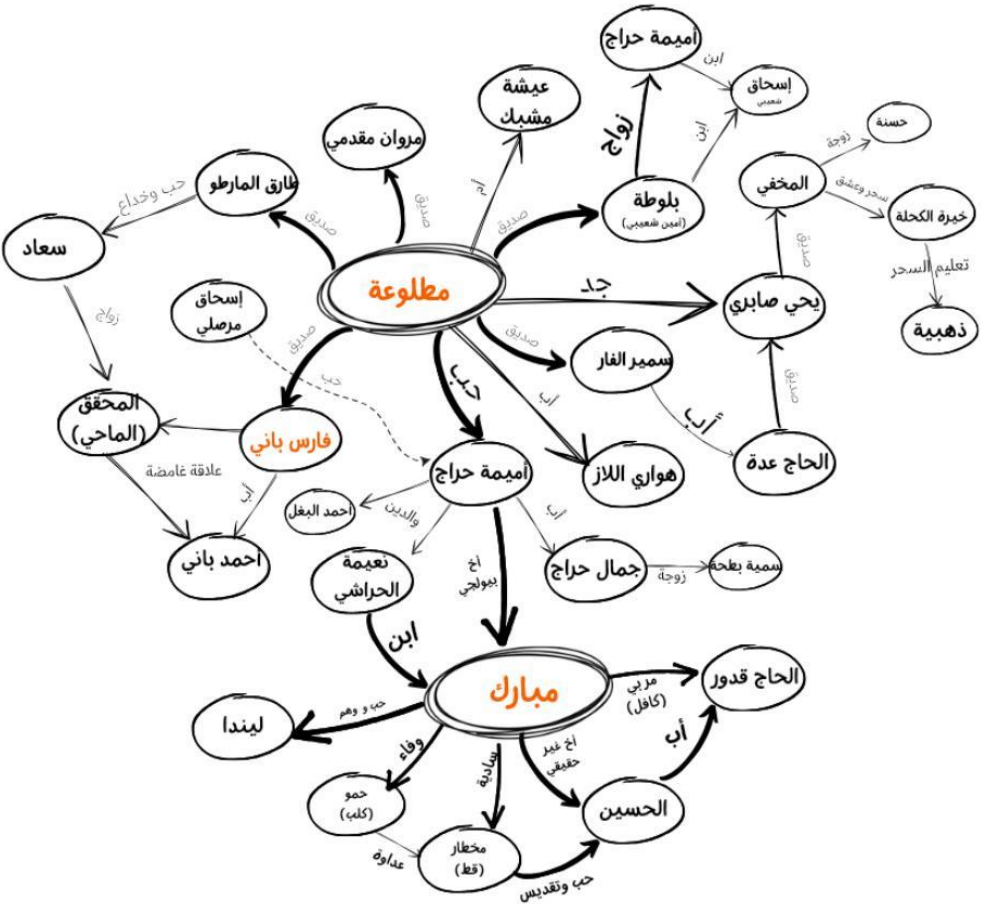

خريطة الشخصيات

ولا يزال كاتب هذه الرواية يتساءل إلى يومنا هذا هل هي حقيقية أم خيال؟

رسالة إلى الذين فقدوا الأمل في الحياة

……

……

……

……

……

……

……

……

……

……

التوقيع: التاريخ: